من تراثنا الإسلامي

4

فهرست الرصاع

أبي عبد الله محمد الأنصاري

بتحقيق وتعليق

محمد العنابي

بدار الكتب الوطنية بتونس

الناشر

المكتبة العتيقة

61 نهج جامع الزيتونة . تونس

كلمة الناشر

حبا في الافادة ورغبة في خدمة الوطن ووفاء بواجب المهنة رايت لزاما علي ان انفض رداء الدعة والخمول واعمد الى نشر صحفنا الماجدة التي ران عليها الدهر فانسانا اياها وجعلنا عالة على الاخرين.

ومن ينظر الى حالة النشر في عهد الحماية البغيض ويقارن بيننا وبين غيرنا يتمزق فؤاده وتتوزعه الهواجس والشجون لما يرتقبنا من مهانة وتقصير في هذا المجال

ولئن هبت روح البعث في التأليف والنشر فالعراقيل تبرز في طريقها ولئن امكن ابراز العمل التألفي او المطبعي الى الخارج فالمتسبب فيه لايجد مايغريه على التمادي في هذا السبيل فينزوي عنه ولا يعود اليه لأن الهواجس تتمثل له في كل المسالك هادمة لاماله محطمة لاعماله فيقبع قانعا بما يرد عليه من الخارج

وفي الحق لم تكن لدينا قبل هذا العهد مؤسسات ومجامع تأخذ بيد الباحثين والمؤلفين وتنفحهم وتشجعهم على جهودهم وبقدر مايتزايد التقدير للانتاج يتزايد النشاط فى ذلك السبيل

فالمؤلف كتربة زكية تتطلب البذر والارواء حتي تكون مغروساتها ريانة فواحة أما اذا لم يكن لها معين فيصوح نبتها ويصير هشيما تذروه الرياح .

ورحمة من الله بالثقافة واحسانا منه الينا أن بزغت روح البعث والتقدير لجهود العاملين في العهد السعيد فظهرت الدار التونسية للنشر ، والمؤمل لها النجاح والتوفيق فى العمل وهذا ما تتحققه لها بفضل عناية السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار وحرصه على رعاية المشروع الذي سيكون مبعث اشعاع على الثقافة العامة ويكفي دليلا على ذلك كلمته التي القاها في حفل تدشين الادارة وكلها تشجيع على الانتاج للمتميزين فيه بمنحهم جوائز مختلفة نسبتها باختلاف نسبة الانتاج

ومساهمة مني فى هذا الميدان اعدت طبع قلائد العقيان بطبعته الاروبية مع مقدمة وفهارس تمتاز بالتدليل على مصادر الاعلام الاماكن ونشرت « فهرست » الرصاع بتحقيقات وتعليقات ضافية تمثل تاريخ حقبة من حقب الحياة العلمية بتونس كما قمت باعادة طبع المؤنس فى اخبار افريقية وتونس مع تعليق وتحقيق ونشرت تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية .

وغايتي من ذلك توفير مصادر البحث لتاريخنا و حضارتنا وبودي ان اخرج ولو كتابا واحدا في الشهر حرصا على خدمة الكتاب ونشره .

وختاما اشكر من قام باعانتي من الباحثين والمحققين واصحاب المطابع وعمالهم النشطين حتى من ماطلني منهم اعواما طوالا سامحهم الله .

تصــــــــــدير

في عهد الركود العميق والحيرة القاتمة في دروب الحياة اللاهية اللاغبة والتسكع في مهامه الضلالة والجهالة والفتون. كانت النفس تتساءل عما سيكتب لتراثنا العلمي والادبي والفني من موت أوحياة ؟

وفي الحق كان يغمرني اليأس والتشاؤم لما كان يحيط بنا من ونــاء في العزم وجهل بالقيم وتوهين لذوي الكفاءة وتضليل من ذوي المطاوي الآثمـــة، ومبعث ذلك فساد التربية الاجتماعية والضربات الاليمة الممضة في عهد الاستعمار البغيض بما بثه فينا أنصاره ودعاته من تفسخ في الدين وترهل في الوطنية وفسولة في الرجولة فعز النصير وغدر العشير وخان الوزير وضعف الامير ثم دار القدر دورته لصالح الامة بفضل جهود ابنائها الاحرار العاملين فانبلج بعد التحرر والانعتاق شارق صادق في الميادين العلمية والفكرية والصناعية بهذه البلاد فسلك كل منا طريقه اللاحب الذي يرتضيه وورد على مشربه الذي يبتغيه ولكل وجهة هو موليها .

ولقد اغرتني الرغبة الملحة الحافزة على المشاركة في نشر تراث الاسلاف للاخلاف وبعثه من مطاويه واضابيره بين شباب متوثب طامح معتز بقوميته مفاخر بأمجاد امته مترنم بأنشودة المجد الخالد .

ومن بين ذلك التراث العلمي النفيس - فهرست - الرصاع النادرة القيمة فهي مصدر ثري جليل له قيمته وأثره في تاريخ الحركة العلمية بافريقية وقد توليته بالبحث والتحقيق والتعليق جهد المستطيع وذلك بضبط اعلام المترجم لهم والاماكن والمعالم الوارد ذكرها وكلمة عن الكتب الواردة في السياق سواء كانت موجودة أو مفقودة والتوسعة في القول في بعض المواضيع قصدا لتوفيتها بما تتطلبه من إفادة في مسائل يكثر دورانها وتتطلع اليها نفوس الباحثين.

وفي الحق إن المطلع على هذه - الفهرست - يقف على تاريخ الحركة العلمية بهذه الديار في حقبة زمنية تعتبر من أزهر عصور العلم والادب بلادنا العزيزة

وتنكشف له بمعرفة حياة العلماء ومن تخرج عنهم وطرقهم في البحث ومكانتهم في الفهم والتحقيق وما اهم من التآليف وما هي أهميتها العلمية ومكانتها من حيث البلاغة والتحرير والسمو الفني.

ولاريب أنه لا يوجد موقظ ومرشد للاحفاد اعظم وأبلغ من عرض ماكان للاجداد من الحضارة العمرانية والامجاد العلمية اذ بنشر تاريخ الامة والتعريف بابطالها الفاتحين وعلمائها النابغين ونفي التهم المزيفة عنها وبيان ما قدمته في ميادين العلم والادب والاجتماع والاخلاق والفن ما يغري الشباب الحي على تجديد ذلك العهد الباسم الازهر.

ان تراثك ايها العربي الكريم حفيل بكل جليلة وفخار فعار علينا ونحن الوارثون لذلك المجد السامق (1) ان نطرف (2) العيون عن محاسنه ولا نستغل الفرصة لعرض صحائفه النيرة بين أمة حائرة طموحة.

ان الاحداث لتطغى على الامم فتنسيها سمو المعاني الادبية وتتركها في غفاوة ولا كغفاوة الوسنان حتى إذا ما حانت منها الالتفاتة الملهمة وناداها صوت المجد الخالد من وراء الاجيال واستوقفتها معالمه السامقة أفاقت من غفوتها واستقلت من كبوتها وطرحت رداء الضعة والدعة واستشرفت مراقل العزة القعساء وشقت طريقها اليها وسارت نحوها قدما (3) وهنالك تستلهم وحي التاريخ الحافز فتجد فيه برد اليقين وراحة الضمير وهنالك ايضا تكون النفوس مشبوبة العواطف فياضة الشعور مجلوة الوجدان.

وهذا مايكشف لنا سر عناية الاوروبيين بتاريخهم ومعرفة رجالهم فتراهم يستظهرون ذلك في حذق ونباهة ويتلون عليك من أنبائهم عجبا كما تراهم يدلون على غيرهم بعظمائهم ممن وطدوا دعائم العلم والاجتماع والادب وشيدوا من معالم الحضارة والعمران ما شيدوا.

---

(1) العالي (2) من طرف بصره بفتح الراء اوطرف بعينه اطبق حد جفنيه على الاخر (3) بضم القاف والدال: المضي امام دون انثناء. او تعرج.

لقد كانت حالنا قبل هذا العهد غير مرضية وكنا في مقام المفاضلة بيننا وبين غيرنا من الامم الحية كالقابض على الماء خانته فروج الاصابع ويصدق علينا قول شاعر المهجر نسيب عريضة :

شغلنا بالجدود عن المعالي وعن مستقبل بالماضيات
فكان فخارنا طيفا وكانت علالتنا احاديث الرواة

نعم لانسى الماضي ونطرحه وراء ظهرنا بل نحرص على نشره والاقتباس منه واحيائه وحمل المستعمرين على اليأس من موتنا ، واننا لازلنا ولانزال متعلقين بحضارتنا عاملين على بعثها من جديد ولنا من حيوية الشباب المثقف في العهد الحاضر وتكاتفه وطموحه ما يحقق المستقبل وينشر صبح الامل الصادق على سعيه وجده في ميادين العلم والادب والصناعة والفن .

ويقيني الثابت ان شباباً مثقفا كشبابنا اليوم سيكفر عما سلف منه من تقصير ويذود عن حياض مجده الذي اوشك ان يتهدم ذياد المعتز المفاخر وبذلك يسجل له التاريخ صحفا نقية طاهرة خطت احرفها بمداد العزة والكرامة والمجد فيعتز بعروبته ويفاخر بلغته ويكاثر بامجاد امته ويخلص في تجديد حضارته حتى يكون خير ابناء الوطن الاكبر المفدى : المغرب العربي وأنبه دعاته وأنصاره الذين يساندونه ولا يعاندونه ويظاهرونه ولا يتظاهرون عليه بالاثم والعدوان .

وتوفية بحق البحث والاتيان عليه من اطرافه أضع بين يدي القاري الكريم مقدمة ترتبط بالموضوع وتتعلق بتاريخ العلم وطرق تحصيله وارتباط حلقاته في المجال الفكري اذ بذلك تتضح لنا صور نضوج العقل الانساني ومبتكراته لخير الانسانية واسعادها ولا يخفى ان ذلك النضوج وذلك الاسعاد مطردان باطراد العمل المبدع الخلاق .

المقدمـــة

عن العربي واخص ميزاته العقلية
وأثر الاسلام في تثقيفه وتمدنه وطرق الاستفادة في ذلك

ميزة الانسـان·

تظهر هذه الميزة في الحياة الدنيا فيما منحته القدرة الالهية من صورة جسمية وقوة نطقية معربة وعقل متبصر أهله للنظر والاستدلال . فارتفع بذلـك الى درجات الكمال وهو مع ذلك متصف بكريم الخصال ورضي المحامد . وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: « ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقوله: « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ».

ولئن كان الانسان مفضلا عن غيره من الحيوان فان فى أجناسه تفاضلا بين الشعوب والامم لامور تقتضي ذلك نلم بها فى ايجاز .

فالعرب يفضلون على غيرهم لما امتازوا به من قوة الفهم وكمال الحفظ وبراعة التصوير وفصاحة المنطق وهذا كله جماع البيان .

نظرة الاسلام الى المعرفه وحفزه النفوس على البحث عن الحقيقه :

قد اجمع الباحثون المنصفـون المتجردون عن الاغراض ان النفس العربية مع مالها من هنات ـ كانت قبيل مجيء الاسلام نفسا شريفة تسمو بصاحبها الى المحامد وتحمله على كرائم الصفات فتأبى الضيم وتغار على الاعراض وتحمي من انتصر بها مع صدق وصراحة بعزة نفس وكمال مروءة ونهاية جود حتى على عدوها كما عرفت بالقناعة الحافظة عن الابتذال واجتناب النميمة وهذه الصفات كلها جماع المحامد النبيلة التي أقرها الاسلام لتزداد نفوس العرب ارتفاعا الى معارج السمـو وقـد قضـى

الاسلام على ما كان لهم من الهنات (1) الى النظر في الاسباب وتحكيم العقل وحب المعرفة بالبحث والسؤال في سبيل العلم وجعله «فريضة على كل مسلم ومسلمة» فالسعي لتحصيله وضبط حقائقه يكون «من المهد الى اللحد» بل ان اغراء الشارع عليه تباعد في حمل النفوس المتعطشة لارتشاف معينه ان تعكم (2) حقائبها لطلبه والاحراز عليه «ولو بالصين» .

ومن اكبر الاصول التي يعتمد عليها العلم وتكتسب به المشاهدة والسؤال والرحلة فأما المشاهدة فقد اشار اليها القرآن في آيات كثيرة تأمر الانسان بالمشاهدة والاستفادة بسمعه وبصره مع عقله قال تعالى «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق» وقال تعالى: «أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» والمراد بالقلوب هنا العقول لان الادراك يقع بالعقل وهذا ما يدل عليه قوله تعالى «قلوب يعقلون بها» ومعنى الآية ان القلب يصدأ فلا يعي ولا يعقل شيئا ولو لم يصب فعلا من الناحية المادية بمرض . وعمى القلوب لا يقاس به عمى الابصار لان عما ها يحجب صاحبها عن النور العلمي الذي تتقوم به حياته ولهذا نفى الله سبحانه وتعالى الفهم عن قلوب الكافرين في قوله : «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل» فبالمشاهدة ينمو العقل وتتسع مدارك الانسان،

واما السؤال فربما تعرض للانسان حالات لم يصل الى فهمها وادراكها بالمشاهدة فارشده الله تعالى الى طريق الكمال والاستفادة بقوله:

«فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون»

فهذه الاية أصل تشريعي لكل باحث عن مجهول في دروب الحياة العلمية متتبع لمسالك المعرفة وطرق الهداية والنجاح والرشد حتى يؤدي رسالته التي اؤتمن عليها ويكون من العاملين المخلصين ولقد قال النبيء صلى الله عليه وسلم: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه»

---

(1) خصال السوء (2) يجمعها ويضم متاعه بحقائبه ج حقيبة ، ايضع فيه المسافر الامتعة

وهل أكمل سعادة للمرء من نعمة الله عليه ـ ونعمه لاتحصى ـ أن يخلص في اداء واجبه بنشر العلم وبعث امجاد امته والتبشير بمفاخر اعلامها وتراثهم الفكري الخالد وكشف ما ران (1) على ذلك من حجب واسداف (2)

ومسلم لمن وهبه الله الميز وبصره بمسالك الرشد والسعادة وسمع هذا الحديث النبوي ان يبادر الى نشر ما يرشد الى الخير ويهدي الى سواء السبيل من علم نافع وأدب رائع وسلوك رشيد وتهذيب قويم سديد.

والمتأمل في الحديث الكريم يتضح له الترتيب العقلي للا دوار التي تأتي على المبلغ اذ فيه بيان وتوضيح في ترتيب الكلام وتنزيله منازله فقد رتب صلى الله عليه وسلم الوعي على الحفظ فاشترط على السامع الحفظ اولا بان يتلقف الالفاظ أولا ويجمعها في صدره ثم يعيها ويراقبها بالمذاكرة والرعاية والاستصحاب لها الى ان يؤديها وفاء بالعهدة فيها .

ومن ابرز الدلائل على مبلغ عناية الرسول في الحث على نشر العلم وبثه بين الامة طورا بعد طور قوله صلى الله عليه من رواية ابن عباس :

«تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم » فهذا الحديث اصل في بث العلم ونشره بين الامة بطريق الرواية والاسناد حتى يتنور لها السبيل وفائدة تلقيه بالسند أبعث على الثقة بالنفس مما كان مجرداً عنه فالاسناد من الدين ولو لاه لقال من شاء ما شاء كما قاله ابن المبارك وهذا ما يشير اليه يزيد ابن زريع في قوله: لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين اصحاب الاسانيد وقد اعترف باهمية السند وقيمته اقطاب الاستشراق مثل جولد زيهر وليفي بروفنسال وجويدي نالينو وأن العرب قد تميزوا بذلك دون غيرهم .

واما الرحلة.

فاذا تصفحنا معاجم التراجم لاعلام المفكرين والادباء النابغين . نلمس اثرا بارزا في حياتهم العلمية والعملية وهو الرغبة الملحة في الرحلة الى اقطار غير اقطارهم أداء لفريضة الحج من جهة وحباً في التحصيل والاستفادة والافادة من جهة اخرى

---

(1) ران عليه : غلب (2) جمع سدف والمراد به هنا الظلمة ويطلق على الضوء

وقد تعاظمت هذه الرغبة بينهم وانتقلوا فرادى من «افريقية» الى مصر والشام والاندلس وبغداد وبلاد العجم وكانوا يتحملون شظف العيش وبؤس الحياة في هذا السبيل ثم يرجعون الى القيروان و تونس والمهدية وقد امتلأ الوطاب ويحرصون شديد الحرص على تلقي الافادة من كل من يسمعون به بالمدن او الرباطات ويعدون تلك الافادات من المغنم الاوفر ولابراح عن قوة هذا الاتصال الثقافي العظيم واستحكام أواخيه وبعد أثره في اتساع افاق البحث العلمي وتهذيب الاخلاق وتلاقح الافكار وهذا ما تشير اليه الايات البينات كقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون» ومثل التفقه كل ما يعود بالتقدم على الفرد والعائلة والامة . ويجعل لهم من العزة والقوة مكانا قصيا ، وقد انتقل ابن وهب الى المدينة واخذ عن مالك وقال : «تعلمت من ادب مالك افضل من علمه» وقريب منه قول يحي بن يحي بعد فراغه من سماع الحديث عن مالك : (نما أقمت لاستفيد من شمائله)

وبالاضافة الى ذلك ففي الرحلة احاطة باحوال الامم من تقدم منها ومن حضر . وتعظم الفائدة بل الفوائد اذا توفق الرحالة الى تسجيل المذاكرة وغريب المسائل ونادر الحوادث وطريف الاخبار ورائق الملح وبليغ الادب ولا سيما ما يجري من المراسلات البليغة التي تمليها الحوادث المتنوعة فنجد فيها صورا صادقة لمن دارت بينهم تلك الخرائد الفرائد مثل ابن الخطيب وابن خلدون وغيرهما .

وبالرحلة العلمية يقع الاطلاع المزدوج على التآليف المختلفة ببلاد الطالب الباحث وبلاد الاستاذ المفيد ولطالما وجهت الاسئلة وتقبلت الاجابات بين رجال العلم في المشرق والمغرب ونظرة عجلى الى المراجع الفقهية والدينية يتبين لنا ذلك في اكمل صورة واتم بيان .

والرحلة هي اول سبب لعقد المناظرات بين أساطين العلم وأقطاب الفكر فتتجلى الحقائق من وراء ذلك وتتسع المعلومات فتتحرر الاراء والانظار .

ونجد كثيرا من الملوك والوزراء يعطفون على العلماء والادباء الوافدين عليهم فيمنحونهم بعطاياهم ويغمرونهم بالتعظيم والتكريم وما ذلك في الحق الا

تكريم للعلم وتقدير للنبوغ تتزايد من ورائه الرغبة في التحصيل ويتسع ميدان التزاحم العلمي والادبي في تلك البلاد.

وغالب اوليك العلماء الرحالين اذا ادوا فريضة الحج المرة أو المرات العديدة يقيمون ببلد من البلدان الشرقية او بمصر اعواما عديدة يقضونها في الافادة والاستفادة واذا رجعوا الى مسقط رؤوسهم تراهم يعتزون بما حصلوا عليه من علم وأدب وتفكير ويحتفظون بدواوين نفيسة لازالت المكتبة التونسية العتيقة تتولاها بالحفظ والرعاية.

وقد اهتم العلماء بقيمة الرحلات العلمية وأولوها عنايتهم وخصوها بالتأليف مثل الرحالة الباحثة ابي زكرياء عبد الرحيم التميمي فقد الف رسالة الرحلة واسبابها كما اشار الى ذلك صاحب معجم المؤلفين ج 1 ص 202.

فهارس العلماء

الفهارس جمع فهرست بالمثناة فوق وهو الصواب وقوفا وادماجا والوقوف عليها بالهاء خطأ كما قاله في تثقيف اللسان وهي فارسية وعربت الى فهرس بكسر الفاء والراء ويطلق على الكتاب الذي يذكر فيه العالم أساتذته وأسانيده وما يتصل بذلك قال الزبيدي في شرح القاموس: وقد اشتقوا منه الفعل يقال فهرس كتابه فهرسة ومثل الفهرست البرنامج بفتح الباء والميم وقيل بكسر الميم فارسية ايضا وتطلق على الورقة الجامعة للحساب ويستعمل كالفهرست عند كثير من الاندلسيين.

وأما أهل المشرق فيطلقون كلمة الثبت على ما يدل عليه الفهرست أو البرنامج

وأما كلمة المشيخة فيراد بها الجزء يجمع فيه المحدث اسماء شيوخه ومروياته عنهم ثم اطلق عليه لفظ المعجم بعد اعتبار ترتيب المشائخ على الحروف الهجائية.

واصل هذه الكتب كما يقول الدكتور الاهواني يرجع الى علم الحديث فالمحدث يذكر الاحاديث مسندة الى الرواة المنقول عنهم واصحاب البرامج يذكرون مروياتهم مسندة الى العلماء وما تلك المرويات المذكورة في البرامج الاكتب ومجموعات من الاحاديث مدونة بين دفتين...

ثم انتقلت المسألة من تسجيل مجموع الاحاديث الى تسجيل كل انواع المرويات في علوم الدين واللغة والادب .

قيمة الفهارس.

وتعتبر هذه الفهارس أحسن مرجع وأغزره لتحرير تاريخ العلم وعرض جهود الخالدين من رجاله والنابغين من أعلامه إذ منها نستمد صوراً صادقة لحياتهم على اختلاف مناحيها وما تقلبوا فيه من هناء ونكد وما قاموا به من أعمال زيادة على تحرير الاقوال .

وقد أولع بهذا النوع الطريف من الكتب أولا علماء الاندلس وقل أن لا تجد لهم فهارس أو برامج تمثل لنا حياتهم العلمية واهتمامهم بالمزيد من ثمارها الدانية الشهية وقد طغت الاحداث والفتن عليها فأتلفت الكثير منها كما اتلفت مفاخر المكتبة الاندلسية ولم يبق منها الا الذماء اليسير كفهرست ابن خير اوبرنامج ابن ابي الربيع ومعجم الصدفي .

وطرافة هذا النوع وأهميته أننا نقف باطلاعنا على أحدها على ما قرأه صاحبه من الكتب في علوم مختلفة كما يتجلى لنا من وراء ذلك اسم التأليف واسم مؤلفه ومن قرأه عليه أو تحمله عنه وسنده الى المؤلف والمكان الذي درس فيه أحيانا وتاريخ الدراسة وختمها ثم إن رواد المعرفة المغالين تراهم حريصين أشد الحرص على اقتناء تآليف شيوخهم والاعتزاز بتراثهم العلمي بالاحتفاظ بكتبهم .

وقد بلغت شدة اهتمام بعضهم بالسماع من الاساتذة والرحلة لاجل السماع إلى درجة أعظم من الاهتمام بشراء التآليف .

وهذا الاجتماع واللقاء نجد أثاره بادية في تلك البرامج فنرى صاحبها يهتم بشيوخه ويتحدث عن حياتهم في المجتمع ومكانتهم في العلم والادب وتوضيح مداركهم وما اعتمدوه في استكمال ثقافتهم العامة من المصادر المعتمدة .

وبالاطلاع على هذه الفهارس تظهر لنا صور من تاريخ الحركات العلمية في الاقطار الاسلامية إذ منها نستطلع ما يدرس في السنين الابتدائية في الحياة العلمية

في مختلف مناحي العلم والادب في كل قرن أو عهد وتجلي ما بين علماء الاقطار القريبة والبعيدة من الصلات العلمية والارتباط الوثيق بالمكاتبة والتأليف ونلمس بين صحائفها طرق آداب السلوك بين الطلبة مع بعضهم أو بينهم وبين شيوخهم وما يستفيدونه من أصول قواعد التهذيب والاخلاق الكريمة مما يسمو بالنفس ويرتفع بها الى مشارف الفضل والطهارة والتجرد عن أوضار الحياة وزخرفها كما تفيدنا بما دخل من كتب الاندلس او المشرق الى افريقيا أو العكس وعلى يد من دخلت وما هو أشد رواجا في الحلقات العلمية من غيره ومن كان له مزيد اختصاص في علم من العلوم وغير ذلك مماله اثر بين في توضيح تاريخ العلم وتاريخ معالمه و حركة التأليف وما تقلبت فيه من ادوار كما تبين لنا ما يعتمده كل قطر من التآليف في كل علم.

واعظم اهمية للفهارس أنها تتمثل فيها فوائد لها قيمتها العظمى في تحقيق العلم وتقرير قواعده واستجلاء الاراء السديدة ومعرفة اصحابها وعرض حياتهم العلمية وذكر من تخرج عليهم من ذوي النبوغ والابداع والعبقرية في الفنون والعلوم العقلية والنقلية .

وقد ذكر ابو الفضل العراقي «أن الحكمة في وضع اهل الحديث التاريخ لوفاة الرواة ومواليدهم وتواريخ السماع وتاريخ قدوم فلان مثلا البلد الفلاني. أن يختبروا بذلك من لم يعلموا صحة دعواه» وقد قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ .

ونقل عن الحميدي انه مما يجب التهمم به وفيات الشيوخ ومما يذكر عن الشافعي أنه اقام عشرين سنة على تعلم ايام الناس والادب معللا ذلك للاستعانة على الفقه .

وقال الرافعي في تاريخ قزوين :

كتب التاريخ ضربان ضرب يعتنى فيه بذكر الملوك والسادات والحروب وبناء البلدان وفتحها والحوادث العامة مثل الاسعار والامطار والبوائق وانتقال الدول وظهور الملل واحوال الناس وما يتصل بهم ويجري عليهم.

وضرب يبين فيه اهل العلم والقضاة وفضلاء الرؤساء واهل المقامات الشريفة المحمودة من اوقات ولادتهم ووفاتهم وطرف من مقالاتهم ورواياتهم ومشيخاتهم وهذا الضرب اهتم به علماء الحديث ا هـ ملخصا.

وينبغي لمن يتصدى لهذا البحث أن يعتمد الصدق والصراحة ويتجافى الاغراض واذا نقل فعليه الاعتماد على اللفظ دون المعنى كما قال ابن السبكي فيما نقله عن والده. وأن يكون عارفا لحال المترجم علما ودينا وغيرهما وأن يكون كما قال حسن العبارة عارفا بمدلولات الالفاظ حسن التصور وان لا يغلبه الهوى فيحيد به عن الحقيقة والانصاف.

تنوع الفهارس

لم يسلك اصحاب الفهارس طريقة واحدة في التحرير إذ منهم من يرتب الكتب حسب مواضعها فيبدؤنها القرآن وعلومه ثم الحديث ثم السير والانساب ثم الفقه ثم أصول الدين وأصول الفقه ثم الزهد ثم علوم العربية نوعا نوعا وهذه الطريقة أكمل وأعود فائدة للباحث في تاريخ العلم وقد جرى عليها ابو بكر ابن خير الاشبيلي المولود سنة 502 هـ ـ 1108 م والمتوفى سنة 578 هـ ـ 1179م وكان رحمه الله واسع العلم بالحديث والنحو والادب وأسماء الكتب من الاكفاء في تمييد الا ثار والعناية بتحصيل الروايه وفهرسته ضخمة في غاية الاحتفال والافادة لا يعلم لاحد من طبقته مثله وقد نشر فهرسته كوديرا وريبيرا سنة 1895 وهي تضم أسامي كل ماقرأه من الكتب في شتى العلوم واسماء شيوخه الذين درس عليهم واجازوه مرتبين حسب النواحي واهميتها تتجلى في ذلك العدد العظيم من الكتب التي ذكرها والمؤلفين الذين اثبت اسماءهم ممالا تجده في غيره من المراجع ـ ص 281 من تاريخ الفكر الاندلسي.

وقد درج على هذا السنن الخشني وابن حجر.

ومنهم من يذكر مبدأ نشأته العملية من اول امره وما يتصل بحياته من درجة الى أخرى وفي أثناء حديثه يستطرد الى امور تتعلق به او بشيوخه او بما يقع في المجتمع وهذا النوع منهم من يسترسل في ذكر الشيوخ عند ذكر الكتاب دون

ترتيب لا سمائهم حسب الحروف الهجائيه (1) كالرعيني وكالرصاع وقد امتاز الرصاع بذكر الاماكن التي درس بها شيوخه وبيان حالتهم كما انه يشير الى حالات مخصوصة وظروف معينة كما يعتني بتسجيل كلمات شيوخه وملاحظاتهم.

ومنهم من يذكر حياة شيوخه بقسم ثم يوضح ما اخذه عنهم بقسم اخر ويستطرد في هذا القسم الى بعض ما يقع من نوادر او طرائف بدروسهم كما فعل ذلك ابو عبد الله الوادي آشي التونسي.

وهناك طريقة يعدها الدكتور الاهواني رابعة يميل متبعها الى أبعد حدود التوسع فيتعرض احدهم في برنامجه ويعرف فيه « احوال رجاله الذين روى عنهم ويذكر اخبارهم ومناقبهم في العلم وسيرهم واخلاقهم وإسناد احاديث عنهم وحكايات واناشيد وأدعية » ويصدر برنامجه « بطرف صالح من بيان فضل العلم وصناعة الحديث وطرق الرواية وكيفية الضبط الى غير ذلك من أداب علمية وفوائد حديثية نافعة » وهذا الاسلوب كما قاله المراكشي حسبما نقله عنه الدكتور الاهواني « كاد يخرج بها عن حد الفهارس الى كتب الامالى المفيدة »

مؤلف الفهرست

بديهي أن حياة المؤلف تعلم من هذه الفهرست ففيها صورة واضحة لتلقيه للعلم من اول حياته العلمية

نعم هناك أمور يدعو الحال لذكرها وتبسيطها للاتصال المباشر بالموضوع سنتعرض لها بالتوضيح واليك البيان .

آل الرصاع

كانت هذه العائلة من كرائم عائلات الانصار بمدينة تلمسان عرف افرادها بالفضل والمجد والنباهة ولم يكن لهم وهم بتلمسان ـ سابقة راسخة في

(1) علي بن محمد المتوفى سنة 666 هـ تكلم على فهرسته البحاثة المحقق الدكتور عبد العزيز الاهواني بمجلة معهد المخطوطات العربية ص. 102 ج 1 مجلد 1 وقد قام بطبع فهرسته وتحقيقها صديقنا البحاثة الاستاذ ابراهيم شبوح وفيها تتمثل الروح الادبية للمؤلف رحمه الله .

العلم وجد المؤلف الرابع للاب كان نجارا تميز بالبراعة في الصناعة وروعة الدقة في الترصيع في الخشب فعرف بالرصاع واشتهر بذلك وبعد صيته الفني بعد ترصيع جامع العباد وقد كان يدعو لذريته بالعلم ولم يقبض مالا عن صنعه بل طلب من الامير أن يدفن بعد موته بجانب ضريح الغوث أبي مدين فاجيب لسؤاله وقد عاد يمن ذلك المدفن على ذريته وكان لبيت الرصاع في هذه الحاضرة مجد اصيل وفخر أثيل وقد خرج منه كما قاله السراج في الحلل السندسيه رجال كحب الرمان وأبناؤهم الى الان لم تزل بالمقادير توزع عليهم على المراتب من طرق الفتيا والقضاء والخطابة والامامة والعدالة الى يومنا هذا .

فمنهم محمد ويعرف بولد القاضي من ثقاة الموثقين .

ومنهم قاسم وقد استوزره الامير حميدة الحفصي وصاهره بابنتيه لولديه ابي الفضل وابي يحي

ومنهم حمودة بن محمد بن قاسم . ومحمد بن قاسم بن عبد الله واحمد ابن على بن قاسم وقاسم بن أحمد بن علي بن ابي الفضل قاسم واحمد بن عبد الله وعثمان وابنه محمد .

وتدليلا على مكانة هؤلاء الاعلام في التدريس والتوثيق والخطابة والقضاء والفتيا نرجع الى ماحلاهم به اعلام التاريخ ومحققوه .

فأما صاحب الفهرست فيحليه الوزير السراج بقوله عند ترجمة حفيده علي:

الشيخ الامام البارع الذي غدا وليس له في مشاركة مرتبته العلمية ولطائف تصريفه الحكمية من منازع . الفاضل الذي انفرد بما لم يزاحم عليه في فنه وتقاصى ان يستسقي اقرانه من دنه . وحاز قصب السبق في البراعة ، وامتلات الافاق بتنقيحاته ووجوه الصفحات بتوقيعاته الى قيام الساعة ، الامام الذي ارتضع ثدي افادته الانام واقتدى بامامته في محاريب جوامع الكلم الرؤساء الاعلام ، كم جال في ميدان التفسير وأفحم في عريض ذلك الميدان كل نحرير ولا عيب فيه الا انه المفرد . وأخجل الجم الغفير المتعدد .

ووصفه في الجزء الثالث بقوله :

الشيخ الفاضل الورع المحقق خديم اسماء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد الف فيه تأليفا جمع فيه فاوعى واخرج لقلوب المتشوقين الى معاني اسمائـه الكريمة من ثدي معارفها المرعى وأتى بما يثلج الصدور واظهر في سوق المحبة المحمديه من ذخائر الكنوز الاحمدية تجارة لن تبور وخلفها في رياض الخزائن نهرا تخضل من سلساله دوحة الايمان.وتنتج ثمرة النجاة من هول الدارين عن زهر حسن الخاتمة الكفيلة بالسلام والامان .

ونعته العلامة النظار الشيخ اسماعيل التميمي حسبما نقله عنه ابن ابي الضياف في تاريخه بقوله : العلامة المتفنن المدرس المحقق الصالح الجامع بين القضاء والفنون صاحب الاجوبة المحررة والتآليف المشتهرة .

ووصفه صاحب درة الحجال ص 221 بالفقيه الخطيب المعقولي القاضـي بتونس .

واما ابو يحي بن قاسم فحلاه ابن ابي الضياف بشيخ الاسلام وعلـم الاعلام الفقيه المدرس المفسر المحقق .... كان فقيها أصوليا أقرأ التفسير بالجامع الاعظم وكانت فيه دعابة يداعب كل احد واستمر على الخطابة سبع عشـر سنة او ثمان عشرة وولي الفتيا فسلم فيها لاجل الجامع .

واما علي فقد كان عدلا ومفتيا وله معرفة تامة بالتوثيق وتصرف واسع في الفتاوي والبراعة التامة في الخطابة بالزيتونة قال الوزير السراج :كان قدوة في الاصول والعربية والفقه وخصوصا تدقيق النوازل ولما تعاطى التفسير أبدى فيه عجائب مما لا يخطر على القلوب .

وأما ابو الفضل قاسم فقال فيه ابن ابي الضياف : جرى هذا الفاضـل على سنن سلفه وله في الفقه والفرائض المعرفة الجيدة وتولى قضاء الفريضة الى ان توفي

واما حمودة فقد قال في حقه السراج : ومن ألطف ما وجدنا من بينهـم - يريد آل الرصاع - ولقيناه وأفخر من يعلم تدقيق الاحكام جزما ويقينا ، ومن الوحلة من معضلات الشبهات الشرعية يقينا ، المولى العدل المدرس القاضي المتصرف في ميدان الاحكام الشرعية بنفيس التقاضي والزاجر لمن حاد عن احكامه بالموضي الخبير بتفاصيل الفروع . تفـاريع الفصول والناشر بيد السند على كاهلـه ريات

فني الاصول . والعاقل بعرى المعقول شوارد تحملاته والناقل على متون مطايا النقول لارجاء صدره نتائج موضوعاته ومحمـولاته . المطبق بلطيف الاحكام على اجناس الدعاوي اي انطباق المبدي على موائد تقريراته بما هو ألذ من جنـاس الطباق والمفيض على مزارع مسامع تلامذته وذوي المحبة أنهار فوائد افادت من بركتها كحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبه نظم خرائد الاحكام في سلسلة الاحكام وطالما وشى تصاريف أحكامه في المحكمة بتوقيم يواقيت براعته المحكمة . ذو فراسة يتخيل كل من الخصمين انه كاشفه لما رأى من تلك الصفات الكاشفة المخيلة ان مبديها ذو مكاشفة .

وأما أحمد بن عبد الله فقد وصفه صاحب الحلل بالفقيه الاديب شيخ صالح غاد في طاعة الله رايح مصمم في الحق آخذ بالجد والصدق لا يخالط احـدا ولا تراه الا منفردا مشتغل بالعلم والعمل خالص من الحرص والامل محـافظ على اوقات العبادة متقشف في احواله تقشف الزهادة مقتصد اقتصاد العليل مقتصـر على اقل القليل قد استعد للرحيل وشمر للعبادة بجسمه النحيل ورسمه المحيل فاستقر علالته واستشعر بلالته وغادره كالخيال الشعري والعرض الاشعري وهو متظاهر بشعار المحتلم ويسفر عن شعار عوف بن محلم عزيز النفس قوي المنـة علي الهمة مقبل على الامور الدينية المهمة مهتم بما ينيله خير الدارين قليل العيال وقلة العيال احد اليسارين قد سلك في العزلة احسن المسالك وعمل على ما قاله إمام البلاغة سهل بن مالك :

منغص العيش لا يأوي الى دعة　　　من كان ذا بلد أو كان ذا ولـد
والساكن النفس من لم ترض ستته　　　سكنى مكان ولم يسكن الى احد

له حظ بين الادب وافر، ووجه بمحاسنه سافر، وعناية هو بها مكـاثر وإمام ناظم، ناثر رحل الى المغرب زمان شبابه وسلك سبل الهدى وابتهل بابه

واما احمد بن علي بن ابي الفضل قاسم فقد قال فيه صاحب مسامرات الظريف:

تضلع بالعلم والادب وله في الفقه طول الباع وسعة الاطلاع والخبرة بمواقع التنزيـل والمروءة والديانة التي زانها مجده الاثيل وله معرفة بمراتب الناس، تنزيل كل منزلته التي هو عليها عند الاكياس يرضي الخصمين بلطفه وله فراسة تقضي على

من جالسه باعتقاد كشفه معمروءة يجتنب بها المرور في الاسواق وتقدم لخطة النيابة بالمحكمة الشرعية فزانها علما وعملا ودينا وورعا وأقام حدود الله ولم يخش لومة لا ئم في المحكمة الشرعية مدة تقرب من خمسة عشر عاما لم يذكر فيها الا بخير الى أن توفي سنة 1119 وكان عارفا بالمذهبين نبيلا في المفاصلة بين الخصمين

واما ابو النور عثمان فذكر عنه ابن ابي الضياف انه شارك اهل العلم في الملكة وله ذكاء وفصاحة ومعرفة بالفرائض والتوثيق وولي قضاء الفريضة والشهادة على بيت المال وكان ذا همة ووقار وعفاف ومجد موروث ومكتسب ووجاهة في الحاضرة وله ابناء نسجوا على منوال آلهم وزانوا بيتهم بجميل خلالهم واكبرهم وهو محمد ولي خطة ابيه وزهد فيها ومازهدت فيه ولم يزد الالحاح الا قوة جماح لانه كان ابيا للضيم عزيز النفس عالي الهمة صادعا بالحق بعيدا عن المداهنة قال: واختير بعد تسليمه في قضاء الفريضة لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الاكبر.

حياة الرصاع العلمية والعملية :

ان اتساع معارف الرصاع في العلوم الدينية والعربية والعقلية وغيرها حفز النفوس للاقبال على دروسه بجامع الزيتونة والانقطاع الى معينه العلمي الفياض فتوفر على تدريس الفقه والحديث واصول الدين والعربية والمنطق وحقق في جميعها وقرر عويصاتها والف تآليف قيمة في ذلك تشهد له ببعد النظر وغزارة المادة ودقة التحقيق وجمال العبارة في قوة سبك وبراعة حوك وقد تمكن من ذلك للتأثره بالحياة الجديدة التي انتقل اليها بعد استقراره بمدينة تونس ويحسن بنا ان نذكر كلمة مقتضبة عن الحياة العلمية والحضارية في عصر المؤلف اذ كثير وكثير جدا من الباحثين من يعتقد ان نصيب البلاد التونسيه في الحركة العلمية والادبية والفنية متقوص وقد دفعهم هذا الاعتقاد لجعل مستوى سكانها الحضاري والعلمي في درجة سكان أواسط افريقيا المتسكعين في مهامه الجهالة والضلالة .

ومنشأ هذا الغلط إما جهل يرتكس فيه صاحبه ولايحمل نفسه على البحث والتمحيص لاجلاء الحقيقة وضاءة ناصعة .

واما شعوبية جنسية ضيقة تختنق نفوس اصحابها ان شاهدوا عند غيرهم معلما للحضارة اوقبسا من العلم او اثرا من ادب اوفن .

والباحث المنصف المخلص للحق والتاريخ اذا نظر الى صحائف تاريخ افريقيا يتبين له فساد هذا الرأى لما يراه من المعالم الخالدة التي سجلها تاريخ العلم والادب والرقي الحضاري على مختلف نواحيه بهذه البلاد الناطقة بالعظمة والعبقرية والابداع .

نعم هناك أدوار تقلبت فيها الحركة العلمية والادبية من السمو الى الركود والانحطاط كما اصاب الحضارة خمود وتدهور تحت تأثير عوامل الثورات الداخلية من قبل الاعراب الافاقين وحروب الامراء المتطلعين للنفوذ فيما بينهم وبين الاسبان ، وهذا لا يكون سببا في انكار ما كان لتونس من قوة فى السلطان وعظمة في الحضارة واتساع فى الثقافة وسمو فى الفن .

واجابة لرغبة ملحة فى عرض تلك الصحف الخالدة وازالة ما علق بأوهام القاصرين والشعوبيين، نذكر لمحة خاطفة كاشفة ونقتصر على حلقة من السلسلة الذهبية لهذه البلاد واعني بها الدور الحفصي .

الحياة الحضارية والعلمية بتونس في عهد المؤلف :

لا يخفى على المطلع ان الدولة الحفصية بتونس هي ظل للدولة الموحدية بالمغرب فقد قام الخليفة الموحدي بضمها الى حكمه وعين للقيام على شؤونها شيخ الموحدين الاول والعضد الايمن في التدبير والسياسة ابا محمد عبد الواحد بن أبي حفص .

استربع هذا الوالي بالامر فركز قواعد الدولة وبسط لسلطانهـا أسباب المنعة والقوة ففتك بالمبتدعة وشرد أتباع الفتنة فعم الامن ونشرت الحرية الفكرية ظلا لها على أفاق العقول بعد ان كانت مكبوتة وانطلقت يد الابداع في التعمير والتحرير وتفتقت القرائح عن روائع الادب وتحقيقات العلوم كل ذلك وقع وللدين جلالته وللعلم مكانته .

والحقبة التي ظهر بها المؤلف كانت من أيمن الحقب بهذا القطر الكريم فقد كانت حقبة مشرقة ازدهرت فيها الثقافة العامة بما توفر لها من اسباب النشاط البالغ المتمثل في عناية الملوك والوزراء بالعلماء والادباء والمفكرين والعطف

عليهم واحلالهم بالمكان الارفع واسناد مهام الخطط العلمية والسياسية اليهم والوقوف عند ارائهم الموفقة التي يشيرون بها عليهم .

وهذا ما حمل الكثير من علماء الاندلس وطرابلس والمغرب والجزائر على انتجاع ربوع آل حفص والانقطاع لخدمتهم ، اجابة للرغبة العلمية الصادقة ووفاء بالواجب المفروض فبثوا العلم ونشروا الادب وقدموا التآليف الجليلة لخزائن ملوك آل حفص ونشروا على الاسماع محامدهم واشادوا بمفاخرهم مثل حازم القرطاجني وابن الابار وعبد المهيمن الحضرمي وابن سيد الناس وابي المطرف بن عميرة والقلصادي وابن الغماز وابن مرزوق والابي والدوكالي وابن الحكيم والفيلسوف الراهب عبد الله الميورقي الذي اسلم واحله الخليفة مكانا عليا

وقد قدر اولئك الملوك النابهون مبلغ جهود العلماء والادباء الوافدين عليهم فأكرموهم وكانوا لهم شاكرين كما اهتموا بتخطيط المدارس للتدريس وسكنى الطلبة و وقفوا عليها اوقافا كبرى للمدرس والطلبة والايمة والشعائر .

وطبيعي ان تسموا مكانتهم في نظر العموم فهم المرجع وعليهم المعول وقد اخلص العلماء سواء في ذلك اهل البلاد او الوافدون عليها فى واجبهم العلمي وادو رسالتهم التي اوتمنوا عليها بالتآليف والتدريس فاما التآليف فهي كثيرة وكثيرة جدا تمتاز بالجمع ودقة النظر والبراعة في التحرير والبلاغة في التعبير وقد تنافس الحفصيون في اختيار العلماء والادباء وجمعهم بقصورهم وتنشيطهم بالعطايا الوفيرة على انتاجهم العلمي والادبي ، اضف الى ذلك ما اشاعوه من حرية في الفكر وتقدير للصراحة .

واما التدريس فتحدثنا المصادر الوثيقة عن جهودهم فى ذلك وتوفرهم على البحث الساعات الطوال دون مقابل معين من حبس او جراية ، ولئن وجد من يتقاضي ما عين له عن درس او درسين فانك تجده يقري الاربعة والثمانية دروس بل ان البعض منهم يصرف يومه كله في التدريس بالجامع الاعظم او بمدرسة او مسجد وبرجوعه لمنزله يقوم بدروس لتلاميذه ونشاطهم هذا مصروف لكل العلوم العقلية والنقلية والادبية حتى كانت مدينة تونس « مناخ الركاب ومحط الرحال وموضع النجعة لطلب جميع العلوم والفنون »

في هذا المحيط العلمي الحافل نشأ العلامة الرصـاع وتوفر على تلقي العلم بملازمة أقطابه كالبرزلي وآل القلشاني وآل الصقلي الزيات والبطوني وابن عرفة كما سيمر بك اثناء الاطلاع على « الفهرست ».

والملاحظ هنا أن ذلك السمو العلمي والرقي الادبي قد اخذ اواخر الدولة الحفصية في الانحطاط عندما تناهى الامراء في اللذات وأغرقوا في الشهوات ووجدوا من بعض العلماء من سهل لهم طرق الفتنة والغرور فشيدوا القصور وعاقروا الخمور واختصروا الغلمان والحور وفرطوا في مصالح الامة وأوكلوا شؤونها لمن لا يقدرها حق قدرها وأسندوا سياسة الدولة لمن لا يفرق بين القبير والنقير ولا يعرف قبيلا من دبير فحاق بهم الشر وساء كانوا يعملون.

تـآليفه

1 ـ التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح وهو انتقاء بديع من شرح صحيح البخاري لابن حجر توجد منه نسخة كاملة بمكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني منها جزء عليه خط الرصاع رحمه الله ويوجد بالمكتبة العبدلية بتونس الجزء الاول والجزء الثالث منها من احباس الوزير خير الدين باشا غالب مسائله في صورة سؤال وجواب

2 ـ الجمع والتقريب في ترتيب آي مغني اللبيب وهو شرح للشـواهد القرآنية الوردة في المغني لابن هشام بعد ان افردها ورتبها على السور وتكلم عليها في جزأين يوجد السفر الاول منه بمكتبة الزاوية الحمزية بتافيلالت.

3 ـ الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية طبع اولا بفاس ثم اعيد طبعه بتونس.

4 ـ مجموعة كبرى في الفتاوي وقد كانت الاسئلة تتوارد عليه من البلاد الافريقية وقد نقل الكثير من فتاويه صاحب المعيار والمازونية.

5 ـ تذكـرة المحبين في اسماء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم تعرض فيها لاشتقاقها ومعانيها وما يصلح للمريد ان يتخلق به مع اشعار واثار لاهل الطريق قال الشيخ أحمد بابا: وهو كتاب حسن في نوعـه وتوجد منه نسخ بالمكتبة الاحمدية بالزيتونـة وبالمكتبة العبدلية وبخزانة العلامة محمد الصادق النيفر نسخت سنة 1026 هجرية

ر

6 ـ تحفة الاخيار في فضل الصلاة على النبيء المختار توجد منه نسخة بالاحمدية رقم 1811 ونسخة بخزانة الاستاذ احمد المهدي النيفر نسخت سنة 984 هجريه وكانت على ملك الشيخ عثمان الرصاع وعليها خط ابنه محمد .

7ـ شرح وصية الشيخ محمد الظريف توجد منه نسخة ضمن مجموع بالمكتبة الاحمدية رقم 3773 من احباس المشير الاول احمد باشا باي في ربيع الانور سنة 1268 ولم يذكر هذا الشرح له أحد ممن كتب عنه فيما وقفت عليه وقد ذهب بي الظن الى انه لغيره من آل الرصاع وفي اثناء مطالعتي له تبين لي انه للمترجم له حيث احال على كتابه تحفة الاخيار وعدد صحائف هذا الشرح 107 ـ طول 20 ـ ص ـ م عرض 15 ـ ص ـ م وبكل صحيفة 21 سطرا ويوجد بآخر الشرح انه للفقيه الامام العلامة الصدر الشهير علم الاعلام مفتي الاسلام شيخ المحققين ومفيد الطالبين ورحلة القاصرين ولسان المتكلمين وصدر العلماء العاملين الذي انفرد بعلمي المعقول والمنقول وحاز قصب السبق بالجد والوصول مربي السالكين على التمام المعظم للنبيء عليه الصلاة والسلام والمتحصن به في كل وقت على الدوام الذي انتشرت محبته في جميع الاماكن والبقاع سيدنا ابو عبد الله محمد الرصاع ابقاه الله للمسلمين بخير بقاء جميلا ولا جعل للمكروه عليه سبيلا .

وهذا الشرح المبارك هو شرح جامع فريد شامل لحالات المريد وما يجب عليه في حق الرب المجيد المبدي المعيد الفعال لما يريد خالق الاحرار والعبيد اه ما هو محرر بآخر الكتاب المذكور .

والمجموع المشار اليه يحتوي على مايأتي :

الاشواق العذرية لابي المواهب .

اخبار الاذكياء بأخبار الاولياء له ايضا

قوانين حكم الاشراق له ايضا

الجواب الاحفل عن السؤال المقفل له ايضا

ريحان القلوب للكوراني

بديع الالتفات للكوراني ايضا

رسالة لابي المواهب خاطب بها بعض مريديه

احوبة عن بعض ما اشكل من كلام القوم له ايضا نميم العود بلغز العود
8 ـ جزء كتبه الرصاع في احكام « لو »
9 ـ كتاب في اسماء الاجناس واحكامها
10 ـ كتاب في صرف ابي «هريرة »
11 ـ رسالة في فضل العلم ضمن مجموع بالمكتبة الاحمدية رقم 1109
12 ـ ذكر السخاوي ومثله القرافي انه شرع في تحرير تفسير للقرآن الكريم
13 فهرست

وفاته

يذكر السخاوي (1) أنها كانت سنة 894 هجرية وهو ما تبعه فيه بروكلمان في ايضاح المكنون (2) ويذكر في هدية العارفين (3) انها كانت سنة 895 ووفاته كانت بمدينة تونس بمنزله رقم 14 بنهج الوصفان كما افادني بذلك حفيده الفاضل الاكمل السيد محمد الرصاع وذكر الي ان الشيخ الرصاع هو الذي بنى الدار المذكورة وبنى المسجد المجاور لها الذي دفن به وقد ورد في برنامج المكتبة الصادقيه ج 2 ص مانصه :

ويقال انه مقبور بالمسجد الجوفي بنهج الوصفان قرب سوق النحاس بتونس

وهذا المسجد لازال موجودا وله بابان باب اصلي مواجه لظهر بناية المدرسة المنتصرية ، وباب فرعي يفضي الى صحن المسجد موجود بالزقاق الحاد الموجود به دار العلامة الرصاع رقم14 وهي مسكن السيد محمد الرصاع الحفيد المذكور آنفا ؛ وقد أفادني أيضا أن المسجد المذكور كان في تصرف المرحوم والده وقد أقرأ به كتاب الشفا العلامة النظار المحقق الشيخ سيدي الطيب النيفر وحضر والده عليه في الدرس المذكور وحاول الشيخ النيفر توسعة المسجد بادخال الصحن المذكور الموجود خلف المحراب الى بيت الصلاة فلاحظ والد السيد محمد الرصاع بانه لاينبغي طمس قبر رجل من اهل العلم والصلاح فبقي المسجد على حاله الى الآن

وأفادني أن جده المرحوم الشيخ علي الرصاع بعد أن توفيت له بنت صغيرة عمد الى دفنها بقبر العلامة الرصاع وبعد ان رفع بعض أطباق القبر من ناحية رجلي الميت شاهد الجسد مسجى غير متغير فخاطب جده بقوله:

---

(1) الضوء اللامع ج 8 ص 287 - (2) ج 1 ص 276 - (3) ج 1 ص 95

« هذه ابنتك ان شئت قبلتها وان شئت لفظتها » ووضعها بالقبر وارجعه لما كان عليه

وقد زرت المسجد المذكور ووقفت على القبر الموجود لصق الحائط المقابل لحائط المحراب وحجره من نوع الكذال طوله ميتر وواحد وسبعون س.م وعرضه 49 . س . م وبناحية الرأس اقيمت قطعة من الكذال قد تكاس عليها الجير فازلت جانبا منه لعلي اجد كتابة مرقومة عليها تتعلق بالميت فلم أجد شيئا من الامام او من الخلف وشكل هذه القطعة يميل الى الاستطالة

وقد عدت على بعض نواحي إفريز القبر عـوادي الدهر فثلم ثلمتين وسطح الحجر منقوش نقشا اندلسيا جميلا فى اشكال هندسية بديعة.

وبصحن هذا المسجد يوجد ماجل تحيط بفتحته قطعة مربعة من الكذال الاملس طول ضلعها 65 س مر وفوقها دائرة ذات تجاويف من الكذال المذكور غير مفصوله من القطة المربعة ومحيـط هذه الدائرة 50 س.مر وارتفاعها عن المربع 30 س.م وقدر الفراغ المفضي الى الماجل 63 س.م

اما بيت الصلاة فطول حائطه من ناحية الباب الاصلي فاربعة امتـار واربعة وثمانون س.مر وطول حائطه من ناحية المحراب خمسة امتار وسبعة واربعـون س.م .

وسقفه يعتمـد زيادة على حيطانه الاربعة على سبع عرصات من الحجر الاصفر السميك بوسطه اسطوانة مدهونة وقد اهتم بهذا المسجد اخيرا بعض اهل الخير وابتدا بترميمه واصلاحه.

والمشاهد للمسجد وللقبر الآن تظهر له الحالة التي آل اليها الحال وسوء إدرة الاوقاف في عهدها السابق وكأنها جعلت لاتلاف الموقوف عليه من المعاهد والمصالح والمبرات.

ولعمر الحق إنه لكفر بنعمة الله وجحود للفضل واهله وتفريط في آثار الاجداد وطمسها وعدم الاحتفاظ بمعالم التاريخ والتراث القومي سواء في ذلك ما يرجع للعلم أو الادب أو الصناعة أو العمارة أو الفن ، إذ مجموع ذلك له الاثـر الحي الخالد الدال على ما وصلت اليه الامة في مختلف الميادين .

أرشد الله الخلف لتدارك تفريط السلف فيمـا تلف. والله لا يضيع اجر من أحسن عملا واليه المصير.

الاصل المعتمد عليه في التحقيق والنشر

من بين نفائس المكتبة « العبدلية » واعلاقها الثمينة فهرست الرصاع واذ كنت ولوعا بجمع اخبار العلماء والادباء بافريقيا طالعتها فوجدتها مصدرا ثريا يروي الصادي فاحببت نشرها بين رواد المعرفة ولزيادة التحقيق فتشت عن نسخ اخرى للاعتماد عليها فلم اعثر بعد طول البحث والتنقيب الا على نسخة ثانية

النسخة الاولى

هذه النسخة موجودة مع كتاب تذكرة المحبين في اسماء سيد المرسلين للعلامة الرصاع أيضا تحت رقم 918 وخطها واضح جلي قليلة التحريف ولون حبرها يميل الى ما بين السواد والاصفرار وقد عمد ناسخها الى كتابة رؤوس الكلام او الفصول والفاظ الحمد والشكر والصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم وقول المؤلف : « ومن اشياخه » بالحبر الاحمر كما عمد الى تضعيف حجم « واوي » العطف بلون الحبر المكتوب به وفي القليل النادر يكتبها بالحبر الاحمر .

وناسخها احمد بن احمد بن ابي القاسم بن عبد الهادي البسكري انتهى من نسخها عشية الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الثاني من سنة عشر والف وقد نقلها كما قال هي وما بعدها من الاستجازة والاجازة من نسخة بخط الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن زكرياء بن محمد المريني .

ولهذه النسخة اثار سوس قليلة وبهوامشها تنبيهات على ما تكلم عليه المؤلف من مهمات المسائل ونجد بآخر الفهرسة ما يدلنا على تاريخ تأليفها فقد قال المؤلف رحمه الله :

« وابتدأت الكتابة بهذا التأليف في أول ربيع الاول والفراغ منه في وسطه وذلك عام ستة وثمانين » وعدد صحائفها 57 صحيفة ونصف صحيفة ويليها استجازة الشيخ عبد الرحمن المريني من الشيخ الرصاع واجازة الشيخ له في خمس صحائف .

وطول الصحيفة 1/2 29 ـ س.م وعرضها 21 ـ س.م
وطول المساحة المكتوبة من الصحيفة 20ـ س.م ونصف وعرضها 13 س.م
وكل صحيفة خمسة وعشرون سطرا
وقد رمزت الى هذه النسخة بحرف « م »

النسخة الثانية

وجدتها بمكتبة العلامة المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر مع الاجازة المشار اليها سابقا وخطها جميل ودفين غير ان التحريف بها اكثر من الاولى وناسخها مجهول فرغ من نسخها كما قال، يوم الخميس الموفي سبعة وعشرين من شهر ربيع الثاني عام 1234.

ومدادها اسود داكن وكلمات الحمد والشكر والتشهد وكلمة محمد وقال ورؤوس الكلام وواو العطف جميع ذلك مكتوب بمداد أحمر وفي القليل يكتب واو العطف بالمداد الاسود وهو في الحالين يضعف حجمها.

أما هوامشها فخالية من التنبيهات، وعدد صحائفها 75 صحيفة وسبعة عشر سطرا وعدد صحائف الاستجازة والاجازة خمس صحائف وسطران ونصف.

وطول الصحيفة 22 س.م ونصف
وعرضها نصف س م
وبكل صحيفة 24 سطرا وطول السطر 9 س.م ونصف
وقد رمزت الى هذه النسخة بحرف « ن »
وقد ورد في آخر الاجازة في كل من النسختين مانصه :

ورأيت لبعض مشائخنا بخطه يخاطب به في ادخال السرور باجازته.

ابشر فقد نلت ما ترجو وتنتظر — وقد جرى بالذي تختاره القدر
وساعدتك على الايام اربعة — العز والنصر والاقبال والظفر

صيرني الله واياكم من سعداء الدنيا والاخرة ومن علينا بتمام أياديه الزاهرة وختم لنا باسعادنا يوم تكون الوجوه يومئذ ناضرة (1) الى ربها ناظرة (2) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما يؤمننا من الفاقرة (3) قال ذلك وكتبه مستغفرا من ذنبه عبيد الله وابن عبده محمد بن قاسم الرصاع وفقه الله تعالى قال ناسخ «ع» وكتب يعني المؤلف عقد شهادته رضي الله عنه ولطف به فى الدارين بمنه وفضله ءامين

بعد ان تم طبع الفهرست بتعليقاتها عثرت بدار الكتب الوطنية على مجموع تحت رقم 40 باوله نسخة من فهرست الرصاع في القالب الكبير في صحائف 40 وصحيفة واحدة من الاستجازة ومقاس الصحيفة $30\frac{1}{2}$ طولا وعشرين وثمانية مليمتر عرضا وعدد سطورها 31 وخطها جميل وتمتاز بالشكل والضبط لبعض الكلمات

مصادر البحث :

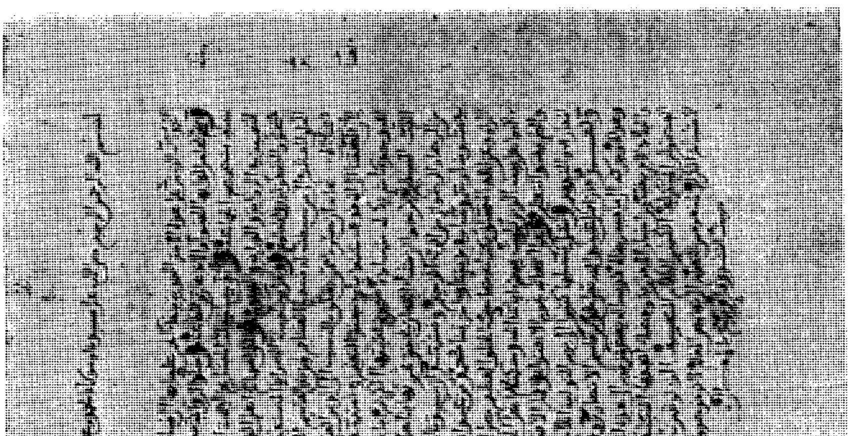
البستان 283 الايضاح 1 ص 276 ـ توشيح الديباج للقرافي خط قلم شجرة النور الزكية 259 فهرست المكتبة العبدلية 84 ـ معجم المؤلفين لكحالة ج 11 ص 137 ـ الاعلام 7 ص 283 هدية العارفين 2 ص 216 فهرست المخطوطات المصورة 1 ص 284 فهرست الفهارس 1 ص 322 ـ الضوء اللامع ج 8 ص 287

---

(1) من النضارة بمعنى الحسن والتنعم والجمال (2) من النظر : البصر بالعين والتفكر في الامر (3) الداهية الشديدة فكأنها تكسر فقر الظهر اي خرزات الظهر وجمع الفاقرة فواقر .



نسخة المكتبة العبدلية(ع)



الصفحة الاولى من نسخه المكتبة العبدلية (ع)

ارحم [illegible] وانظر [illegible]

[illegible]

وارحم [illegible] وارحمنا [illegible]

وارحمنا [illegible] وارحمنا [illegible]

وارحمنا يوم [illegible]

ولا حيا بنا [illegible] وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا [illegible] والحمد لله رب العالمين [illegible]

[illegible] الكتاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

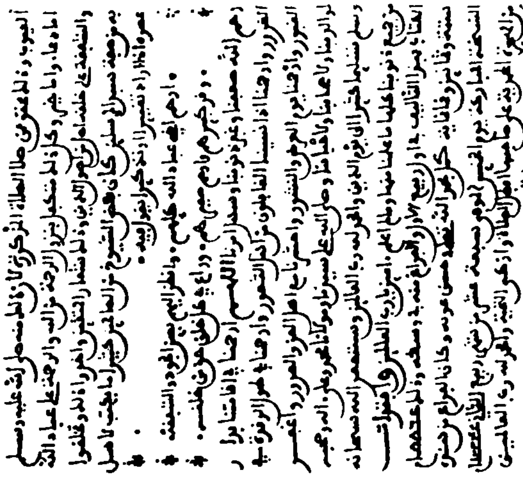
[illegible] الصلاة والسلام

الصفحة الاخيرة من نسخة المكتبة العبدلية (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي من على هذه الامة المحمدية ببقاء الفهم على آيها الى قيام الساعة • وختم لكامل الرواية القبول لدى الاذعان والطاعة • وخلف الرواية بين خلف عن سلف بتصحيح الجماعة • وابقى سلسلة المشايخ لصحة النزوية وحصول التنمية في الرواية والدراية والجمهور الفراسماع اهل الذكر تأسيسا للتحقيق والتحقيق لذوي العلوم • ووصل سلسلة الصراط المستقيم • من يد صاحب الخلق العظيم • الى يوم صفت له ضمنة الغنائم من يد القاسم الكريم اللهم فنحمدك سبحانه اذ صيرنا من نتعلق بالنسب الزكي القويم ونشكر لك ان الهمنا الى الوقوف عند باب جنة النعيم ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نتيجة ابتنائها الاجر باطلها جزء اللب السليم • نرجوا ان شاء الله ان نجني ثمرتها باطلها الثابت من الرضا والرضوان من الرب الرحيم ونشهد ان سيدنا ومولانا وعمدتنا في شرقنا وغربنا في ديننا • اخرتنا محمد بن عبد الله العالم بالله الراوي عن الله المتعلق بجناب صاحب الخلق العظيم • صلى الله عليه وعلى آله واهل بيته الذين تليت فيهم • آيات الله وحكمته بهم اهل التحقيق والتوفيق والتعليم • وعلى اصحابه نجوم الاهتدا وأقمار الاقتدا وشموس المعارف والتعليم • وسلم تسليما كثيرا الى يوم التولية اللاحقة في التقريم وبعد فان افقر عبيد الله تعالى محمد بن قاسم الانصاري وفقه الله تعالى لمرضاته • وحركه الى ما فيه رضاه • برسالة بعض من قدم الى هذه الحضرة العلية والبلاد الافريقية من اخيار المغاربة وفضلاء الفقهاء النبلاء • من لازم مجلس الفضول المتكلف • الكثير الكلام المتعصب • الذي لو طمحت بارقة من الابتهاج الابكار لشفوه من التقدم الى فاجر القتام لعزة صد ورياحين نطق حيث لنشر وقال وتزعم بالخيال •

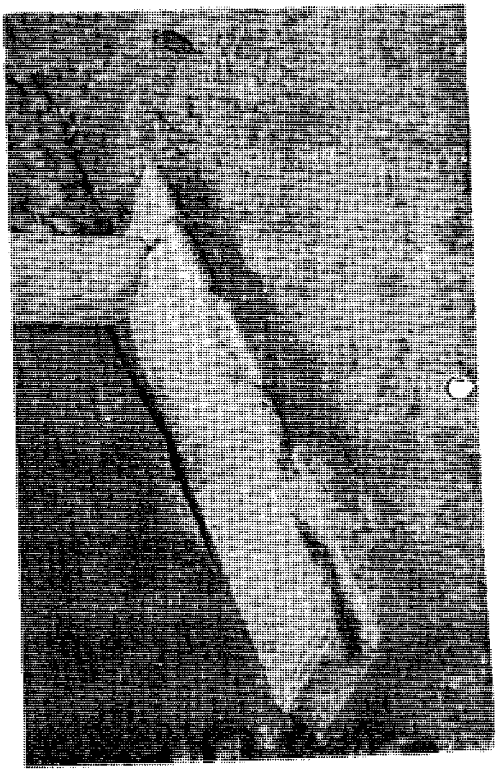
الصفحة الاولى من نسخة (ن)



الصفحة الأخيرة من نسخة (ن)



مسجد الرصاع



قبر الرصاع

فهرست الرصاع

أبي عبد الله محمد الأنصاري

الناشر
المكتبة العتيقة
61 نهج جامع الزيتونة - تونس

تونس
الطبعة الاولى سنة 1967

الحمد لله الذي من على هذه الامة المحمدية ببقاء انجم علمائها الى قيام الساعة وصحح لحامل لوائها القبول والاذعان والطاعة، وخلد (1) الرواية فيمن خلف عمن سلف بتصحيح الجماعة وابقى سلسلة المشائخ لصحة التروية وحصول التنمية في الرواية والدراية والمفهوم وألقى اسماع اهل الذكر شاهدة للتخلق والتحقيق لذوق العلوم، ووصل سلسلة الصراط المستقيم، من يد صاحب الخلق العظيم، الى (2) من سبقت له قسمة الغنائم من يد القاسم النبيء الكريم، فنحمده سبحانه ان صيرنا ممن تعلق بالنسب الى الدين القويم؛ ونشكره لان الهمنا (3) الى الوقوف عند باب جنة النعيم، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شجرة انبتها الكريم، باصلها في جذر اللب السليم، نرجو ان شاء الله ان نجني ثمرتها باصلها الثابت من الرضا والرضوان من الرب الرحيم، ونشهد ان سيدنا ومولانا وعدتنا في شدتنا وعمدتنا في ديننا واخرتنا محمد (4) بن عبد الله العالم بالله الراوي عن الله المتخلق بكتابه صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وعلى

---

(1) في نخ: وخلف (2) في نخ الى يد من (3) وفقنا الى الخير الموصل الى النعيم وفي نخ اهلنا (4) قال في المواهب اللدنية: شقه الله من اسمه « المحمود » كما قال حسان:

وشق له اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ولما سماه جده عبد المطلب بمحمد قيل له: كيف سميته باسم ليس لاحد من ابنائك وقومك؟ فقال: لاني ارجو ان يحمده اهل الارض كلهم، وذلك لرؤية كان رآها عبد المطلب فقد رأى في المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به امه آمنة حين قيل لها: انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا. قال السهيلي: ومحمد منقول من صفة محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار لان المحمد الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك المدح فاسم محمد مطابق لمعناه. ـ 208 ج 1 ملخصا من خزانة الادب للبغدادي طبع السلفية.

وجملة من سمي بمحمد في الجاهلية خمسة عشر شخصا سموا به لما سمعوا من الكهان والاحبار قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ان نبيئا سيبعث في ذلك =

آله (1) واهل بيته الذين تليت فيهم آيات الله وحكمته فهم اهل الحقيقة والطريقة والتعليم: وعلى اصحابه نجوم الاهتداء واقمار الاقتداء وشموس المعارف والتفهيم.
وبعد (2) فان اقل عبيد الله تعالى محمد بن قاسم الانصاري (3) وفقه

= الزمان يسمى محمدا فسموا ابناءهم بذلك رجاء ان يكونوا هم. أشهرهم محمد بن عدي التميمي السعدي ومحمد بن سفيان بن مجاشع التميمي ومحمد بن يزيد بن عمرو ومحمد بن اسامة بن مالك ومحمد بن احيحه ابن الجلاح ومحمد بن براء البكري ومحمد بن اليحمدي الازدي ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن جرماز ومحمد ابن حمران ومحمد بن خزاعي السلمي ومحمد بن عمر بن مغفل ومحمد بن حارث ابن حديج ومحمد الفقيمي ومحمد الاسيدي اه ملخصا 328 ج 3 من خزانة الادب وفيها مزيد بيان لمن اراده .

(1) الآل كالاهل الا انها تطلق على ذوي الرفعة والشرف وتضاف اليها اسماء عيال وطوائف شتى كآل عثمان وآل برمك وآل النبيء : اهل بيته وذوو قرباه الطيبون .

(2) قال جماعة من العلماء : ان قولهم : اما بعد هي فصل الخطاب الذي اعطي داود عليه الصلاة والسلام فهو اول من قالها وقيل قس بن ساعدة وقيل كعب ابن لؤي . قال سيبويه : ومعناها مهما يكن من شيء ، ويفهم من كلام ابي اسحاق انها تاتي بعد كلام سابق فلا يجوز ان يقال ابتداء : اما بعد لانها ضمت لاجل ما حذف منها مما يرفع الى ما تقدم واختلف في علة ضمها على احد عشر قولا وان كانوا قد اجمعوا على ان بعد اذا كانت غاية فسبيلها ان لا تعرف ومثلها كلمة (قبل) واجاز الفراء ان يقال: اما بعدا بالنصب والتنوين كما اجاز اما بعد بالرفع والتنوين واجاز هشام اما بعد بالفتح ولاحظ ابو جعفر النحاس ان ما اجازاه غير معروف .
والجيد ان يقال اما بعد اطال الله بقاءك ويصح ان يقال بعدها اطال الله بقاءك فاني الخ او اما بعد فاطال الله بقاءك اني او اما بعد فاطال بقاءك فاني الخ ويجوز عوض الفاء ان تاتي بثم فتقول : اما بعد ثم اطال الله بقاءك فاني او ثم اني – ملخصا من تهذيب الاسماء واللغات ص 28 ج 1 من القسم الثاني . (3) الانصاري نسبة الى الانصار جمع ناصر والمراد بالانصار قوم نصروا النبيء صلى الله عليه وسلم من سكان المدينة من الاوس والخزرج وقد صار لفظ الانصاري اسما خاصا لهم غلب فيه جانب الاسمية على جانب الوصفية ولهذا نسب اليه على لفظه فقيل انصاري وقد جرت عادة الايمة الحذاق المصنفين في الاسماء والانساب ان ينسبوا الرجل النسب العام ثم الخاص لتحصل بالثاني فائدة لم تكن لازمة فيقولون مثلا فلان بن فلان القرشي الهاشمي لانه لا يلزم من كونه قرشيا كونه هاشميا =

الله تعالى وهداه وحركه الى ما فيه رضاه ، قد سأله بعض من قدم الى هذه الحضرة (1) العلية والبلاد الافريقية من اخيار المغاربة وفضلاء الفقهاء النبلة ممن لازم مجالس الفضولي (2) المتكافف ، الكثير الكلام المتعسف ، الذي لو ظهرت بارقة (3) من الاشياخ الكرام لمنعوه من التقدم الى نفائس المقام . لكن قد صدق وبالحق نطق . حيث انشد وقال (4) . وبرح بالمقال .

= ولا يعكسون فيقولون: الهاشمي القرشي فانه لا فائدة في الثاني حينئذ فانه يلزم من كونه هاشميا كونه قرشيا فان قيل: ينبغي ان لا يذكر القرشي بل تقتصرون على الهاشمي فالجواب انه قد يخفى على بعض الناس كون الهاشمي قرشيا ويظهر هذا الخفاء في البطون الخفية كالاشهل من الانصار فيقال: الانصاري الاشهلي ولو اقتصر على الاشهلي لم يعرف كثير من الناس ان الاشهلي من الانصار ام لا وكذا ما اشبهه فذكروا العام ثم الخاص لدفع هذا الوهم وقد يقتصرون على الخاص وقد يقتصرون على العام وهذا قليل ثم انهم ينسبون الى البلد بعيد القبيلة فيقولون . القرشي المكي او المدني واذا كانت له نسبة الى بلدين بان يستوطن احداهما ثم الاخرى نسبوه غالبا اليهما وقد يقتصرون على احدهما واذا نسبوه الى احدهما قدموا فقالوا : المكي الدمشقي والاحسن المكي ثم الدمشقي . واذا كان من قرية بلدة نسبوه تارة الى القرية وتارة الى البلدة وتارة اليهما وحينئذ يقدمون البلدة لانها اعمر فمن كان من خراسان التي هي قرية من قرى الغوطة احدى كور دمشق فيقولون: فلان الدمشقي الخرساني وقد يقولون في مثله : الشامي الدمشقي الخرساني فينسبونه الى الاقليم ثم الى البلدة ثم الى القرية وقد ينسبونه الى الكورة فيقولون : الغوطي الخرساني او الشامي الدمشقي الغوطي الخرساني . واذا اقام الانسان في بلدة اربعين سنة نسب اليها وينسبون الى القبيلة (المولى) لقوله صلى الله عليه وسلم : موالي القوم من انفسهم وسواء كان مولى عتاقة وهو الاكثر او مولى حلف أو مولى اسلام بان أسلم بعض اجداده على يد واحد من القبيلة كالبخاري امام الحديث مولى الجعفيين اسلم بعض اجداده على يد واحد من الجعفيين وقد ينسبون الى القبيلة مولى مولاها كابي الحباب الهاشمي مولى شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - اهـ ملخصا من سمط اللئال ج 1 ص 35 بالاحمدية رقم 1324

1) يريد مدينة تونس (2) المتعرض لما لا يعنيه

3) البارقة عند الصوفية لائحة ترد من الجناب الاقدس وتنطفي سريعا وهي من اوآئل الكشف ومباديه واصلها في اللغة السحابة ذات برق

4) يقال برح به الامر جهده وآذاه اذى شديدا.

لعمر (1) ابيك ما نسب المعلى (2) الى كرم وفي الدنيـا كريم

(1) العمر بالضم والعمر بالفتح واحد الا انه لا يستعمل في القسم الا بالفتح ومعناه مدة بقائه حيا وكره كثير من العلماء منهم مالك ان يقول الانسان: لعمري لان معناه وحياتي ومن فضائل النبيء صلى الله عليه وسلم التي اختص بها ان الباري جل جلاله اقسم بحياته في قوله : (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) ولم يقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده .

وقيل: معنى لعمرك اصله بضمة العين ولكن فتحت لكثرة الاستعمال وهو بمعنى وبقائك يا محمد وقيل: وعيشك وقيل: وحياتك . ومع الكراهة المشار اليها فان الناس لا يتركون استعمالها وقد استعملها ابن عباس في جواب ابن الازرق اذ قال له : وكتبت الي تسألني متى ينقض يتم اليتيم فلعمري ان الرجل لتنبت لحيته وانه لضعيف الاخذ لنفسه الخ .

واللام في (لعمر) للابتداء والخبر محذوف وجوبا لكون المبتدإ صريحا في القسم اي لعمر ابيك قسمي فان كان مجردا من التعريف كقولك في باب القسم: عمرك الله بنصب عمر ويجوز الله بالنصب والرفع وعمر مصدر محذوف الزوائد لان فعله عمر بالتشديد ويقال: عمرتك في القسم ومعناه ذكرتك الله او عمرت قلبك بذكره قال الشاعر:

ايها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت ... وسهيل اذا استقل يماني

وقال الزمخشري: وعمرك الله اي اسأله ان يطيل عمرك والعمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم الا بالفتح ولعمر الهك قسم ببقاء الله ودوامه اه ونقل الصفدي عن المواهب انه قسم عند الحنفية والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتأكيد القسم.

وتحقيق القول كما قاله الخفاجي في شرح الشفاء العمر بالفتح مصدر عمر المشدد واصله التعمير حذفت زوائده وله معنيان تعمير الله اياك او قلبك وهو على هذا صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا ما جنح اليه الحنفية والنحاة ، والعمر بالضم مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده بالدنيا فلا يصح القسم به شرعا لكن الله له ان يقسم بما شاء كقوله تعالى: « والضحى والليل اذا سجى » فالضم اصل في هذا المعنى لاختصاصه به في غير القسم فاذا اريد بالمفتوح هذا لا بأس ان يقال انه من قبيل معناه او معدول به عنه ويؤيده ما في شرح ادب الكاتب للاقليلي انه سمع نادرا لعمرك بضم العين واذا لم يرد هذا المعنى في قسم الناس صح ان يقال: انه كناية لتوقفه على النية كالمشترك واما العرب فيقسمون بما ارادوا فلا منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره الفقهاء . اه ملخصا من الف باء 138 ج 1 =

ولكن البلاد اذا اقشعرت (1) وصوح (2) نبتها رعي الهيشم (3)

ولكن التشبه بالقوم مطلوب والدخول في سلك طريقهم وان بعد السالك من رفقهم محبوب فرغب مني الفقيه الخير المشارك الالمعي (4) المذكور بان اجمع لهم روايتي عن مشيختي وتعيين من رأيناه وقرأنا عليه من شيوخي وسادتي وذكر الكتب المقرؤة التي قرأناها على من قرأت وماورويت وماصح فيها من سندها (5) عن اشياخنا الجلة الاعلام من شيوخ الحضرة وغيرها ومن اشياخ المغاربة وغيرهم اسكنهم الله دار السلام ليكون ذلك كما جرت به عادة المشائخ في فهرستهم (6) لان في ذلك رعاية بهم ليبقى من مشائرهم وتنزل الرحمة بذكرهم ويرحم من بعدهم عليهم فاجبته لذلك جواب مختصرا لامطولا ولامكررا والله سبحانه يحمل الجميع على مافيه رضاه ويصيرنا ممن خالف عقله هواه ويبصرنا بعيوبنا ويسترنا يوم لقاه

= والخفاجي على الشفاء ج 1 ص 335 - 336

(2) - من ص6 - يحتمل ان يريد به علم شخص ويحتمل انه اراد به القدح السابع من قداح الميسر العشرة وقد نظمها محمد بن ابي بكر الرازي في قوله:

الفذ والتوأم والرقيب والحلس ثم النافس المعيب
ومسبل ثم المعلى الاعلى وبعده ثلاثة تخيب
وهي السفيح بعده المنيح والوغد فاحفظ هكذا الترتيب

فالاول له نصيب من الجزور وللثاني نصيبان وللثالث ثلاثة وللرابع اربعة وللخامس خمسة وللسادس ستة وهو اعلاها.

اما الثامن والتاسع والعاشر فمحرومة لا نصيب لها. وقد جرت عادتهم بوضع القداح في ربابة تشبه كنانة السهام وبعد اجالتها تسلم في يد الحكم فيخرجها بانفراد على اسم كل واحد من الجماعة ويستلم كل واحد من السبعة الاول مقدار مافاز به من لحم الجزور ويتصدقون به على الفقراء ولا يرون اكله واما الثلاثة الباقون فمن خرج له سهم منها غرم ثمن الجزور وكانوا يعيبون من لا يدخل عليهم في الميسر ويسمونه برما اه ملخصا من سفينة الراغب ص 637.

(1) بمعنى اجدبت لعدم نزول الغيث (2) يبس وتشقق (3) النبت اليابس المتكسر.

(4) ومثله اليلمعي الذكي المتوقد (5) المراد الطريق الموصل الى متن الحديث (6) الكتاب تجمع فيه اسماء الكتب ومن اخذ عنهم وذكر بعض حالتهم في التدريس ورواية الحديث والقراءات ونبذ من حياتهم العلمية والكلمة فارسية معربة ج فهارس.

يقول عبيد الله محمد بن قاسم الانصاري نسبا التلمساني (1) مولدا التونسي تربية ومنزلا وقراءة (2) الرصاع شهرة أشرف وأعظم ما أرتجي به رحمتي واقالة عثرتي تسميتي باسم نبيه الكريم وان كنت في وصفى شبيها بالعبد الآبق اللئيم واحسن ماتعلق به طالب العلم وتخلق صبره فى مؤلم ضرائه، وشكره فى ملاذ

---

(1) نسبة الى مدينة تلمسان بكسر المثناة من فوق وكسر اللام وسكون الميم وفتح السين المهملة والف ونون مدينة مشهورة من ولاية وهران وبعضهم يقول: تنمسان بالنون بدل اللام يبلغ ارتفاعها عن البحر 840 مترا وتقع فوق نجد مشرف على وادي صفصف وموقعها من احسن المواقع وبارتفاعها كان مناخها شبيها بمناخ اروبا وتنبت بها غلال كثيرة كما ينبت بسهلها الحبوب والزيتون وكانت دار علم وحضارة في عهد ملوكها من بني عبد الواد وقبل الاستعمار الفرنسي كانت على اقسام ثلاث:

الاول حي * القول اغلية * وبه المشور وهو قصر السلطان من الموحدين والايمة الرستميين

الثاني حي * الوسط * وبه يسكن اليهود

الثالث حي * الحضر * وقد اقام به الفرنسيون بعد الاحتلال واحدثوا به الطرق الواسعة وقد بقي بالمدينة القليل من مباني المرابطين

والصناعة بها تنحصر فى المنسوجات الصوفية والدباغة والزيت والمراكب والسروج وخشب البنادق وكانت قبل الاستعمار قطب الحركة التجارية الاكبر وكان اليها مقصد التجار من الاقطار واحسن ما بها الخيل الراشدية اه تقويم البلدان 136 - 437 التبيان فى تخطيط البلدان ج 1 ص 270 معجم البلدان ج 2 ص. 44 طبع دار صادر - دار بيروت

(2) من رصع المصنف الذهب بالجوهر واللوح بالصدف نزلهما فيهما ومنه قول الشاعر:

اذا كان كافور التجا　　رب ذر في مسك الذوائب
فاللـيل احسن ما يكو　　ن اذا ترصع بالكواكب

واللوح المستعمل فى الغالب (الجوز) والشان (البلوط) وغيرهما من الانواع المخصصة بذلك وتكون على اشكال هندسية مختلفة لأوجه الابواب والنوافذ والسقوف والدرابيزين والحواجز من الاقضبة والقطع المشتبكة والرفوف والصناديق الكبيرة والصغيرة ومحامل الكتب والمنابر والمقاعد والاطباق. والغالب فى هذه الاشياء ان يقع تخريبها بالنقش فقط او به وبتنزيل الصدف فيها والعاج.

وقد كانت قطع الاثاث بسيطة في تكوينها بتركيبها في السابق ثم تسربت اليها الزخرفة والزخرفة تظهر في امورستة: =

سرائه، لان أصل العلم مبنى على الفقر والصبر ، والشكر والحلم والذكر ، وهو كنز لاينفد وعز لايزول ولايتجرد ، ممن صير السكينة لباسه ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والقرءان إمامه ، فمن تخلق بهذه الصفات ، وتحقق بها في جميع الحالات ، ظهرت عليه الكرامات ، واستوت عنده الحالات ، عند الحاجات ، ووقف عند باب الكريم وانشرح لبه بالايقان ، وكره الله له الكفر والفسوق والعصيان ، وحببه فيما يقربه من الرحمن ، ومن نكب عن التخلق بصفة الاخيار ، تمكنت منه النفس الامارة بكيد الفجار وحملته على محبة العاجلة وترك الآخرة واشربت فى قلبه حب الرئاسة المعقبة للاكدار ، كلا انها محبوبة خائنة غادرة مكارة تتجلى لعاشقها بجلوة العروس (1)، ثم تعود عليه بالمحن والاثم والبؤس إن اضحكت ابكت وإن فرحت فرحة احزنت ابد الابد وان اولت عزلت واذهبت العيش الرغد (2) لا يقوم خيرها بشرها ولا يدوم

= 1 النقش ـ 2 والقطع لقطع فنيــة ـ 3 التنزيل ـ 4 تغشية القطع بصفــائح من الخشب الثمين ـ 5 ادماج قطع اللوح والزخرفة مع بعضها ـ 6 تنزيل الصدف.

وبما ان جفاف الالواح يجعلها عرضة للتشقق من الرطوبة او الحرارة فقد فكروا في ذلك حفظا للاشكال الهندسية وجمالها الفني ورأوا جعلها فى قطع صغيرة تنظم طبق المرغوب بتشبيك بعضها في بعض وبهذا تكون فراغات بين القطع الخشبية المرصعة لا يفسدهــا جفاف اللوح والحرارة او انضغاطه بالرطوبة والتعبير العربي وهو « الترصيع » قد عبر به فى الايطــالية بقولهم « ترس » tarsi ويعبر عنها بالالمانية « ترصيا » tarsia وباللغة التركية « ترس » مثل الايطالية كما يقولون رزي « rasi »

وهذه الطريقة تتطلب جهودا جبارة وكبير عناية ودقة نظر وصبرا عظيما اذ لا يخفي أن مصراع باب او متكأ مقعد تتألف من آلاف القطع مع رعاية التناسق بين الاشكال ذات الاضلاع العديدة والنجوم

وقد تميز فى هذه الصناعة الدمشقيون والاتراك واهل القدس وبيت لحم وزاحموا مصنوعات الصين النفيسة ذات الروعة والجمال وهي من اقدم الصناعات منذ عهد سحيق.

ولبعدها في درجات الكمال قل من يرغب فيها حتى من الاغنياء وهذا هو السبب الاصلي في الرغبة عنها حتى كادت ان تندثر بتونس بل اندثرت ولم يبق لها اهتمام الا ببلاد الشام وتركيا فى نظر بعض الهواة.

(1) العروس: الرجل والمرأة ما داما في عرسهما (2) الطيب المتسع

نميمها بمكائد مكرها.

لقد طفت في تلك المعالم كلها وصيرت طرفي (1) بين تلك المعالم

فلم ار الا واضعا كف حائر على ذقن او قارعا سن نادم (2)

شاهدناكرائم ما تميل اليه نفوس خطابها وتعشق به نحارير (3) طلابها فرأينا عدالتها وقضاءها وتدريسها وامامتها وفتيتها وخطبتها، فكل عاقل كيس (4) ينادي باقالة العثرة منها لان العقل له مبدأ ومسرح فعند مبدئه يتحير واذا وصل الى مسرح سدرة (5) المنتهى منه يتذكر ويعلم انه كان في مبدئه في غرور، وظهر له ان سروره انقلب الى شرور، وعلم انه كان من النائمين، ومبدؤه لو دام عليه لكتب من الخاسرين فمن كان عقله عند مسرح سدرة المنتهى نهى نفسه عن الشهوات ولهى ورضى بما قدر لنفسه عليها ولها، فيكثر في مناجاته ويتضرع في تجلياته، وعرائس خلواته كما يحكى عن بعض الابرار انه كان لاهجا به في الاسحار: الهي كم من بلاء جاهد صرفت عني وكم من نعمة سابغة اقررت بها عيني ومن صنيعة كريمة لك عندي انت الذي اجبت عند الاضطرار دعوتي. واقلت عند العثار زلتي وأخذت من الاعداء بظلامتي ربي اوزعني (6) ان اشكر

1) العين (2) قرع عليه سنه: ندم (3) ج نحرير: الحاذق الفطن العاقل (4) الظريف الفطن، (5) السدر: النبق وسدرة المنتهى شجرة في اقصى الجنة اليها ينتهي علم الاولين والآخرين ولا يتعداها، ولم يجاوزها احد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في السماء السادسة وفي حديث آخر في السابعة وجمع بان اصلها في السادسة ومعظمها في السابعة وهي على يمين العرش وقيل اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيفيض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيفيض منها، وفي الحديث رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة وفي حديث آخر يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة عام ويستظل في الفنن مائة الف راكب فيها فراش من ذهب كأن ثمرها القلال.

وقيل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو أن ورقة منها وضعت في الارض لا ضاءت لاهل الارض، وهي طوبى التي ذكرت في سورة الرعد هكذا قال في معالم التنزيل. اه من مرتضى الزبيدي شرح القاموس 261 ج 3 لسان العرب ج 8 ص 440، كشاف مصطلحات الفنون ج 2 ص 728 طبع الهند — (6) الهمني.

نعمتك التي انعمت بها علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين . فهكذا ينبغي ان يكون تخلق الطالب للعلم وهجيراه (1) لكي يخالف نفسه وهواه ويثبت الله في قلبه العلم ويبلغه به مناه، وان نسي الله تعالى انساه نفسه وبلغ رمسه بلواه وعلمه يناديه بالعمل، فان اجابه والا فعنه قد ارتحل، فلم يبق معه الا القيل والقال(2)، وكثرة اللغو والهجوم والسؤال واعجاب الرأي وتصغير الرجال، والجهل بالنفس والتخلق بتركيب الجهال، يجهل ولا يعلم انه جاهل بجهله ويتعرض للعطب ولا يشعر بقواه ويتفاخر بالدعاوي ، وهو عند اهل العناية من التوفيق خاوي (3) ، سفاك لدماء العلماء ، سفاه لمشيخة القدماء عاكس لحكمة الشرع في تعظيم المتقدمين ؛ مخالف للكتاب في الدعاء للاخوان المؤمنين ؛ فمن كانت هذه في العلم بدايته كان موت قلبه هو نهايته. ومن مات قلبه ساء ذنبه وكبر مقته (4)، ورأيت بخط بعض مشايخي ينشد لبعض

---

(1) دأبه وعادته (2) بمعنى فضول القول الموقع في الخلاف مأخوذان من القول يعربان بمقتضى العوامل وقيل هما في الاصل فعلان ماضيان جعلا اسمين استعملا استعمال الاسماء وابقي فتحهما ليدل على ما كانا عليه قال في المعجم الوسيط وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال ويروي عن قيل وقال بلفظ الماضي اي عن فضول القول مما يوقع الخصومة بين الناس' وقال في شرح القاموس القال والقيل والقالة في الشر خاصة وردت هذه للتفرقة وضعفت لو رود كل من القال والقيل في الخير وناهيك بقوله تعالى ؛ يارب ان هؤلاء * الاية * او القول مصدر والقيل والقالة اسمان له وفي الحديث (نهى عن قيل وقال واضاعة المال' الفراء : القال في معنى القول مثل العيب والعاب وقال ابن الاثير في معنى الحديث : نهى عن فضول ما يتحدث به المتخالفون من قولهم : قيل كذا وقال : كذا قال : وبناؤهما على قولهما فعلين محكيين متضمنين للضمير والاعراب على اجرائهما مجرى الاسماء خلوين من الضمير ومنه قولهم : انما الدنيا قال وقيل وادخال حرف التعريف عليهما لذلك في قولهم : مايعرف القال من القيل قلت وعليه اتى قول الشاعر « ما لذة الحب الا القيل والقال» اه ماخصا من البستان والاساس والقاموس وشرحه (3) بمعنى خالي.

(4) البغض الشديد

طلبته يحظه بالتخلق فيما يحمد به في عاقبته .

صبر الفتى لفقره يجله   وبذله لوجهه يذله
يكفي الفتى من عيشه أقوله   والخبز للجائع ادم(1) كله
وماؤه ان جفه يبله   وحائط لمسجد يظله
والموت يأتي بعد   هذا كله

وأصل هذا قول ناصح الامة صلى الله عليه وسلم : القناعة كنز لاينفد .
وكتب الشيخ الصالح الامام الدوكالي (2) القديم نزيل

---

(1) ج ادام : ما يؤكل مع الخبز من كل ما يوافق ويلائم ومنه ادام الطعام (2) ابو عبد الله محمد الدوكالي لا ابو حفص عمر كما يقوله صاحب درة الحجال ولا المعلق على شجرة النور الزكية . وقد نعته ابن مرزوق بالشيخ الولي الصالح الزاهد كان بتونس في حدود 770 لا ينتسب للخلق ولا يخالطهم لا عامتهم ولا خاصتهم ولا يحضر الجمعة ولا الجماعات ولا يصلي مع الناس في الجوامع في جماعة فرموه بالزندقة وشن عليه ابن عرفة وبحث عن سبب امتناعه من الصلاة مع الناس فقيل له لان الايمة يأخذون الاجرة على الصلاة فزاد بذلك اغلاظا عليه في التشنيع فرحل الدوكالي الى مصر فكتب ابن عرفة كتابا لاهل مصر ومما ورد فيه قوله :

يا أهل مصر ومن في الحكم شاركهم   تنبهوا لقبيح معضل نزلا
لزوم فسقكم أو فسق من زعمت   اقواله انه بالحق قد عدلا
في تركه الجمع والجمعات خلفكم   وشرط ايجاب حكم الكل قد حصلا
ان كان شأنكم التقوى فغيركم   قد باء بالفسق حتى عنه ما عدلا
وان يكن عكسه فالامر منعكس   فاحكم بحق وكن للحق ممتثلا

فاجابه السراج البلقيني :

ما كان من شيم الابرار ان يسموا   بالفسق شيخا على الخيرات قد جبلا
لا لا ولكن اذا ما ابصروا خللا   كسوه من حسن تاويلاتهم حللا
اليس اذ قال في المنهاج صاحبه   يسوغ ذاك لمن قد يختشي زللا
وقد رويت عن ابن القاسم العتقي   فيما اقتصرت كلاما اوضح السبلا
ما ان ترد شهادات لتاركها   ان كان بالعلم والتقوى قد احتفلا
كذا الفقيه ابو عمران سوغه   لمن تحمل خوفا واقتنى عملا
نعم وقد كان في الا علين منزلة   من جانب الجمع والجمعات اعتدلا
كما لك غير مبد فيه معذرة   الى الوفاة ولم يثلم وما عدلا
هذا وان الذي ابداه متضح   اخذ الايمة اجرا منعهم نقلا
وهب بانك راء حله نظرا   فما اجتهادك اولى بالصواب ولا

سوسة (1) رحمه الله ونفع به لبعض الطلبة من أولاده فنهاه عن تشوف (2) نفسه

= (تابع) ووفاة الدكالي كانت بمصر كما سبق ذكره بالاصل ملخصا من الحلل السندسية للوزير السراج ج 1 ص 325

(1) بضم السين المهملة وسكون الواو وفتح السين الثانية وهي مدينة تقع على الساحل في جنوب تونس وشرقيها وهي في طرف داخل في البحر وبها اسواق وفنادق وحمامات قال الادريسي : وهي عامرة بالناس كثيرة المتاجر والمسافرون اليها قاصدون وعنها صادرون بالمتاع الذي يعدم قرينه من انواع الثياب والعمائم المنسوبة اليها وهي اعظم مدن الساحل اسسها الفنيقيون وتسمى في العهد الروماني «هدروميطوم» : حضرموت لنزول تجار حضرموت بها في العهد الفنيقي اذ كانت لهم تجارة مع الفنيقيين وهي مدينة مليحة برية بحرية حولها بساتين وثمار وهي في نفسها محكمة متقنة العمل مؤسسة بقرة وكلها صخر منحوت وفيها رباط متسع عجيب مليح جدا ينزله الحجاج والمسافرون وقد سحب الزمان على الكل ذيل البلى ورمى الداخل والخارج بسهم النوى فعادت بعد الصون برزة مكشوفة وصارت محاسنها منحوتة مكسوفة فخضعت خضوع العزيز ان ذل وخشعت خشوع الكثير اذا قل ترنوا الى البر والبحر بمقلة خائف وتحاذر منهما انواع المتالف لا ترى بها زعيم محبر ولا فارس دفتر قد خرس بها لسان الطلب وعاد لفريق الجهل على فيئة العلم الغلب فالحقت بها اثار كل فضيلة وصبرها الجهل معرسه ومقيله تلاشت قواها فلم يلق بها الا رمق وكساها الزمان ثوب الهوان وامحى رونقها وامحق لا تمد في الامن ساعة من الدهر باعا ولا تمير فتشبع اهلها جياعا وجامعها المليح قد علا عليه الشحوب وابلى حسنه وقائع الخطوب نازلته وليس له يدان للدفاع فاستكان واطرق اطراق الشجاع وما عصم من ريب الزمان فريق ولا اعصم معتصم بذروة نيق وبالله الاستعانة والتوفيق.

وكان للعلماء رغبة في سكناها وظهر بها افذاذ كيحي بن عمر وضريحه بها معروف وعبد الحميد الصائغ وبشاطئها مقام ابي جعفر وممن اشتهر بها ابو عبد الله محمد بن عمران «ابوراوي الفحل»

وقد احاط بها البحر من ثلاث جهات : الشمال والجنوب والشرق وفي ركنها بين الغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلف الفتى وقد اشتهرت بملعبها الذي هو بنيان عظيم من بقايا الاولين ذو افناء مرتفعة واسعة معقودة بحجر الشف الخفيف الذي يطفو على الماء مجلوب من صقلية وحوله اقباء كثيرة متصلة ببعضها وحول المدينة اثار عظيمة قديمة وبنيانها كلها بالصخر وهي مخصوصة بكثرة الثمار والمتاع واللحم كخصب مراعيها وبخارجها محارس واربطة وبداخلها المحرس العظيم مشيد عليه سور عظيم ويعرف بقصر الرباط وبداخله حصن ثان يسمى القصبة وقد امتازت المدينة بجودة الحياكة فقد كان المثقال من فائق الغزل يباع بمثقالين =

الى ماجرت به عادة أقرانه من الخطة، التي تعود الى الحطة سيما الشهادة (3) لانها حامات للشر عادة، ثم قال يا أخي لا تكن من الطلبة الذين تعرضوا بالعلم الى سخط الله فأن العلم عند الله شريف فلا يجعل لامر خسيس. وان كثيرا من الطلبة رأيتهم قد نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ثم قال :

مفتاح رزقك تقوى الله فاتقه   وليس مفتاحه رزقا ولا طلبا
والعلم أشرف شيء أنت لابسه   فاجعل له علمين العلم والادبا

يقول الفقير الى عفو الله تعالى : ومن نظر في مرءاة نفسه في ابتداء عمره وانتقاله في سنه ازداد تبصرة وتفكرة وحقق أن الافعال بعيدة عن القبول والاخلاص فيها الذي هو روحها ليس لوجوده سوى افعال صارت عادة وقوالب خارجة عن طريق السادة. وعندي أيام الصبا «4» هي اسلم من سن البلوغ والكبر وانجى من الآفات الواردة من تخيل الصور؛ ومحبة الاثر. فلنذكر حالاتي وتنقلاتي وقراءتي ومشاهداتي :

نشأته وابتداء امره :

لما بلغ السن مني سن من يعقل، من الله علي برجل من العباد، من ساكن العباد«5» مقر ولي الله العارف بالله سيدي ابي مدين «6» نفع الله به ورضي عنه مؤدب لكتاب الله بمسيده «7» عند المغاربة وهو المكتب عندنا على يمين باب درب «8» مسوفه الدرب الذي كنت اسكن فيه وكان رجلا يلبس كساء خشنا وعليه هيبة كثير القبض قليل البسط قرأت عليه ابتداءا كتاب الله تعالى ومبادي ما تتوقف القراءة عليه ثم سافر المؤدب وخلا المكتب.

= من الذهب وبها تقصر الثياب الرفيعة واليها تنسب الثياب السوسية الرفيعة وجامعها بني في ولاية احمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم سنة 236 على يد ,, مدام ‘‘ وقد كتب في حجر البيت القائم بصحند نقشا : ,, القرءان كلام الله ليس بمخلوق ,, وكذلك كتبت اعمدة الجامع وقد عرف اهلها بالبأس والنجدة ـ معجم البلدان ج 5 ص 173 طبع السعادة ـ رحلة البلوي قلم ـ تقويم البلدان 144 —

= 145 لابي الفداء - رحلة التيجاني - رحلة الورتلاني.

(2) النظر والتطلع اليه

(3) يريد خطة العدالة وهي من الخطط النبيهة اذ بها تضبط الحقوق في المال والدماء والانفس والاعراض فهي قوام العدل ومعناها : تعلق امر بمعين يوجب حكما عليه وكان في عهد ليس ببعيد جدا يؤخذ من ابرز المباشرين للتوثيق المعروفين بالاجادة والنزاهة، قضاة شرعيون.

(4) الصغر ومثله الصباء (5) من الرباطات المشهورة وهو مجموع منشئات خيرية اقيمت بالقرب من تلمسان حول ضريح ابي مدين والرباط في الاصل مكان اجتماع الفرسان تأهبا لرد حملات يقام على الثغور وهو في الحق مكان ديني حربي اختص به المسلمون ويحتوي على بيوت سكنى ومستودع للسلاح والمؤونة وبرج للاشارة وكثير من اهل الفضل يقيمون رباطات على نفقاتهم غيرة على الدين وينخرطون في سلك المقيمين بها واهم رباطات افريقيا رباط المنستير اقامه هرثمة بن اعين سنة 179 هجري 821 م وحاميات الرباط تستبدل عدة مرار في السنة ومن يقيم فيها من غير الجند يسمى مرابطا ورباط العباد بضم العين ثم باء مضعفة مرتفع جميل خارج تلمسان كان مدفن الاولياء والعلماء وهناك موضعان عرفا باسم العباد احدهما يسمى العباد الفوقي وكان بعيدا نوعا ما عن المدينة والثاني العباد السفلي وكان بباب الجياد من ابواب تلمسان.

(6) شعيب بن الحسين كما قال في الدبياج وابن الحسن كما في الزركشي الاندلسي من حصن * منتوجب * من ناحية اشبيلية توطن * بجاية * وكانت مدينة العلم تبرز في الزهد وانقطع الدراسة التصوف حتى صار وحيد دهره وتوافد عليه العلماء للاخذ عنه والاستفادة منه مثل ابي علي المسيلي وعبدالحق الاشبيلي وقد سعى ضده بعض المبطلين لدى خليفة مراكش الموحدي فطلبه للحضور لديه وتأثر لفراقه طلبته وتألموا من ذلك فطمأنهم بقوله : لاعليكم شعيب شيخ كبير ضعيف لاقدرة له على المشي منيته قدرت بغير هذه البلادة ولا بد من الوصول الى محل المنية والقوم لاأراهم ولا يرونني. فارتاحت نفوسهم وبوصوله الى رباط العباد بتلمسان طلب من اصحابه ان ينادوا هناك فناموا فوافته المنية به ومكانه يعتبر اهم المعالم الاثرية وكانت وفاته في حدود عام 590.

10 ليس بالمسجد سيد أو سيدة وانما هو تحريف عن لفظ مسجد الى مسيد باسقاط الجيم للثقل على اللسان بعد السين وهذا الاستعمال جار باللهجة المغربية والجزائرية فقد جرى استعمال المغاربة على كلمة مسجد الى مسجيد ولا يزالون ينطقون بها كذلك الى الآن وبعضهم ينطقون بها مجردة عن الجيم وهذا قد جرى عن السنة التونسيين فقيل (مسيد المشرف) و(مسيد القبة) فالاولى للمسجد المدفون به الشيخ حسن مسكة والثاني للمسجد المعروف بنهج تربة الباي كما طلقت كلمة (مسيد) على ضريح ابي الحسن القلصادي بضاحية من ضواحي =

لوباء كان توفي فيه اهل المسيد من صبي وفاضل ومجيد ، الا من افسح الله له في الاجل ، وسبق في سابق علمه أنه ممن يبلغ به الامل . «تنبيه واعتقاد» في السيد الولي المدفون بالعباد وقفت على روضته الشريفة وتبركت بآثاره المنيفة . وله مقام عظيم ، وفضل جسيم . تأتي اليه الرجال من الصين . ويرحل اليه اهل الهند من اهل الدين . والدعاء عند ذكره مستجاب وهو ممن احب الله في الاحباب ولعل ان شاء الله ان انال من بركته في الدنيا والآخرة وقد نلت والحمد الله في الدنيا لطفه الجميل بنعم باطنة وظاهرة . وارجو من الله تعالى ان أنال في الاخرة من اياديه الزاهرة . وما ذلك والله اعلم الا ان الجد الرابع من الوالد رحمه الله تعالى كان نجارا يرصع المنابر ويزين السقوف المفاخر ولما بنى الجامع المبارك بالعباد واحتاجوا للخطبة طلب السلطان على معلم صانع يصنع منبرا (1) عظيما مرصعا بانواع الابيض

= باجة ولكثرة الاستعمال بتونس حذفت الميم فصارت الكلمة (سيد) بكسر السين

(7) مسوفة قبيلة عظيمة من البربر تمكنت بعد الخمسمائة عند اختلال دولة المرابطين كل امرأة من اكابر هذه القبيلة ومن قبيلة لمتونة البربرية من الاشتمال على كل مفسد شرير مقاطع للامور ولم يبق لامير المؤمنين الا التمتع باللقب وبما يرفع اليه من خراج عاكفا على العبادة مع اهمال لامور الرعية وهذه الحالة هي التي هيأت النجاح لدعوة ابن تومرت

(1) مشتق من النبر وهو ارتفاع الصوت يقال : نبر الرجل نبرة اذا تكلم كلمة فيها علو فسمي المنبر منبرا لما فيه من العلو والارتفاع اي الاشراف

واول من اتخذ المنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع وقيل سنة ثمان وكان اول امره يخطب يوم الجمعة على جذع نخلة ثم صنع له نجار وهو غلام من الانصار يسمى « مينا » منبرا ولما قعد عليه النبيء صلى الله عليه وسلم صاحت النخلة حتى كادت ان تنشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخذها وضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت فقال الرسول : بكت على ما كانت تسمع من الذكر

وقيل ان الصانع للمنبر « باقول » مولى العاصي بن امية صنعه من طرفاء ذا ثلاث درجات فلما قدم المدينة زاد فيه فكسفت الشمس وقيل : اسمه « ميمون النجار » وقيل : « صباح » غلام العباس بن عبد المطلب وقيل : غلام قبيصة المخزومي وقيل : غلام سعد بن عبادة قال ابن رشد : ولعلهم اجتمعوا كلهم على عمله . =

(2) والاسود (3) من شريف العود الاعود (4) فما وجدوا اصنع من الجد المذكور لانه بذلك في المغرب مشهور فلما اتفقوا معه بثمن معلوم لم يقبض منهم ثمنا حتى فرغ من صنعته واتقان عمله فلما رأى ذلك المنبر ملك زمانه استحسنه وعظمه وأتى بمن قومه واتفق العمال على ثمن جليل كثير جميل (5) ووقفوا على قدر معلوم. وثمن محتوم. فقال الجداني لا أرغب في ثمن ولا صنعت هذا المنبر الا وانا عازم على أن يكون اجرتي وثوابي دفني قريبا من قبر الشيخ في موضع كان معدا للملوك. والكبراء اهل الفضل والسلوك. لا يوصل اليه الا بجاه قوي. وحرم بهي فشق ذلك على الملك فقال لهم الجد ان لم تفعلوا لي هذا ظلمتموني ولا اخذ لكم اجرا فكان من فضل الله ان منوا عليه بهذه الكرامة وجاور اهل الصلاح والاستقامة وكتب على قبره « هذا قبر الشيخ فلان الذي صنع المنبر العبادي » مكتوب في لوح رخام وكان جدي رحمه الله عنده رسم (6) بذلك ومازال ذلك عند عمي ابي العباس احمد ثم اخذه الوالد رحمه الله تبركا بالاثار والتباسا بالاخيار (7) قال العم : من لدن صنع المنبر الجد المذكور مازالت ذريته في ارغد عيش واقامة حرمة ورفعة، لا يضيق امرها حتى ياتي اليها الفرج.

= ونقل ابي جماعة انه صنع سنة ثمان وكان درجتين ومجلسا. وكان ولاة الجهات يخطبون بجانب القبلة على الارض.

اما من اتخذ المنابر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عمرو بن العاص اتخذه بمسجده فكتب اليه عمر يعزم عليه في كسره قائلا : اما بحسبك ان تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك فكسره عمرو وفي سنة 94 نصب المنبر الجديد بالمسجد المذكور الذي وضعه عمرو بعد وفاة عمر وقيل هو عبد العزيز بن مروان قيل حمل من بعض كنائس مصر وقيل اهدي من ملك النوبة الى عبد الله بن سعد بن ابي سرح وارسل معه نجارا اسمه بقطره حتى ركبه ولم يكن اذ ذاك يخطب في القرى الا على العصي الى ان ولي عبد الملك بن مروان فامر باتخاذ المنابر في القرى.

ولا يعرف منبر اقدم من منبر قرة بن شريك بعد منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفي ايام العزيز بالله العبيدي قلع وجعل مكانه منبر مذهب. وفي درر الفوائد ج 1 ص 157 ان معاوية اول من خطب على منبر بمكة وفي ذخيرة =

من الله عن قريب وكان الوالد رحمه الله كثيرا في حياته مايأمرني ليلة الجمعة بان اقرأ القرآن عند رأسه ويأمرني بهدايته (1) لجده ويقول لي : ياولدي رأينا من الدنيا كثيرا ورأينا مالها وتجارتها وعمارتها وعمالها ورأيت مغارب الارض ومشارقها فما رأيت فيها العز الحقيقي الا لاهل العلم الخاشعين الواقفين عند حدود رب العالمين يا ولدي رأينا الملوك تتصاغر لهم وينزلون الى دورهم ويقبلون اكفهم ثم يبكي ويقول : اللهم انك قد حرمتني ان اكون من اهل العلم فلا تحرمني محبتهم اللهم لاتحرم نسلي منهم ويا ولدي انا في ركوعي وسجودي ارغب من الله أن يرحمني برجل من أهل العلم من ذريتي هذه نيتي ولاازال اخدم العلماء والطلبة لعل ان اصادف منهم رجلا مقبولا تجاب به دعوتي ثم يقول لي : ياولدي رأيت علماء كثيرين وخدمتهم ومارأيت من الرجال الذين يشبهون رجال الصفوة الا سيدي ابراهيم المصمودي (2) في العلم والورع والخضوع لله وقلة الطمع والصبر

= الاعلام - وهي منظومة في التاريخ بدار الكتب المصرية للغمري ان الذي احدث المنابر في مساجد مصر عبدالملك بن موسى بن نصير آخر ولاة الامويين بمصر . وفي مواسم الادب ج 1 ص 73 اول من اتخذ المنابر ابن عبد العزيز وفي سنة 161 هجرية 777 ميلادية امر المهدي بتقصير المنابر في البلاد

وجعلها بمقدار منبر الرسول صلى الله عليه وسلم . كخص ما حـرر هنا من الخطط للمقريزي 1 ص 304 - النجوم الزاهرة ج 1 ص 67 - 69 - الوافي لشميل 81 تخريج الدلالات السمعية ص 67 - 97 طبع تونس (2) لعله يريد الصدف او عودا يميل الى الصفرة بدكنة يستعمل في مشبكات اللوح المرصع (3) الابنوس وهو شجر عظيم صلب العود اسوده ثمين في قيمته او يريد منه العود المستعمل للتطييب المعروف عندنا بالقماري (4) الانفع (5) كذا بالاصل (6) يريد بالرسم الكتب أي الوثيقة (7) هذا ما بالنسخة (ن) واما نسخة (ع) والموجود بها للاخيار .

(1) كذا بالاصلين ولعله باهدائه (2) ابن محمد التلمساني فقيه علامة محقق شيخ الصلحاء والزهاد عرف بالديانة واستجابة الدعاء اخذ عن موسى العبدوسي والابلي والشريف التلمساني وسعيد العقباني وتخرجت عنه جموع كثيرة كالحفيد ابن مرزوق وقد عرف به في كتاب خاص وابن صعد كذلك توفي سنة 805

والقيام والعبادة على طول الايام والكرامات الواضحات والاستقامات البينات تأتي الملوك الى مدرسته وتخر على اقدامه ولا يرفع رأسا الى احد بل عيناه تسيلان بالدموع وظهر عليه أثار الخوف من الله والخشوع قال : وقد دعى لي رحمه الله ورغبت منه ان يدعوا لي بما انا من الله طالبه وما نرغب به ونؤمله فكاشفني وصافحني وعاملني بما يعامل به الاب ولده رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركته وغفر لنا ولوالدينا ولوالديه بمنه وفضله.

ثم لما توفي المعلم الاول انتقلت الى « مسيد » آخر عند سوق القبابين به رجل اظنه من جبل بني ورنيد يتكلم في غالب أمره بكلام البربر ويتقن القرآن رسما وقراءة كما يجب عند القاري الامهر وحضرت له مولدين في ميلاد النبيء العربي الهاشمي الامى (1) الرسول الاول والكامل الاكمل المكتمل خير من أوحى الله تعالى اليه وسيد من أنزل القرآن عليه حبيب الله ابي قاسم سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذى اللواء المرفوع في بني لؤي ذوي الفرع المنيف في قصي المؤيد بالعصمة المخصوص بالبيان والحكمة الشارخ الغرة الواضح

ص 249 شجرة النور (1) الامية وصف الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم في آيتين من سورة الاعراف المكية وهي تدل في سياقها على ان المراد بالامي من لا يعرف القراءة والكتابة كما تدل عليه في لغة العرب وقيل له امي نسبة الى امه لانه لا يكتب لان الكتابة للرجال دون النساء فنسب الى امه في جهله بالكتابة دون ابيه كما قاله الطبري امام المفسرين وهو اعلم العلماء باللغة وعلل ابو حيان هذه النسبة إلى الام بانه ليس من شغل النساء ان يكتبن او يقرأن في كتاب. أولانه بحال ولدته أمه لم ينتقل عنها وقد ثبت بالتواتر المفيد للقطع ولا شك معه أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة وذلك من آيات نبوته فإتيانه بكتاب يعجز كل البشر اوالانس والجن مجتمعين عن الاتيان بسورة مثله واكبر دليل على ذلك أنه يعيد تلاوته المرار العديدة ولايتغير منه حرف او كلمة قال تعالى في سورة العنكبوت : "وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون" وقد عاش صلى الله عليه في قومه الى حين نزولها نحو خمسين سنة وهم يعرفونه ويعرفون احواله واخباره طفلا ثم شابا ثم رجلا ثم كهلا - اهـ ملخصا من تعليق الاستاذ احمد محمد شاكر بدائرة المعارف =

التبجيل (2) النبي الامي المنعوت في التوراة (3) والانجيل (4) صلى الله عليه وعلى آله الذي شرح له الله بالقرآن العظيم صدرا اللهم صل عليه وعلى آله الذي رفع.

= الاسلامية ص 645 ج 2 - (2) من بجل كحسن كان معظما مكرما او من التحجيل بمعنى المضيء المشرق (3) كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس وتطلق عند اليهود على أسفار خمسة كتبها موسى كما يقولون - 1 - سفر التكوين بدء الخلق - 2 - سفر الخروج - 3 - سفر اللاويين - 4 - سفر العدد - 5 - سفر تثنية الاشتراع واما عند النصارى فتطلق على جميع الكتب التي يسمونها " العهد العتيق " وهي كتب الانبياء، وتاريخ قضاة بني اسرائيل، وملوكهم قبل المسيح ومنها ما لا يعرفون كاتبه.

واما في عرف القرآن فهي ما نزل من الوحي على موسى ليبلغه الى قومه.

قال ابو الفداء : - ص 33 - ج 1 من المختصر في اخبار البشر طبع الحسينيه المصريه - التوراة مختلفة على ثلاث نسخ : سامرية، عبرانية، يونانية.

فالسامرية تنبيء أن من هبوط آدم إلى الطوفان الفا وثلاثمائة وسبع سنين والطوفان وقع بستمائة سنة خلت من عمر نوح وعاش آدم تسعمائة سنة وثلاثين سنة باتفاق فيكون نوح على ما جاءت به هذه التوراة قد ادرك من عمر ادم مائتين وثلاثة وعشرين سنة فقد ادرك جميع اباءه الى ادم وهذا غاية المنكر.

وتقول السامرية : من انقضاء الطوفان الى ولادة ابراهيم 937 سنة ومن ولادة ابراهيم الى وفاة موسى 545 فمن ادم الى وفاة موسى 2789 سنة.

واما ما بين وفاة موسى وبين الهجرة ففيه مذهبان احدهما اختيار المؤرخين والثاني اختيار المنجمين فاذا ضممنا الى ذلك ما بين وفاة موسى والهجرة كان بين هبوط ادم وبين الهجرة على حكم المؤرخين وحكم السامرية 5137 سنة.

واما اختيار المنجمين فينتقص عن ذلك 249 سنة فظهر بهذا فساد هذه التوراة لكونها تقتضي ادراك نوح ادم وعيشه معه امدا طويلا.

واما العبرانية فهي من الفساد بمكان عظيم لانبائها بان ما بين هبوط ادم وبين الطوفان 1556 سنة وان ما بين الطوفان وبين ولادة ابراهيم 292 سنة وعاش نوح بعد الطوفان 350 سنة باتفاق فعلى هذا يكون نوح قد ادرك من عمر ابراهيم 58 سنة وهذا باطل منكر لانه لم يدرك ابراهيم اصلا إذ لا يجوز لان قوم هود امة نجمت بعد قوم نوح وامة صالح نجمت بعد امة هود وابراهيم وامته بعد امة صالح ويدل على هذا قوله تعالى مخبرا عن هود فيما يعظ به قومه وهم قوم =

= عاد : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة » وكذلك أخبر عن صالح فيما يعظ به قومه وهم ثمود فقال : « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا » فساد هذه التوراة ظاهر وهذه التوراة هي التي بيد اليهود إلى اليوم وعليها اعتمادهم فهي تنبيء بأن ما بين ءادم الى الهجرة 4741 على اختيار المؤرخين أو 4492 على رأي المنجمين أي بنقيص 249 سنة

والمحقق عند المؤرخين من العرب وغيرهم أن بني اسرائيل قد فسدوا بعد موسى واضاعوا التوراة التي كتبها ثم كتبوا غيرها ثم إن عزرا الكاهن وهو الموصوف في التوراة المكتوبة الآن بأنه هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم اسرائيل فريضة فريضة وقضاء - فعزرا هذا هو الذي كتب لهم التوراة بأمر « ارتحشتا » ملك فارس الذي كان قد أذن لهم في العودة الى فلسطين.

وعلى هذا يذهب هؤلاء المؤرخون الى أن جميع أسفار التوراة التي عند اليهود والنصارى قد كتبت بعد السبي في سنة 537 قبل الميلاد ويدل على ذلك كثرة الالفاظ البابلية فيها وانما جاءتهم البابلية اثناء اقصائهم عن وطنهم وسبيهم في بابل.

هذا وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقد توراة موسى التي هي أصل دينهم وأساسه.

قال صاحب « خلاصة الادلة البينة على صدق اصول الديانة المسيحية » : والامر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الاصلية إلى الان. ولا نعلم ماذا كان من امرها. والمرجح أنها فقدت مع « التابوت » لما ضرب بختنصر الهيكل وسبى بني اسرائيل وان عزرا الكاتب الذي كان نبيا بعد موسى جمع النسخ المتفرقة وكتبها.

اما اليهود فيقولون : ان عزرا كتب ما كتب بالالهام.

ثم إن علماء الافرنجة قد اوضحوا « أن أسفار التوراة قد كتبت بأساليب مختلفة فلا يمكن أن تكون كتابة واحد » ويقول الاستاذ الامام : إن التوراة التي يشهد لها القرءان : هي ما أوحاه الله الى موسى ليبلغه قومه ، وأما التوراة التي عند القوم اليوم فهي كتب تاريخية مشتملة على كثير من تلك الشريعة المنزلة لان القرءان يقول في اليهود : انهم اوتوا نصيبا من الكتاب كما يقول : إنهم نسوا حظا مما ذكروا به . لانه يستحيل ان تنسى تلك الامة بعد فقد كتاب شريعتها جميع احكامها فما كتبه عزرا وغيره مشتمل على ما حفظ منها على عهده ، وإن كان فيه تخليط وتحريف.

واما النسخة الثالثة اليونانية فهي المختارة لدى محققي المؤرخين وعليها =

= العدل وليس فيها ما يقتضي الانكار من جهة الماضي من عمر الدنيا وقد نقلها اثنان وسبعون حبرا قبل ولادة المسيح بما يقرب من ثلاثمائة سنة لبطليموس محب اخيه وذلك انه لما تولى وجد من اليهود ثلاثين الف اسير فاعتقهم وارجعهم لبلادهم فاكبروا عمله ودعوا له وشكروه وأرسل الى القدس رسولا بهدايا الى بني اسرائيل المقيمين بها طالبا منهم توجيه علماء ليتولوا نقل التوراة وغيرها الى اللغة اليونانية فأجابوه لذلك متسارعين ولكثرة الراغبين وتزاحمهم اتفقوا على توجيه ستة نفر من كل سبط - وعدة الاسباط اثنا عشر سبطا - والسبط من اليهود ما القبيلة من العرب - فكان الموجهون اليه اثنين وسبعين رجلا فاكرم وفادتهم وجعلهم اثنين وثلاثين فرقة وخالف بين أسباطهم وامرهم بالترجمة فترجموا له ستا وثلاثين نسخة من التوراة وقابل بعضها ببعض فوجدها مستوية لا اختلاف بها يعتد به وفرق تلك النسخ في بلاده ولما جهزهم لبلادهم سألوه نسخة من تلك النسخ فاسعفهم لرغبتهم فأخذوها ورجعوا بها الى بيت المقدس فهذه النسخة المترجمة لليونانية اصح نسخ التوراة واثبتها • وهذه التوراة تنبىء بان ما بين هبوط ءادم والطوفان الفان ومائتان واثنان واربعون سنة وما بين الطوفان - وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح - وبين ولادة ابراهيم عليه السلام الف وأحدى وثمانون سنة وبين مولد ابراهيم و وفاة موسى خمسمائة سنة وخمسة واربعون سنة باتفاق نسخ التوراة جميعها وما بين وفاة موسى وما بين ابتداء ملك بختنصر فيه خلاف بين المنجمين والمؤرخين فالذي يقول به المؤرخون أن بين وفاة موسى وبين ابتداء ملك بختنصر تسعمائة سنة وثمانية وسبعون سنة ومائتين وثمانية واربعون يوما واما ما بين ابتداء ملك بختنصر وبين الهجرة فهو الف سنة وثلاثمائة سنة وتسعة وستون سنة ومائة وسبعة عشر يوما وليس فيه خلاف لان بطليموس اثبته في المجسطي وارخ به رصده فيكون بين الهجرة وهبوط ءادم ستة الاف سنة ومائتان وستة عشر سنة وهذا هو المختار والذي اختاره المنجمون واثبتوه في الزيجات من المدة بين وفاة موسى وبين بختنصر فانها تنقص عما ذكرناه مائتين وتسعة واربعين سنة .

وبعد فسواء كانت التوراة سامرية او عبرية او يونانية فقد اثبت العلماء التربيون بحريف كتب العهد العتيق « التوراة » والعهد الجديد « الانجيل » بشواهد كثيرة وذكر الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه اظهار الحق مائة شاهد على التحريف اللفظي والمعنوي وورد في دائرة معارف * لاروس * عند كلمة * توراة * ما نصه :

« العلم العصري ولا سيما النقد الالماني قد اثبت بعد ابحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة الحالية لم يكتبها موسى وانها عمل احبار لم يذكروا اسماءهم عليها الفوها على التعاقب معتمدين في تاليفها على روايات سماعية سمعوها قبل سبي بني اسرائيل » =

صدرا . اللهم صل عليه وعلى آله الذي رفع الله له في الدنيا والاخرة منزلة عالية وذكرا . اللهم صل عليه وعلى آله الذي حملته على ظهر البراق فاخترق السبع الطباق ليلة الاسرا اللهم صل عليه وعلى آله الذي وعدت من يصلي عليه مرة أن تصلي عليه بها عشرا . اللهم صل عليه وعلي آله الذي أنزلت عليه «سيجعل الله بعد عسر يسرا» وجرت عادة المغاربة باظهار السرور والفرح باليوم الذي ظهر فيه نور سر الوجود وحبيب الملك المعبود وقد سئل الشيخ العالم العابد الصالح المتخلق

= هذه الخلاصة جلة ما قيل عن التوراة لا ككتاب دين فحسب بل ككتاب تاريخ وخاصة تاريخ اليهود وهو إلى هذا كتاب ادب - من المختصر في أخبار البشر لابي الفداء - المسألة اليهودية لعبد الله حسين ص 27 .

اما ترجمتها الى العربية فيقول زيدان في الهلال ص 272 مجلد 2 :

الغالب على الظن أن فصولا منها ترجمت قبل الاسلام لان كثيرا من قبائل العرب كانوا نصارى ففي كثير من الاشعار بعض عبارت مترجمة منها ومن الانجيل

ولا يسلم العقل ان اللغة العربية في اول عهد العباسيين مع كثرة ما نقل إليها من الكتب ان التوراة لم يكن لها حظ من ذلك على أننا لم نعثر على شيء مكتوب من ذلك .

واقدم نسخة من التوراة ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي المصري المولود سنة 282 الموافق سنة 892 في ولاية خمارويه بن احمد بن طولون المتوفى سنة 942 وكان إسرائليا من الطائفة الربانية وكانت بينها وبين طائفة القرائين مناظرات ومجادلات وكان سعيد هذا من كبار رجال الدين والعلم فكتب كتبا كثيرة جدلية في العبرانية واخيرا ترجم كتب موسى الخمسة من الاصل العبراني للتوراة إلى العربية توسيعا لدائرة احزابه الربانيين ويقول بعضهم : إنه ترجم التوراة جملة .

(4) الانجيل هو تاريخ حياة المسيح وحياته في اشخاص حوارييه ورساله خاصة بولس الذي نشر نبوغه المسيحية في اروبا ووردت قصة عيسى في الاناجيل الاربعة اناجيل متى، ومرقص، ولوقا، وحنا

كان المسيح واصحابه يعضون الناس بالقول فلم يكونوا كاتبين هذا وينتهي الانجيل بسفر الرؤيا وهي قصيدة غامضة ملأى بالرؤى والتشبيه ومحورها الوعد بمدينة مقدسة طاهرة للمؤمنين وحدهم تعقب هذا العالم المدنس بالخطايا منذ القديم الى عهد موسى وفيه حكمة وهداية وهو مترجم وقد نيف جمعه على ثلاثة قرون منذ القرن الرابع الميلادي وهو مجموعة احكام شرعية بالعبرية مقاسة على ما جاءت به التوراة اه من المسألة اليهودية لعبد الله حسين .

الولي الامام (1) ابن (2) عباد (3) رحمه الله تعالى عن الذي يقع في ذلك اليوم من إيقاد الشمع وتزيين المكاتب والاولاد والانشاد في محاسن سيد العباد فأجاب رضي الله عنه لان هذا اليوم عيد من أعياد المسلمين لظهور نور خير الخلق فيه وسيد المرسلين فالتزيين فيه بأحسن الثياب من اللباس واستعمال الطعام وإظهار المحبة بالركوب على أحسن الدواب وكثرة الصلاة عليه وإنشاد القصائد في صفته وتزيين الاولاد والمكاتب بما يجوز شرعا ولاشك في جواز ذلك كله اذا سلم من البدع المحرمة التي لايجوز تعظيم شعائر الله تعالى بها وذكر رضي الله عنه انه دخل ذات يوم على الشيخ العالم العلم الولي المبرز في عدالته ابن عاشر (4) رحمه الله قال : وجدت بين يديه طعاما فطلب مني أن أتقدم للاكل فقلت : إني صائم قال : فنظر إلي نظرة وقال : أتصوم في هذا اليوم الذي هو عيد من أعياد المسلمين قال: فكأني كنت نائما فأيقظني رضي الله عنهم ما أحسن تخلقهم وأقوى في العلوم تحققهم

ولا شك في حسن ماذكره وحسن ماشهره وللعلماء في ذلك طريق فطريق شيوخ التونسيين لا يفعلون ذلك في التقديم ولما قدم السلطان المريني (5) استعمل ليلة الميلاد بمحضر العلماء أهل تونس وغيرهم

---

(1) من القاب النعوت الجارية في التحلية بين المسلمين واصل اللقب في اللغة النبز ويجمع على القاب قال الله تعالى « ولا تنابزوا بالالقاب » اي لاتدعوا الرجل باخبث اسمائه اليه

ثم اطلق اللقب على ما سمي به الانسان سوى إسمه الاول فيراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام.هو مايلحق الرتب من النعوت المناسبة لها في المقام كصاحب الفضيلة والكامل والاديب والنابغة الخ، وقد انكر ابن الحاج استعمال اللقب لما فيه من التزكية فتقع المخالفة للآية المذكورة ولقوله تعالى « الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا

والمقصود بالالقاب تكريم الملقب بها وإقرار حقه والاشادة بفضائله اوكسب رضاه او إشباع غروره او تغطية ضعفه، وبتبسط الحضارة اصطلح الكتاب على مدلول خاص للنعت فما كان من الصفات المتكونة من لفظ واحد كالاكمل والفذ والشيخ فهو من قبيل اللقب وإن كانت الصفات الواردة مركبة من اكثر من كلمة كامير=

=المؤمنين ونصير الاسلام والمسلمين وفخر الملك فهي من قبيل النعت

وتاريخ المناصب عند كل امة يتصل بأقدم تواريخهم لاننا نجد المناصب تنشأ نشأة العمران في الامة فتتنوع بتنوع احتياجاتها ، وجدير بنا أن نلم بتاريخ الالقاب ونشأتها عند العرب ولما تفيده بصفة خاصة في تفهم بعض النظم والاتجاهات (كما تشير الى برنامج الحكومات وتوضح مايحيط بها من ظواهر اجتماعية وسياسية ودينية وما تقدمها او لحق بها من ظروف تاريخية عامة)

فبالنسبة للعرب في جاهليتهم نجد المناصب قليلة لانحصار حياتهم العمرانية بما هم فيه من السذاجة والبساطة وارفع الالقاب عندهم الملك والشيخ والامير وكل منها يدل على المراد منه إرادة صراحة الا الشيخ فإنه يدل لغة على المسن من الناس ونظرا لما جرت به العادة عندهم من الرجوع بامورهم الى أكبرهم سنا اطلقوا لفظ الشيخ على رؤساء القبائل

اما الامير فكان لقبا عندهم على قواد الحروب وكذا لقب الملك وهناك من مناصب الجاهلية مازال ، واهمل كالسدانة للكعبة وخفارتها وحجابتها والسقاية والرفادة والندوة واللواء ...

ولما جاء الاسلام كثرت المناصب وتنوعت واولها واعظمها قيمة الخلافة ومدلولها في الاصل البقاء بعد شيء ثم تضمنت معنى السلطة ثم حدث لقب امير المؤمنين واستمر استعماله

واول من تلقب بأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فقد كتب بعد ولايته (من عبد الله امير المؤمنين عمر بن الخطاب) اما في عهد الامويين فلم يتلقب منهم احد واما في العهد العباسي فظهر التلقيب بالنعوت للخلفاء ثم عمد بعض الخلفاء إلى تلقيب وزرائهم بالقاب التشريف الشخصي ثم تعداهم الى غيرهم من الولاة والقواد ولما استكثر الخلفاء من الغلمان الاتراك واخذت مظاهر النفوذ والسلطة تبدو على هؤلاء الاتباع ظهر لقب امير الامراء على المستبد بالامر في مقر الخلافة ثم ظهرت حينئذ العناية بالالقاب وتنظيمها وابتكرت القاب جديدة اضيفت الى الدولة والملة والدين والملك

وفي العصر الايوبي فشت القاب الكناية المكانية نتيجة لاحتفاء الخلفاء والملوك كالمقام العالي والمقر الاشرف والعتبات المقدسة والجناب الارفع ولم يكن ذلك على الايوبيين فقط بل على غيرهم من كبار الدولة ومن القابهم الناصر المنصور والملك العادل والصالح والمظفر وسيف الدين والملك الاشرف كما كانوا بالشرق يلحقون اسماءهم بالقاب نسبية كالبندقداري والجاشنكيري وذيلت القابهم في أواخر سلطتهم بلفظ (باي) مثل قولهم ، قايت باي وبرسبا ي ، وجرت الدولة على مثل ماتقدم الى أن آل الامر الى الدولة العلية فاقتصروا على ذكر إسم السلطان وما يتقدمه من الالقاب الدالة على حقيقة الحال كسلطان البرين وخاقان البحرين=

= هذا بالنسبة للمسلمين واما غيرهم فقد جعل العرب لكل منهم لقبا خاصا فلقبوا ملك الروم بقيصر وملك الفرس بكسرى وملك الحبشة بالنجاشي وملك مصر في القديم بفرعون وملك اليمن بتبع وملك الاسكندرية ببطليوس والترك الخزر بخاقان وجزائر الهند بمهراجا وفرغانه بالاخشيد والسريان بالنمرود وافغانستان بكابل شاه

ويتلو منصب الخلافة والامامة والسلطنة منصب الوزارة وهي ام الخطط واسمها يدل على مطلق الاعانة فانها مأخوذة من المؤازرة : (المعاونة)

وقد تفرعت رتبة الوزارة إلى وزارات كوزارة الاقلام ووزارة السيوف

والالقاب التي كان يلقب بها الامراء والوزراء ورجال الحكم اكثرها نجده مضافا لكلمة (الدولة) او (الملك) او (الخلافة) كنسيب الدولة وخاصة الدولة وحازم الدولة وفخر الملك او تاج الملك وفخر الخلافة او تاج الخلافة

وكانت الالقاب تختلف بالكثرة والقلة بالنسبة لكل دولة وتنوع مصالحها وتفكيك بعضها عن بعض، إلى أن آل الامر إلى آل عثمان فحدث فيها من المناصب والمصالح ولا سيما الجند الشيء الكثير وأرفعها الصدر الاعظم او الوزارة الكبرى ثم الوكلاء وهم (الوزراء)

ومما استحدث في الدولة منصب السفير

وكثير من هذه المناصب خرج عن حقيقته الى مجازه فصارت تمنح مكافأة عن عمل أو خدمة فيمنح تلك الرتبة تشريفا له وإنعاما عليه من الملك ثم توسع الكتاب من تلقائهم تجميلا وتفخيما لمن يكتبون اليه وقد ذاعت القاب التشريف واستعملت استعمالا مجازيا في العهود المتأخرة وعلى الاخص في عهد المماليك

اما لقب الشيخ فكان يطلق احيانا على رجال الدين ومن عرف بالصلاح

وقد تزايد التلقيب بتلك الالفاظ الى درجه الافراط حتى تعاطاه العامة ولم تبق له ميزة ورحم الله من قال

طلع الدين مستغيثا إلى الله وقال: العباد قد ظلموني
يتسمون بي، وحقك لا اعرف منهم شخصا ولا يعرفوني

وقد تشوقت نفوس العامة ممن لا علم لهم إلى التسمي بتلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر ولما لم يجدوا سبيلا إليها لعدم دخولهم في الدولة رجعوا إلى أمر الدين فكانوا إذا ولد حدهم مولودا لا يقدر أن يكنيه بناصر الدين الا بأمر يخرج من جهة السلطنة فكانوا يعطون على ذلك اموالا حتى يسمى احدهم =

... والده بذلك فاما ان طال المدى وصار الامر الى الترك ولم يبق لهم بالتسمية بالدولة معنى اذ انها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين ثم فشا الامر وزاد حتى رجعوا يسمون اولادهم بغير ما لم يعطونه على ذلك ثم انتقل اليه بعض من لا علم عنده ولا عمل ثم صار الامر متعارفا حتى انس به بعض العلماء فتواطؤا عليه، ولا براح ان الناس يتبعون العلماء ويهتدون بهديهم، ويذكر عن مالك انه قال: لا ينبغي ان تسمي الرجل بياسين ولا بجبرائيل ولا بمهدي: قيل: بالهادي ? قال: هذا اقرب لان الهادي هادي الطريق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره سيء الاسماء مثل حرب ومرة وحنظلة.

والاسماء الشرعية هي التي تتعلق بها الرغبة لما فيها من بركة ويمن وقد تعلقت رغبة الشيطان بازالتها وتعويضها بضدها فنظر الى اهل الشرق والغالب عليهم حب الفخر والرئاسة فابدل الاسماء المباركة بما فيه عز الدين وشمس الدين وعمد الى حيلة اخرى بالنسبة لاهل المغرب لان الغالب عليهم التواضع وترك الخيلاء فأوقعهم في محنة الالقاب المنهي عنها بنص الكتاب فقالوا لمحمد، حمو، ولاحمد، حموس، وليوسف، يسو، ولعبد الرحمان، رحمو ومثل ما فعلوا في اسماء الرجال كان الامر كذلك في اسماء النساء كقولهم ست الاسلام وست الكل وكذلك تسميتهن بام ركن الدين او ام جلال الدين لما يتضمنه ذلك من التعظيم والتزكية تشبها بالاعاجم اهـ ج 1 ص 122 - 238 من كتاب المدخل ج 6 ص 20 - 73 من الخطط التوفيقية ج 7 من صبح الاعشى ص 15 - 154 - 159 التذكرة التيمورية 183 مجلة الهلال س 155 شهر ديسمبر 1903 - اقرب الموارد - مرتضى في شرح القاموس - مجلة المقتطف - 565 سنة 1901 -

(2) الف « ابن » تحذف في مواضع ثلاثة: الاول اذا دخلت عليها همزة الاستفهام الثاني اذا دخلت عليها ياء النداء، الثالث اذا وقعت بين علمين ثانيهما اب للاول ولو تنزيلا بشرط أن لا ينون الاول ولم تقطع همزة ابن لضرورة وزن وأن يكون ابن متصلا بالعلم الاول نعتا له غير مقطوع ولا بدلا منه ولا خبرا عنه ومستثنيهما عنه وان لا يكون لفظ إبن أول السطر فبتوفر هذه الشروط يجب حذف الالف صناعة كما يجب ترك تنوين العلم الاول لفظا.

فان فقد شرط منها تحتم اثبات الالف ولا فرق في العلمين بين أن يكونا إسمين أو كنيتين أو لقبين أو مختلفين.

ومثل « ابن » ابنة على التحقيق.

ويتحقق الحذف اذا نسب الى الام بشرط الاشتهار او لم ينسب الى غيرها كعيسى ابن مريم وعمر وبن الاطنابة والوماح بن عباد وعوج بن عنق أو عناق فعنق أمه وهي بنت آدم لصلبه ولا أب له لانه من زنا، وعبد الله بن أم مكتوم ومعاذ بن عفراء واسماعيل بن علية وعمر وبن هند.

هذا كله اذا لم تتبع الالف في أول السطر فان وقعت فانها لا تحذف

(3) ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن محمد بن عباد النفزي الرندي نشأ برندة وأتم حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وتعلم النحو والادب والاصول والفقه ثم توفر على التصوف حتى تبرز في ذلك وتصدر بعلم الاحوال والمقامات والف تآليف بديعة في ذلك وأقام بسلا سنين مع ابن عاشر وأصحابه ثم انتقل لطنجة فاجتمع بابي مروان الصوفي وقرأ عليه كثيرا وانتفع به انتفاعا عظيما له الرسائل الكبرى والصغرى وشرح الحكم ونظمها في ثمانمائة بيت وله كيفية الدعاء باسماء الله الحسنى كانت ولادته برندة سنة 733 ووفاته بفاس اهـ سنة 792 نيل الابتهاج 279 درة الحجال ج 1 ص 288.

(4) عبد الواحد بن احمد بن علي بن عاشر الانصاري الاندلسي الفاسي أخذ القراءات عن ابي العباس الكفيف له شرح منظومة الخرازي في الرسم سماه فتح المنان في علم رسم القرآن وفي اثنائه ادرج تأليفا له سماه الاعلان بتكميل مورد الظمآن في قراءة غير نافع من بقية السبعة يوجد ضمن مجموع بالاحمدية وله نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين توفي سنة 1040 هـ 1631 ميلادية - خلاصة الاثر ج 3 ص 96 - برو كلمان بالملحق الثاني ص 699 - 700.

(5) ابو الحسن صاحب المغربين الاقصى والاوسط تطلعت نفسه الى الاستيلاء على تونس وقد اغراه على ذلك الحاجب محمد بن تافراجين بعد فراره منها متحملا على الصغينة والمكر بملكه الحفصي فنهض المريني في صفر سنة 748 يجر الدنيا بما حملت بعد ان عهد لابنه ابي عنان على الجزائر للنظر في اموره كلها وفي طريقه الى تونس قدمت عليه أعراب افريقيا ومديده اليها صاحب قابس واصحاب بلاد الجريد والزاب وبجاية وطرابلس وبوصوله الى قسنطينة بايعه ابناء الامير ابي عبد الله بن ابي بكر الحفصي فصرفهم الى وجدة واقطعهم جبايتها ثم وفد عليه أمراء الكعوب بنو حمزة واستحثوه في اعتراض الامير عمر قبل لحاقه بالقفر فرارا من المريني وقد وجد اليد من قبض عليه بناحية الحامة فوجد مقرنا في الاصفاد مع من كان معه من أشياخ الدولة ففتك بهم واحتل تونس ودخلها يوم الاربعاء الثامن من جمادى الاخرة سنة 748 وفي يوم السبت عبأ السلطان مواكبه لدخول الحاضرة واصطفت الجنود في سماطين من سيجوم الى باب البلد في مقدار أربعة اميال وركبت اعياص بني مرين تخفق عليهم اعلامهم وكانت نحو مائة علم وسار السلطان وعن يمينه وليه علي بن يحيى كبير سويد ويليه ابن تافراجين وعن يساره محمد بن ابي زكرياء اخو السلطان ابي بكر ويليه ابو عبد الله ابن اخيه وكانا قبل معتقلين بقسنطينة فاطلقهما وجاء السلطان الى المدينة ومعه عدا رجال الدولة جماعة كبرى من العلماء الايمة والادباء النابغين بالمغرب فقد كان يلزمهم شهود مجالسه ويتجمل بمكانهم منه وقد بلغ عددهم نحو اربعمائة عالم وقد امتلأت الارض

باجيوش فكان يوما لم تشهد مثله تونس كما حكاه ابن خلدون وبعد دخوله القصر خلع على ابن تافراجين واطعم الناس ودخل الى رياض رأس الطابية وطاف ببساتينها واعتبر بحالتها وقد خلت من قطانها ثم سافر الى القيروان ووقف على معاهدها وطاف بها ثم انتقل الى سوسة والمهدية وقصر الجم ورباط المنستير ورجع الى الحاضرة في غرة رمضان ونزل المسالح على الثغور واقطع المرينيين البلاد والضواحي وامضى اقطاعات العرب فخفتت الاصوات وانقبضت ايدي أهل الفساد وانمحى نفوذ آل حفص واتصلت مملكته ما بين مسراطة الى السوس الاقصى والى رندة من عدوة الاندلس وقد تسابق الشعراء في حلبة الرهان وتفننوا في المدح وكان الفائز في ذلك ابو القاسم الرحوي لروعة قصيدته وبلاغة تعبيره وسمو ابداعه يقول في مطلعها :

اجابك شرق اذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويثرب

ومن توفيقه كما قال ابن خلدون كتبه لثلاث مصاحف شريفة بخطه أرسلها الى المساجد الثلاث ووقف عليها اوقافا جليلة وقد شاهد المقري المصحف الموجود ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة ونقل في النفح عن ابن مرزوق . الهدية التي وجهها ابو الحسن المريني للملك الناصر بن قلاوون مع الربعة المكرمة وقد اشتملت الهدية على كثير من الذهب والياقوت والزبرجد والزمرد والجواهر والحلل والاناق والخلادي والقنوع والمحررات المختمة والاكسية والبرانس والمشففات والاحارم (جمع حرام) وشقق الملف الرفيع وحنابل وفرش من الجلد المطرز بالذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب والحجارة الكريمة والسروج البديعة بركائب الذهب وشاشية مكللة بالذهب والجواهر ورايات ودرق وبنود من الذهب وقباب مبطنة بحلة مذهبة وهي من حرير ابيض ومرابطها ملونة وأعمدتها من عاج وأبنوس وبزاة منتقاة وخيولا عرابا عتاقا وبغالا وجمالا واعطى لقائد الركب سنة عشر الف وخمسمائة دينار ذهبا لشراء ريع يوقف على الختمة.

ومما زاده عظمة وجلالة ونباهة في الذكر حبه للعلماء والعمل بارائهم وتقدير مكانتهم والاشادة بهم والعمل بما يرونه في صالح الدولة والامة لا للمطارحات الادبية واللهو والمجون وبعمله هذا نجده قد سبق نابليون في حملته على مصر فقد استصحب معه ثمانية واربعين عالما من علماء اروبا والفنيين بها ومن بينهم بعض قواده ممن كان من اهل العلم والمعرفة ونظمهم وعين لهم مقرا بالقاهرة للقيام بمهمتهم واطلق عليهم اسم انسيتيتو إيجبيت : جمعية علماء مصر وعين لهم مبلغا من المال وغايته كما قيل من وراء ذلك ايجاد كل الوسائط التي ترقي البلاد وتنبسط لها اسباب المدنية وتلقنهم الاداب الجديدة وتكشف الاثار القديمة ونشر الكتابات المفيدة وكانت مقسمة على اربعة اقسام مثل نظيرتها بباريس وكان مهتما بكل ما يتعلق بحالة البلاد وتقدمها وسعادة اهلها وراحة الجيش الفرنسي .وفي الحق إن **غاية نابليون** الاصلية في ذلك هي توطيد نفوذه ودراسة اخلاق الاهالي وعاداتهم

وحضر فيه مشائخ الحضرة وهذا الشيخ الامام ابن عباد شيخ كبير من شيوخ شيوخنا المغاربة وكان في زمن الشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله تعالى

قال الفقير الى عفو ربه : ثم اني انتقلت الى زاوية ابن البنا لانه قدم عليها رجل يقال له الشيخ الفقيه الصالح ابو العباس احمد بن يحسن وليس هو الشيخ الصالح الذي توفي في الغرب هذا اقدم منه وكان حاجا وجاور الحرمين الشريفين

مظاهر الضعف فيهم والتبشير بمحاسن حكومته وغزو القلوب والعقول بمفاتن المدنية الغربية والتبشير بها في ربوع الشرق الادنى فقد كانت اطماعه ممتدة الى الاستيلاء عليه وبسط نفوذه بين ربوعه وقد تظاهر بالاسلام وبسط العطايا للعلماء والصلحاء وحد ض بالازهر وأظهر الخشوع والاحترام بما اطلق السنة الناس بذلك.

وقد بنى المريني فوق ناحية سيجوم مدينة اخرى سماها المنصورة لاقامة جيوشه اذ لم تسعها مدينة تونس وكان يرى أن أعراب افريقيا قد استطالوا على الامراء الحفصيين وشمخت نفوسهم فأوغلوا في العسف والارهاق وضربوا الاتاوة المسماة عندهم « خفارة » حتى كثرت اقطاعاتهم وتجاوزت الحد فكبح جماحهم وفرض لهم في الديوان كما يفرض للجند ففسدت ضمائرهم وتحملوا على الخبث والمكر متربصين بالدولة المرينية الفرصة التي تساعدهم وخاطبوا عبد الواحد الحفصي للانتقام على المريني فنبأ منهم الى الامير ابي الحسن واعلمه بما ينتوونه من مؤامرة ماكرة وكان زعماء الكعوب وبني مسكين نازلين بالحضرة ايام عيد الفطر فغضب عليهم وسجنهم واعلن غزوهم وكان ذلك في سنة 748 وقد اخذ ابن تافرجين يغري الاعراب ويوقد نار الفتنة عند ما لم يجد عند الامير ما كان يؤمله فجرت مضايقات للمريني وهو في القيروان وحوصر بها ثم تمكن من الفرار الى سوسة بعد أن داخل بعض الاعراب من اولاد مهلهل ليفرجوا عنه من الحصار على مال عينوه له فدفعه اليهم ومن بحر سوسة توجه الى تونس وبعد ذلك ثار عليه صهره الفضل الحفصي وامتد نفوذه الى قسنطينة واعاد مجد الخلافة الحفصية وزحف الى العاصمة فركب المريني اساطيله وعدتها ستمائة مركب في شوال سنة 750 متجها الى المغرب وقد ضاق به الامر وتحالفت عليه الخطوب فثارت في طريقه العواصف فغرقت معظم أجفانه وغرق هو وتمسك بلوح فنجى به وهو على اسوإ حالة وقد كانت هذه النكبة الفاجعة اكبر مصيبة اصابت العلم والادب والفكر لهلاك كثير من العلماء والادباء بالبحر غرقا وبعد وصوله لبلده وجد ابنه قد استولى على الملك فوقعت بينهما حروب ومات ابو الحسن لتورم جرح الفصد في 23 ربيع الثاني سنة 752 - اهـ تاريخ ابن خلدون 6 ص 135 - الخلاصة النقية .

وكان متفننا في القراءة والرسم بالكتابين المباركين : ابن البري والخرازي فلازمته حتى ختمت القرآن عليه مرتين في حدود عام ثلاثين في المدة التي اتى لتلمسان الملك الهمام علم الاعلام الذهب الابريز (1) امير المؤمنين وقامع الطغاة والمفسدين مولانا ابو فارس (2) عبد العزيز ، تغمده الله برحمته وصير البركة في عقبه وذريته وقد رأيت اول ما رأيته ببلد تلمسان وكان قاضي (3) عسكره الشيخ الامام العالم العلم الصالح سيدي ابا عبد الله محمد الشماع (4) رحمه الله تعالى وكان مفتى عسكره المبارك الامين الاجل الشيخ الفقية الامجد المولى ابا عبد الله محمد الحسين (5) ورأيت الشيخ القاضي المذكور قد قرأ البيعة بالجامع الاعظم بالبلدة وحضرت فقهاء وقتها وعلماء عصرها مثل الشيخ الامام العالم العلم وحيد عصره وفريد دهره سيدي ابي عبد الله محمد ابن مرزوق (6) والشيخ الامام العالم العلم سيدي ابي القاسم العقباني (7) والشيخ العالم العلم سيدي (8) ابي الفضل بن الامام والشيخ الفقيه ابن النجار (9) وغير هؤلاء من العلماء والصلحاء واظهرهم الشيخان الاولان دينا وعلما وزهدا وصلاحا وتحقيقا وقد تبركت بهما حضرت مجالس ختم كتاب الله تعالى عند الشيخ الاول ،

---

(1) القاعدة الاصولية في الترجمة ان يبتدأ باللقب ثم بالكنية ثم بالاسم ثم بالنسبة الى البلد ثم الى الاهل ثم الى المذهب في الفروع ثم الى المذهب في الاعتقاد ثم الى العلم او الصناعة والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والامرة والمشيخة كلها تقدم على الجميع فيقال في الخلافة : امير المؤمنين الناصر لدين الله ابو العباس احمد السامري والبغدادي الهاشمي القرشي العباسي الشافعي الاشعري ، ويقال في اشياخ العلم : العلامة او الحافظ او السند فيمن عمر واكثر الرواية او الامام او الشيخ او الفقيه ويسرد الباقي الى ان يختم الجميع بالاصولي او المنطقي او النحوي .

هذا ما قاله الصفدي كما نقله عنه الشيخ قويسم في سمط اللئال ص 24 ج 1 من نخ المكتبة الاحمدية .

وفي تهذيب الاسماء واللغات ما يخالف ذلك في البعض كما نقله قويسم ص 34 ونصه :

يستحب تحسين الاسم لحديث ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم وفي مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم : ان احب اسمائكم الى الله عبد الله وعبد الرحمن وفي سنن ابي داوود والنسائي عن ابن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث وهمام واقبحها حرب ومرة . وفي مسلم عن سمرة ابن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : لا تسمـين يسارا ولا رباحا ولا نجاحا فانك تقول ثم هو فلا يكون فيقول لا ويسـوجب تغييـر الاسم القبيح الى حسن ففي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان زينب كان اسمها برة فقيل تبري نفسها فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وعن ابن عمر ان ابنة لعمر اسمها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة .

قال : ويحرم تلقيب الانسان بما يكرهه سواء كان صفة له كالاعمش والاجلح والاعمى والاعرج والابرص والاحول والاشج والاصفر والاحدب والازرق والافطس والاشتر والافرم والاقطع والزمن والمقعد والاشل ، اوكان صفة لابيه او امه اوغير ذلك مما يكرهه واتفق العلماء على جواز ذكره بذلك على سبيل التعريف لمن لا يعرفه الا بذلك كهؤلاء المذكورين في المثال فانهم ائمة وعلماء مشهورون بهذه الالقاب في كتب الحديث وغيرها لا يعرفهم اكثر الناس الا بالالقاب .

واتفقوا على جواز التلقيب باللقب الحسن وما لا كره كعتيق لقب ابي بكر الصديق وابي تراب لقب علي ابن ابي طالب وذي اليدين لقب الخرباق بن عمر فهؤلاء صحابيون رضي الله عنهم لقبهم النبيء صلى الله عليه وسلم بهذه الالقاب وكانوا يحبونها .

وتجوز الكـنية لكل مسلم ويستحب ان يكـنى اهل الفضل من العلماء وغيرهم ويستحب ان يكنى الرجل باكبر اولاده وفيه حـديث في سنن ابي داوود وغيره ان النبيء صلى الله عليه وسلم سأل رجلا عن اكبر اولاده وكنـاه به ويجـوز تكنية من لا ولد له ويجوز تكنية من لم يولد وتكنية الطفل كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا ابا عمير ما فعل النغير ويجوز تكـنية الرجـل بابي فلانة والمراة بام فلانة ويكنى الكافر الذي اشتهر بكنيته كابي لهب وابي طـالب وابي رغال وغيرهم وفي جواز التكني لابي القاسم خلاف للعلماء .

والملاحظ هنا ان الاسماء والكنى عند العـرب قبل الاسلام كان الغـالب عندهم تسمية عبيدهم بالاسماء المحبوبة عند السماع كفلاح ومسرور وعطف وريحانة وابو اليسر ورام الخير والغالب على تسمية ابنائهم اطـلاق ما يكره من الاسماء عليهم كصخر وحرب ومرة وحنظلة وضرار وكلب ، وعلل ابو الدقيس ذلك بان تسمية الابناء للاعداء والعبيد والاماء لانفسهم .

(2) وقعت مبايعته بعد وفـــاة والده في شعبان سنة 796 فقبض على مقاليد الحكم بعزم وحزم واذ كان عمه زكرياء وليا للعهد امر ابو فارس بنقل ما في بيوته من المال والذخائر الى قصر السلطنة وضيق على عمه في محبسه وولى اخـــوانه على بلاد افريقيا وجعل اخاه اسماعيل رديفـــا اليد في ملكه بتونس وقـــام بتدبير الملك وتصريف الشؤون بحسن السياسة وشمل الناس بالرحمة والعدل وانصف المظلوم كيف ما كان حال ظالمه وبالغ في اكرام العلماء والادبـاء والافاضة عليهم عند قدومهم عليه وبالغ في اكرام الاشراف ووسع في البذل لهم واجـــرى لمن اقام منهم بتونس مرتبات وعوائد وكساوي وان اراد احدهم الارتحال وفر له الصلة ومن بين ما اجراه لهم دفع ستين دينارا لمزوارهم في كل عـام ليلة المـــولد وليمة بتلك المناسبة يدفعها من اعشار الديوان تحريا للحـــلال سوى ما يصحبها من الطيب وماء الورد واصناف البخور ، واسقط المجابي الموظفة على جميع الاسواق ومجابي دار قائد الشغل واباح صنع الصابون وازال المغارم الموظفة على الزياتين والمغنيات والمخنثين واجلاهم عن جميع البلاد لما يبلغه عنهم من قبيـــح المعـاصي والمناكر واشتد احتياطه وخوفه من الله ان جعل قوته وقوت عيـــاله وملابسهم من اعشار النصارى وجزية اليهود وقد كثرت صدقاته ونفقاته على المحتاجين من ابناء البيوت ذوي الاحسان والمروءة فقد كانت حقوقهم تصل اليهم من مال عين وطعام وزيت وبقر وغنم من الـــزكاة على يدي محمد بن سالم الطبـري. ومن مبراته الاحسانية الدائمة انه رتب لاهل الاندلس الف قفيز قمحا في كل سنــــة من عشر وطن وشتاتة مع ادام ومال وخيل عتاق وسلاح جيد وبرود . ومن مبراته كثرة تعهده للمساجين وتسريح من يستحق السراح ولا يتـــاخر عن قتل من يستحق القتل والاقتصاص ممن يستحق الاقتصاص.

ومن جميل عاداته الاحسانية انه يبعث مع امير الحج مالا وفيرا للصدقة على المحاويج من اهل الحرمين الشريفين كما يسلم مالا وكساوي لمشائخ عرب برقة ليمنعهم عن التعرض للحاج التونسي ، ومن محامد صفاته فك الاسارى وقد اوقف على ذلك اوقافـا عظيمة وجعل ذلك لعهدة امين الامناء ابي عبد الله محمد بن عزوز وما يتحصل من الاوقاف من مال يشتري به رباعا تضم الى الوقف .

ومن مفاخره الخـــالدة ومبراته العظمى اقامته لخزانة الكتب التي جعلهــــا بجوف جامع الزيتونة وقد اوقف عليهـا احباسا عظمى من الزياتين وغيرها بدرجة تفوق كفايتهـا كما اسس مرستانا سنة 823 وقضى على المتمردين وقطع رؤوسا من مشائخ التراب واستخلص منهم الزكاة فدفعوها صاغرين ، وقد كان لهم قبل عهده مع الملوك السابقين من آل حفص صولة وقهر اذ كانوا يحاصرون المدن ويشاركون في مجابيها فقهرهم وصار يأخذ منهم فرقا يقاتلون في حروبه وكان يوجـــه قواده لتتبع نجوعهم وفل شوكتهم ، وقد امتد نشـاطه الحربي الى جزيرة صقلية فغـزى

اسطوله ترقونة واستولى عليها وهدم سورها وغنم منها مغانم عظمى كما غزى مالطة وقد دانت له الجزائر وبايعه صاحب فـــاس وصاحب الاندلس وبلغت جيوشه الى درج وغدامس.

ومن بين ما اهتم به ابو فـــارس (الجوسسة) وكان يعتني بابرع الجواسيس ويجتبيهم وكان ابرعهم لديه ابو عبد الله محمد الحمصي احد عبيده المخلصين وقد حكى القسنطني في كتابه عن الحمصي حكاية تدل على مبلغ هذه العناية ونبوغ اصحابها فيها فقد بلغ احدهم الى الوصول الى مراتب القساوسة بالبلاد الافرنجية وقام بخدمات جليلة للدولة الحفصية.

وكانت وفاة ابي فارس قرب جبل ونشريس فجأة يوم عيد الاضحى سنة 837 بعد ان تطهر ومكث ينتظر الصلاة فاخفى ولي العهد موته وصلى بالناس مشيعا مرضه وارتحل به وبعد ذلك اخبر بموت جده ودفن بمقبرتهم القريبة من ضريح محرز بن خلف وكانت مدة ولايته اربعين سنة واربعة اشهر واياما وامه كانت ام ولد اسمها جوهر من المحاميد عرب طرابلس - الخلاصة النقية 78 - تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب تلخيصا منها لما ذكره بين صحيفتي 10 - 16 من الطبعة الثانية - ابن ابي الضياف - سمط اللآل لمحمد قويسم ج 8 ص 15.

(3) القضاء اشرف الخطط بعد الخلافة واكمل شروطه العلم والورع والمراد بالعلم فقه القضاء وتسيير النوازل والقدرة على تطبيق النصوص في القضايا لامجرد الاحاطة بالفقه مع عجز عن ادراك كنه القضايا المختلفة.

والقاضي كما ذكروا يجب بحكم وظيفة تفهيم ولي الامر الحكم الشرعي فيما يعرض عليه من القضايا والدفاع عنها لديه وافهامه ان ذلك هو الدين ان حاد عنه كان من الهالكين وان عمل به كان من الفائزين.

ونجد كـــثيرا من العلمــاء الموفقين قد فروا من القضـــاء واشتـــد خوفهم منه وصوروا حالة توليه ، فقد اجاب ابو حنيفة ابن فــــروخ عما منعه من تولي القضاء بقوله : القضاء على ثلاثة اوجه : رجل يحسن العوم ويأخذ البحر طولا فما عسى ان يعوم يوشك أن يكل فيغرق ، ورجل لايحسن العوم جيدا فعام يسيرا فغـــرق ، ورجل لا يحسن العوم فالقى بنفسه على المـاء فغرق من ساعته فهذا ما يمنعني من الدخول في القضــاء.

ونجد من يأتي بعد اولئــك العلماء الموفقين من يطالب القضــاء ببـــذل حثيث المساعي لتوليه ، تلويحا وتصريحا ولا يتـــأخر عن الارتشاء لتحقيق القضاء لكل من يمهد له السبيل لدى الوزير والامير وبذلك اسندت الولاية لغيـــر مستحقيها.

واول قاض قـــدم في الاسلام الفـــاروق قدمه ابوبكر على ان اقضاهم

— وارسخهم في القضاء علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقد كان المرجع لعمر ومعاوية وقد قال بعد ان بلغه مقتله : ذهب العلم بموت علي .

والقضاء يتولاه قضاة من قبل الخليفة مستقلون عن الامراء ويخضع لسلطة القاضي حتى الخلفاء انفسهم وقاضي الحضرة يسمى في المشرق قاضي القضاة وفي افريقيا والاندلس يسمى بقاضي الجماعة وله مكانة عظمى في التقدير والاجلال والشخصية الكبرى في مجالات العلم والسياسة .

ولقب بقاضي الجماعة لان نظره يشمل قضاة بقية مدن الجهة ويعبر عنهم بالنواب الشرعيين لاعتبارهم نوابا عن قاضي الجماعة وايضا فانه هو الذي كان يرجع اليه النظر في تولية غيره من القضاة بالعاصمة او ببقية بلدان الدولة كما انه هو الذي عليه الاعتماد في عزلهم ومثلهم في ذلك العدول وهذا ما جرى عليه الحال بافريقيا اعني تونس منذ عهد سحنون الى القرن الثامن الهجري بل ان نظر قاضي الجماعة في التولية يتجاوزها الى صقلية وقسنطينة والزاب وطرابلس وطنجة وباغاية .

وقد كان القضاء يتنوع الى ما ياتي :

قاضي الانكحة

قاضي المعاملات

قاضي الاهلة وهذا التقسيم هو الذي فعله المستنصر الحفصي سنة 657

واحدثت بعد ذلك خطة قاضي العسكر وهو المسمى بتونس قاضي المحلة وهو غير قاضي « باردو » وبعد ذلك زادوا قاضي الفريضة والغيت هذه الاخيرة في اواسط مدة علي باشا الحسيني واقيم عدل مقدر للنفقات وجرت العادة ايضا بان من يراد تقديمه للقضاء ببعض الجهات يحضره قاضي الجماعة ويلقي عليه كتابا من كتب القضاء فان اجاب عليه ولي والا فلا.

وقد كان قاضي الجماعة بالقيروان ارجح من المفتي ثم انقلبت الفكرة وصار المفتي ارجح من القاضي في العهد الحفصي . وعلل ذلك صاحب معالم الايمان بان القاضي ولو كان من ادين خلق الله لابد ان يشتكي به بعض المحكوم عليهم ولابد من ناظر فوقه ينظر في اموره وذلك هو المفتي . ولا يقدم قاضي الجماعة قاضيا في بلده من عمالته او شاهدا او حكما معتبرا الا بعد مطالعة المفتي فهو القاضي في الحقيقة وقاضي الجماعة انما هو كالنائب عنه ولا يختل هذا النظام الا اذا كان قاضي الجماعة قدر قدر المفتي في العلم ويكون السلطان قدمه لنفسه ومع هذا فلابد من موافقته له في الامور المعضلات وهو من الامور النادرة والا فالاصل انه تحته وهو مطلل عليه كالحباء لا يقطع امر دونه

وحكى في المعالم انه اذا وقع التشكي من احد قضاة البلدان الى ابي مهدي عيسى الغبريني ويكلمه بكلام لين يقول له : « حفظكم الله ان فلانا قاضي بلد كذا دابه استحابه » واذا قبل كلامه يوافقه على تبديله ببلدة اخرى أو على

= عزله دون معارضة والا يقول له : « تغافل عنهم » او نحو ذلك فلا يعزل احدا حتى يوافقه في الاغلب.

وقد كانت عادة الموحدين قديما في تولية القضاء بتونس ان لا يولون القضاء اكثر من عامين عملا بما اوصى به عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وايضا فانهم يرون ان القاضي اذا طالت مدة قضائه اتخذ الاصحاب والاخوان واذا كان بمظنة العزل لا يغتر وايضا فان الحال اذا كان هكذا ظهرت مخائل المعرفة بين الاقران وكثر فيهم القضاة بتدربهم على الوقائع فيبقى الحال محفوظا بخلاف ما اذا استبد الواحد منهم بعمل فانه لا يقع فيهم تناصف ولا يحصل لمن يلي بعده النفوذ لوظيفة ما قدم اليه الا بعد حين وتنطمس قلوب الطلبة لاياسهم من الولاية الا بعد مشقة .

وجرت عادة ملوك ءال بني حفص ان يجعلوا ساعة من يوم الخميس مخصصة لاجتماع القضاة والعلماء بمجالسهم وتعرض بين ايديهم المسائل المعضلة والانظار المختلفة ويقع التباحث فيها بين العلماء وتصدر الاحكام على ما هو المشهور من المذهب وتنفذ أما بقية الايام فيستقل القاضي باحكامه بمنزله او بالمكان الذي يرتضيه. تلخيصا من معالم الايمان ج 1 ص 181 ج 2 ص 12 - 105 - 136 - 137 - 174 - 225 - 227 - 228 - 231 - اخبار الدولتين للزركشي 44 (3) في نخ (ع) مفتي بدل قاضي

(5) في نخ (ن) ابو العباس احمد والصواب ما في (ع) وهو اخو السلطان ابي فارس عبد العزيز واشتهر بمحمد الحسين كان من كبار فقهاء الحضرة ومحققيها اخذ عن ابن عرفة والغبريني وله اجوبة على مسائل ابي الحسن بن سمعت الاندلسي المنوعة حين وجهها الى افريقيا وقد اعتمد في النقل عنه ابن ناجي في شرح المدونة والونشريسي في المعيار توفي عام 839 - شجرة النور الزكية ج 1 ص245.

(6) ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني تحدر من بيت مجد وعلم وتحقيق من جد ابيه الى جده الى والده وعمه وكذلك من تسلسل منه من الابناء والاحفاد . كانت ولادته سنة 710 بتلمسان كما قاله ابن خلدون ويذكر ابن الخطيب انها كانت 711 وتوفي بالقاهرة سنة 781 في ربيع الاول وقبره بين ابن القاسم واشهب.

ذكر ابن خلدون ان سلف ابن مرزوق نزلاء الشيخ ابي مدين بالعباد متوارثين تربته منذ جدهم خادم ابي مدين في حياته وكان جد ابن مرزوق الخامس او السادس معروفا بالولاية فيهم

امتاح ابن مرزوق افاويق العلم ببلده وغذي بلبان الفضيلة والتقوى ثم ارتحل مع والده الى المشرق سنة 13 ولما جاور والده بالحرمين الشريفين رجع هو الى القاهرة فاقام بها وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين وفي سنة 33 رجع الى المغرب فولاه السلطان خطابة مسجد العباد وقربه اليه وهو مع ذلك

= ملازم ابني الامام ويلاقي افاضل العلماء و يأخذ عنهم وحضر مع السلطان واقعة طريف ووجهه رسولا الى ملك قشتالة للصلح واستقاذ ابنه و رجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى ووفد على ابي عنان بفاس ثم رجع الى تلمسان واقام بالعباد وكان عليها ابو سعيد ابن عبد الرحمن واخوه ابو ثابت فارسله ابو سعيد سرا الى السلطان ابي الحسن بالجزائر في شأن الصلح فعلم اخـوه ابو ثابت بذلك فانكر على اخيه فعله و بعثوا من حبس ابن مرزوق . واجازه البحـر الى الاندلس فنزل على صاحب غرناطة فقربه وجعله خطيبا بجامع الحمراء الى ان استدعاه ابو عنان سنة 54 الى تلمسان بعد والده فرعى مقـامه ونظمه في سلك مجلسه و بعثه لتونس سنة 58 خاطبا له ابنة ابي يحي فردت الخليفة واختفت بتونس ووشي به الى ابي عنان بانه كان مطلعا على مكانها فسخطه وسجنه ثم سرحه ولما ولي السلطان ابو سالم قربه وجعل زمام اموره بيده قال ابن خلدون فوطيء الناس عقبه وغشي اشراف الدولة بابه وصرفوا اليه الوجوه الى ان وثب عمر بن عبد الله على السلطان اخر سنة 62 فحبس ابن مرزوق وقد رام كثير من اهل الدولة قتله فمنعهم عمـر وأطلقه فانتقل الى تونس سنة 65 في رمضان ونزل على سلطانها ابي اسحـاق وكان صاحب دولته ابا محمد بن تافراجين فاكرموه واولوه الخطابة بجـامع القصبة ودرس بالمدرسة الشماعية واقام بتونس الى ان مات السلطان ابو يحـي سنة 70 وولي ابنه خالد من طـرف ابي العباس الحفصي وكان في نفسه شـيء على ابن مرزوق فعزله عن الخطابة فرحل الى المشرق ومكنه السلطان من ذلك فنـزل بالاسكندرية ثم تحول الى القاهرة وحظي بالقبول والتكرمة من العلماء والامـراء ورجال الدولة فولي الوظايف العلمية فكان موفور الكـرامة عظيم المكانة معروفـا بالفضيلة ومرشحا للقضاء المالكي ملازما للتدريس الى ان توفي سنة 81

وقد قال ابن مرزوق عن نفسه بعد قدومه على تونس واتصاله بأميرها : (اني قد وصلت الى تونس المحروسة في شهر رمضان من سنة 65 فلقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده امثالي ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أم المدارس - يريد الشماعية - كل ذلك تحت رعـاية وعنـاية وملازمة لمجالس ملكها الى ان توفي . . . ثم مع ولده وابن اخيه الى ان رحلت الى مصر في ربيع الاول سنة 73 ولقيت من ملكها الذي لم ار في الملوك مثله حلما وفضلا وحياء وجودا وتلطفا ورحما السلطان المالك الملك الاشرف ناصر الدين والدنيا شعبان بن حسين فاحسن الي واجـرى علي وعلى اولادي ما قـام به الحـال وقلدني دروسا ومدارس واهلني للمثول بين يديه والحال مستمر على ذلك الى الان وذلك من فضل الله ومعهود احسانه والمرجو من الله حسن العـاقبة وكـتب في رمضان سنة 75) .

وللتدليل على مكانته العلمية وكماله في الفهم والبحث ونبوغه في الادب وسمو اخلاقه وبعد غوره ونبل سياسته نذكر كلمة تلميذه لسان الدين ابن الخطيب فيما ذكره في الاحاطة : (هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة مليح الترسل حسن اللقاء مبذول البشر كثير التودد نظيف البزة لطيف التأني خير البيت طلق الوجه خلوب اللسان طيب الحديث مقدر الالفاظ عارف بالابواب درب على صحبة الملوك والاشراف متغاض لايثار السلطان والامراء يسحرهم بخلابة لفظه ويملأهم في الذروة والغارب بتنزله ويهتدي الى اغراضهم الكمينة بحذقه ويصطنع غاشيتهم بتلطفه ممزوج الدعابة بالوقار والفكاهة بالنسك والحشمة بالبسط عظيم المشاركة لاهل وده والتعصب لاخوانه ألف مألوف كثير الاتباع والعلق مسخر الرقاع في سبيل الوساطة مجدي الجاه غاص المنزل بالطلبة منقاد للدعوة بارع الخط انيقه عذب التلاوة متسع الرواية مشارك في فنون من اصول وفروع وتفسير يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف فلا يعدو السداد في ذلك فارس منبر غير جزوع ولا هياب رحل الى المشرق في كنف حشمه من جانب والده رحمه الله تعالى فحج وجاور وتلقى الكافة ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه وصرف وجهه الى المغرب فاشتمل عليه السلطان ابو الحسن اميره اشتمالا خلطه بنفسه وجعله مفضي سره وامام جمعته وخطيب منبره وامين رسالته فقدم في غرضها على الاندلس اواخر عام 748 ولما حالت بالامير المذكور الحال استقر بالاندلس مقلتا من النكبة في وسط 752 وكان قد اقعدة للاقراء من المدرسة من حضرته وفي اخريات عام 754 صرف عنه وجه بره في اسلوب طماح ودولة وسبيل هوى وقحه فاغتنم الفترة وانتهز الفرصة واخذ في الرحيل العزمة وانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب فاستقر بباب ملك المغرب امير المؤمنين ابي عنان فارس في محل تجلة وبساط قرب مشترك الجاه مجدي التوسط ناجع الشفاعة والله يتولاه ويزيده من فضله)

وبالقاء نظرة على ما كتبه في فهرسته التي سماها «عجالة المستوفز في ذكر من سمع من المشائخ دون من اجاز من ايمة المغرب والشام والحجاز» نجدها طافحة بالاعلام يزيد عددهم على الالفين ومنها يتجلى لنا مبلغ عناية الرجل بالاخذ على اقطاب الحركة العلمية والادبية في ذلك العصر

واما تآليفه فقد شرح العمدة في خمسة اجزاء جمع فيها بين ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائدكما شرح الشفاء ولم يكمله وحضر عليه في شرحه لسان الدين ابن الخطيب قال في الاحاطة وقد استبحر فيه واكثر النقل وبذل الجهد وقال ابن الخطيب في الاشادة بقيمة الشفاء ومدح ابن مرزوق :

أأزاهــــير ريــــاض ام شفــــاء العيــــاض
ســـدد الله ابـــن مرز وق الى تلك المراضـــي

ثم يقول :

زبدة العرفان معنى ... كل نسك وارتياض
فتولى بسط ما اجمـ ... ـلت من غير انقباض

ثم قال قصيدة اخرى في هذا الموضوع ليس على سبيل التبجح باجادته وغرابته ولكن على سبيل الاشارة بالشرح المشار اليه فهو بالغ غاية الاستبحار

خييت يا مختط سبت ابن نوح ... بكل مزن يغتدى او يروح
وحمل الريحان ريح الصبا ... امانة فيك الى كل روح
دار ابي الفضل عياض الذي ... اضحت برياه رضايا تفوح

وفيها يقول :

كفاك اعجازا كتاب الشفا ... والصبح لا ينكر عند الوضوح

ثم يقول:

وحلة من طيب خير الورى ... في الجيب والاعطاف منها تفوح

الى ان يقول:

يا خير مشروح وفى واكتفى ... من ابن مرزوق بخير الشروح
فتح من الله حباه به ... ومن جناب الله تاتي الفتوح

وشرح الاحكام الصغرى لعبد الحق وشرح المختصر الفرعي لابن الحاجب وسماه بازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب وله ديوان خطب له شهرة ذائعة اما مكانته الشعرية فقد بلغ الغاية وجاوز النهاية ومن ابياته في هذا الباب انه ركب يوما مع السلطان بخارج الحمراء ايام ضربت اللوز قبابها البيض وزينت الفحص العريض والروض الاريض فارتجل في ذلك :

انظر الى النوار في اغصانه ... يحكي النجوم اذا تبدت في الحلك
حيا امير المؤمنين وقال قد ... عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسف حزت الجمال باسره ... فمحاسن الايام تومي: هيت لك
انت الذي صعدت به اوصافه ... فيقال فيه ذا مليك او ملك

ومن اياته هذه الخريدة التي انشدها بين يدي امير المؤمنين ليلة المولد المعظم سنة 763 وهي تعد على مائة وسبعة عشر بيتا.

مطلعها :

قل لنسيم السحر ... لله بلغ خبري
ان انت يوما بالحمى ... جررت فضل المئزر
ثم حششت الخطو من ... فوق الكثيب الاعفر
مستقريا في عشبه ... مخفي وطىء المطر
تروي عن الضحاك في ... الروض حديث الزهر
مخلق الاذيال بالعـ ... ـبير او بالعنبر

وفيها يقول :

اذا اجال الشوق   في تلك المغاني فكري
خرجت من خدي حـ   ـديث الدمع فوق الطرر
وقلت : ياخدي اروِ من   دمعي صحاح الجوهري

الى ان يقول :

منتخب الله ومخـ   ـتار الورى من مضر
والمنتقى والكون من   ملابس الخلق عري
ذو المعجزات الغر امـ   ـثال النجوم الزهر
يشهد بالصدق له   منها انشقاق القمر

الى ان يقول :

يا من لدى مولده   المقدس المطهر
ايوان كسرى ارتج اذ   ضاءت قصور قيصر
وموقد النار طفى   كأنه لم يسعر

وفيها يقول :

يا منقذ الغرقى وهم   رهن العذاب الاكبر
ان لم تحقق املي   بؤت بسعي المخسر

ثم يقول :

او مهل الاوبة والامـ   ـر بكف القدر
اسوف العزم به   من شهر لشهر
ضيعت في الكبرة ما   اعددته في صغري
ياليت شعري والمنى   تسرق طيب العمر
هل ارتجي من عودة   او رجعة او صدر
فابرد الغلة من   ذاك الزلال الخصر

ثم يقول :

ارجو بابراهيم مولا   نا بلوغ الوطر
فوعده لا يمتري   في الصدق منه ممتري
مهد الملك وسيف الـ   ـحق والليث الجري
فاق الملوك الصيـ   ـد بالمجد الرفيع الخطر
برأيه المأمون او   عسكره المظفر
بسيفه السفاح   او بعزمه المقتدر
بالعلم المنصور او   بالذابل المنتصر
يا ابن الامام الطاهر   البر الزكي السير
مدحك قد علم نظـ   ـم الشعر من لم يشعر
جهد المقل اليوم من   مثلي كوسع المكثر

فان يقصر ظاهري فلم يقصر مضمري

= ومن روائع شعره قصيدته التي قالها في نكبته بتلمسان وطالعها
رفعت اموري لبـاري النسم ... وموجدهـا بعد سبق العـدم
وقد سلاه عن هذه النكبة ابن آجروم ابو المكارم بقوله:
يـا شمس عام افلت بعدمـا ... أضـاءت المشرق والمغربـا
حجبت قسرا عن عيون الورى ... والشمس لا ينكر ان تحجبا
ومن شعر ابن مرزوق مودعا اهل تونس :
اودعكـم واثني ثـم اثنـي ... على ملـك تطاول بالجميل
واسـأل رغبـة منكم لربي ... بتيسيـر المقـاصـد والسبيل
سلام الله يشملنـا جـميعـا ... فقد عزم الغريب على الرحيل

اه نفح الطيب ج 3 ص 200 - الدرر الكامنة ج 3 ص 360 - 362 - شذرات الذهب ج 6 ص 200 - 303 - الديباج المذهب 305 - 309 - نيل الابتهاج 267 - فهرس الفهارس ج 1 ص 394 - 396 كشف الظنـون 104 - 151 - 106 - 550 - 1164 - 1170 - 1333 - 1628 - ايضاح المكنون ج 1 ص 155 - 344 ج 2 ص 93 - 482 - 510 - 521 - 650 - دليل مؤرخ المغرب 195 - هداية العارفين ج 2 ص 170 .

(7) ابو القاسم ويكنى بابي الفضل ايضا قاسم بن سعيد بن محمد العقبـاني التلمساني التجيبي وصفه صاحب البستان بشيخ الاسلام ومفتي الانـام الفـرد الحافظ القدوة العلامة المجتهد العـارف المعمر ملحق الاحفاد بالاجداد الرحلة الحاج له اخلاق مرضية قل ان يرى مثلها, قرأ على والده وغيره وتوفر على البحث والدرس حتى حصل العلوم وبلغ درجة الاجتهاد وله اختيارات خارجة عن المذهب وفي طريقه الى الحج 830 حضر بمصر على ابن حجر واستجازه فاجازه ابن حجـر وحضر بدرس العلامة البساطي وتخرج عليه كثير منهم محمد ابن العباس التلمساني ويحي المازوني ونقل عنه في المازونية والحافظ التنسي والقلصادي وابو البركات النائلي وولده ابو سالم العقباني وحفيده محمد بن احمد والونشريسي واكثـر من النقل عنه في المعيار وابن زكري ومحمد بن محمد بن مـرزوق الكفيف ودرس مختصر ابن ابي زيد للمدونة ومختصر خليـل وشرح الحكم لابن عبـاد والحوفي بشرح والده ومختصره في اصول الدين , وولي قضاء تلمسان في صغره وكانت وفاته عن سنين عالية في ذي القعدة سنة 854 وصلى عليه بالجامع الاعظم بتلمسان ودفن قرب ابن مرزوق وحضر السلطان جنازته ومن لطيف ما حكي ان امة العزيز الشريفة الحسينية قالت :

لحاظكم تجرحنـا في الحشـا ... ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلـوا ذا بـذا ... فما الذي اوجب جرح الصدود
فاجاب عنه العقباني بقوله :
اوجبـه منـي يـا سيـدتي ... جرح بخد ليس فيه الجحود
وانت فيمـا قلتـه مـدع ... فاين ما قلت واين الشهـود

وكانت ليلة مباركة ما غاب احد من اهل العلم ومن اهل البلد عن مجلسه لا من شيوخ ولا من غيرهم تبركا بانارة وتعظيما لمقداره وقد صليت خلفه وقبلت يده ودعالي بخير

واما الشيخ الامام الثاني فقد قرات عليه قليلا بالحضرة العلية كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

وكان بالبلدة المذكورة من مشاهير الصالحين ممن حضرت مجلسهم تبركا

والعقباني نسبة لعقبان قرية من قرى الاندلس والتجيبي بضم التاء المعجمة باثنين من فوقها وكسر الجيم وتسكين الياء تحتها نقطتان وفي آخرها باء موحدة نسبة الى تجيب وهو اسم ام عدي وسعد ابني اشرس بن شبيب بن السكون واما الى محلة بمصر . البستان 147 اللباب لابن الاثير ج 1 ص 179 . نفح الطيب ج 2 ص 429 طب الازهرية .

(8) ابو الفضل محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن الامام التلمساني حلاه ابن مريم بالامام العلامة الحجة النظار المحقق العارف اللوذعي الرحلة احد اقران الحفيد ابن مرزوق ووصفه التنسي بصدر البلغاء وتاج العارفين واعجوبة الزمان وهو من بيت علم وشهرة وجلالة انتقل الى تونس سنة 810 واقام بها مدة ثم قصد القاهرة فحج ورجع اليها في سنة 812 سافر الى الشام فزار بيت المقدس وتزاحم عليه الخلق بدمشق قال المقريزي : صاحب فنون عقلية ونقلية قل علم الا وشارك فيه مشاركة جيدة وله قدم راسخ في البيان والتصوف والادبيات والشعر والطب واليه يرجع الفضل في المغرب لانه اول من ادخل كتاب الشامل لبهرام وشرح المختصر وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي وغير ذلك من الكتب الغريبة توفي رحمه الله سنة 845 وترك ابحاثا في التفسير اخذها عنه ابن مرزوق الحفيد واخذ عنه الحافظ التنسي والتقي الشمني والقلصادي واخذ هو عن سعيد بن محمد العقباني اه البستان 320

(9) ابو عبد الله محمد بن يحيى بن علي من علماء تلمسان رحل الى المغرب فاجتمع بابي عبد الله بن هلال بسبتة شارح المجسطي واخذ بمراكش عن ابن البناء كان رحمه الله اماما في النجوم واحكامها واستخلفه السلطان ابو تاشفين بحضرته وبعد هلاكه وولاية ابي الحسن المريني نظمه في سلك المقربين لديه وحضر معه افريقية وهلك بتونس بالطاعون سنة 749 ونعته المقري بشيخ العالم وتخرج على الابلي وبرز عليه ورجع للبلد بعلم كثير ولم يكن بصيرا بالفقه وانما عنده ذكاء زائد وتخرج عليه القلصادي ومحمد بن احمد الشريف الحسني اه نيل الابتهاج 241 النفح ج 3 ص 126 جزوة 190 درة الحجال ج ص 282 البستان 87-143-153-156-168

الشيخ الصالح الفقيه المتخلق ابو زيد عبد الرحمن السنوسي (1) وكان من العباد الزهاد وكان يسكن بالدرب الذى كنا به ويقرأ في جامع على باب الدرب ويصلي به يبكر للمسجد قبل الصباح ليقرأ عليه القرآن تجويدا جماعة من خيار الطلبة ثم يصلي الصبح ويذكر الله تعالى حتى مطلع الشمس يأذن باقراء الطلبة ملازما الى قرب الظهر ثم يعود الصلاة ويصلي الظهر ويجلس للقراءة الى العصر يصلي العصر ويجلس للوعظ الى المغرب ثم يصلي المغرب ويقرأ عليه الى صلاة العشاء الاخرة وربما يفعل ذلك في فصل طول الليل ويقرأ عليه بعد العشاء هذا حاله صيفا وشتاء مع الورع والزهد وكان الشيخ الامام سيدي ابو عبد الله محمد المرزوقي ينوبه بالمسجد الاعظم نائبا عنه اذا طرأ عليه مايوجب ذلك وكان في رمضان يحي الليل كله بالمسجد المذكور في العشر الاواخر وربما عتكف بها وهذا الشيخ ممن نرجوا منه البركة بدعائه الصالح وجورته المباركة .

وكذلك تبركت بالشيخ الصالح الولي الزاهد سيدي الحسن (2) أبر كان رحمه الله ونفع به شيخ في الطريقة وفي الحقيقة اذا رأيته ذكرت الله تعالى له هيبة وجلال اظهر الله عليه هيبة الجلال نحيف البدن ربعة للطول خفيف العارضين تاتي الملوك الى داره وتقف عند بابه فمرة يخرج لهم ومرة لا يأذن لهم وله دعوات وكرامات وقد تبركنا به والحمد لله ودعى لنا في الصغر بما نرجوا به ان يكون لنا ذخرا في الكبر

الرحلة الى تونس

ثم لما كانت حدود احدى وثلاثين رحلت من بلد تلمسان الى حضرة تونس المحروسة وكان سلطان بلد تلمسان في تلك المدة السلطان عبد الواحد حين رجع اليها بعد خروج السلطان التاشفيني عنها وكان قد بعث سلطان البلدة هدية لملك الحضرة العلية المولوية الفارسية التي شيد الله فخرها واجرى في الالسن ذكرها وبعث رسولا الشيخ الفقيه القاضي السيد الشريف ابا احمد وكان قاضي البلدة

---

(1) عبد الرحمان السنوسي الرقعي من علماء تلمسان له ارجوزة في الفقهة فرغ من نظمها في غرة ربيع الثاني سنة 853 وشرحها الشيخ محمد بن يحي المغراوي التلمساني وله فتح الجليل في ادوية العليل - من البستان لابن مريم - الفهرست الخديوية ج 3 ص 186 - تاريخ الآداب العربية لبروكلمان ج 2 ص 186

(2) ابو علي بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي الشهير بأبر كان مستقره بقرية الجمعة مقرأ سلافه وهو احد الفقهاء العاملين عرف بالصلاح والخيرية =

ـــاخذ عن ابراهيم المصمودي والحفيد ابن مرزوق واخذ عنه ابو عبد الله التنسي التالوتي والسنوسي وانتفع به واثنى عليه القلصادي في رحلته وحضر درسه كانت وفاته في شوال سنة 857 ـ كان شفيقا على المؤمنين رحيما بهم ولا ياخذه في الحق لومة لائم يبدأ على ذكر الله وكانت العامة والخاصة يقبلون عليه رحل للحج ومكث بالشرق مدة طويلة ومعظم قراءته ببجاية على الشيخ عبد الرحمن الوغليسي وقرأ بقسنطينة على ابي عبد الله المراكشي وقرأ بتلمسان على الشيخ يحي المطغري وقرا الحوفي على الشيخ سعيد وعلى سيدي عيسى امزيان وله تقييد على الحوفي اوضح فيه العمل غاية الايضاح فقد كان يتقن علم الفرائض والحساب والفقه وكان اعجب العجائب في تدريس الرسالة لابن ابي زيد كان مثابرا على تدريسها ويستخرج منها جميع فقه مختصر ابن الحاجب والمدونة والامهات منطوقا ومفهوما واشارة ومطابقة والتزاما وكان محققا في نقله وفهمه واقرأ مختصر ابن الحاجب وطريقته في ذلك ان يوضح المسالة اولا حتى يفهمها الجميع ثم يتسع في نقل كلام الشراح مع البحث ثم ينقل كلام الامهات

وحضر مجالسه كثير من المشايخ واذعنوا لفهمه وكان السلطان يعظمه ويقبل يده وهو الى ذلك كله من الزاهدين الفقراء يقتات بما يلتقطه من الطعام بالطرقات ويداوم على الصوم ثلاثة ايام ونحوها الى آخر عمره وقد قرب من المائة وكان لا يأكل من الزكاة ولا من الحبس وله مكاشفات وكرامات توفي آخر شوال سنة 857 ـ شجرة النور الزكية ج 1 ص 262 ـ البستان ص 74.

(3) جمع كرامة مصدر كرم بضم العين بمعنى نفس وعز ومنه قولهم : له علي كرامة : عزازة وكرم الرجل : اعطى بسهولة وصد لوم . واما في الاصطلاح العامي فكل فعل خارق للعادة جرى على يد من ظهر صلاحه في دينه سالك مناهج الشرع القويم في ظاهره ومكنون سره وصحيح يقينه حافظ لاداب الشرع منزه عن رذائل الخسة فاذا كانت صادرة ممن لايكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح فانها تكون استدراجا للاجماع بانها لاتكون ظاهرة من فاسق وكافة العلماء يقولون بتجويز خوارق العادة وانخرامها للاولياء ولم يخالف الا ابو اسحاق الاسفرايني وابو محمد ابن ابي زيد والعقل يقضي بجوازها وكذلك الشرع لان ظهورها لا يؤدي الى رفع اصل من اصول الشرع ولا الى هدم قاعدة ونجد ذكرها في القرآن في مواضع عديدة وكذلك السنة فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى اكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لاعطينه الحديث

كما ان التواتر المعنوي قد حصل من ثبوتها في حق اولياء الله . وعمدة من انكرها التباسها بالمعجزة وهناك فروق بينهما مذكورة في محلها ـ ملخصا من المعيار للونشريسي ج 2 ص 31

فخرجنا مع الهدية مع الوالدة وولدها وكان الوالد رحمه الله سبق الى الحضرة العلية قبل ذلك بعامين فخرجنا مع الهدية ومعنا قفل (1) عظيم من التجار وغيرهم فما زلنا من ارض الى ارض مع محافظة القفل على النفل والفرض حتى بلغنا الحضرة العلية في اول شهر من شهور الخريف فنزلنا عند السناجرة (2) قريبا من باردو (3) عشية فاذا بالملك الهمام المرتضى لا يالة (4) الاسلام مولاي ابي فارس رحمه الله ورضي عنه راكبا قد اجتاز على القفل بعد نزوله فسلموا عليه وقابلهم قبولا حسنا بحسن اخلاقه وسألهم واخذ بقلوبهم وشكوا له ما نزل بهم فما زال من رحمته يكلمهم ويحسن اليهم حتى بعث لهم خبزا مبسوطا (5) وسللا (6) من التين ذلك اول طعام اكلناه في قدومنا على الحضرة . ثم دخلنا الى الحضرة بالندوة فرأينا بلدة عظيمة بها رجال كرام وشيوخ عظام وبها قوة شهيرة وحضارة كثيرة (7) فلما نزلنا بها كان جدي رحمه الله ابو الوالدة مؤذنا ببلد تلمسان فلما قدم اشتاق الى الاذان فدخلنا الجامع ورأينا بناءه وقناديله وقراءه وشيوخه وصلينا العصر به فقال لي ياولدي لمسان بالنسبة لى تونس قرية لما رأى من تزيينها واحكام بنائها في مسجدها وحرمتها فوجدنا بها أمام مسجدها الاعظم الشيخ الاكرم العالم بركة المشايخ وامامها وعلم هداتها وقائدها بدر علمائها، وشمس فضلائها سيدي ابا القاسم البرزلي (8) رحمه الله تعالى ونفع به وكان شيخا مباركا اذا خرج من المسجد قل ان تراه وحده بل الناس محدقون به يسألونه حتى يصل الى داره ويتبركون باثاره وحق له ذلك رضى الله عنه لقدم هجرته

---

(1) بفتح القاف والفاء اسم جمع بمعنى القافلة (2) السناجرة : اهل مجانة التي بينها وبين القيروان اربع مراحل حكى اليعقوبي في كتابه «البلدان» ان اولهم فيما يقال من سنجار من ديار ربيعة وهم جند السلطان قال وبها اصناف من العجم والبربر وغيرهم اهـ - 316 من الاعلاق النفيسة لابن رستة طبع أوروبا وقد اطلق روض السناجرة المراد هنا على روض من رياض السلطان الحفصي قريبا من تونس بجهة السيجومي كما في ابن الشماع ص 102 ولعل اولئك الاصناف من العجم والبربر قد نزلوا به فنسب الموضع اليهم (3) اسم مدينة تبعد على مدينة تونس بميل وربع من جنوبها الغربي تمتاز بلطف المناخ في الصيف كانت بها قصور فخمة سكنها الحفصيون تحيط بها الجنات ذات الاشجار النادرة والازهار المختلفة الاخاذة وقد أنشأ بها المستنصر الحفصي الحديقة الفريدة بابي فهر فكانت وحيدة في نوعها وغريبة في نباتاتها تمتد اليها المياه من جبل زغوان الى الحنايا الجبارة فتنساب مياهها الى الاشجار =

= والبحيرات المبثة هنا وهناك تخترقها الفلك المعدة لنزهة الكريم وقد صرف هذا الامير عنايته وشيد قصرا بها عظيما بيرته مرصعة بالفسيفساء واخشابه ذات نقش بديع اخاذ.

ويرتاد هذه البلدة السراة في العهد القديم ويقيمون بمنازلهم التي تحيط بها الحدائق والبساتين وبعد الحفصيين سكنها بعض الملوك المراديين ثم الحكام الاتراك ثم الملوك الحسينيون فاقام بها حسين مسجدا جامعا وقصرا عظيما مربع الشكل تحيط به اسوار ذات ابراج مربعة يبلغ محيط القصر 1200 خطوة تقريبا والى جانبه ابنية لكبار ضباط الجيش كما ابتنى به محمد باي قصرا آخر وامر باحاطة جميع الابنية بخندق عميق وبنى سورا به كوى للرماة بالبنادق وآخر لفوهات المدافع ويذكر صاحب المشرع الملكي ان محمد باي انفق عليه اموالا طائلة وكلف ببنائه عملة اجانب وخاصة من الايطاليين مع عملة تونسيين وقد شيد المشير احمد باشا به مدرسة حربية صرف اليها كل اهتمامه وعنايته . ولكن اتى من بعد هؤلاء خلف اضاعوا الملك واتبعوا الشهوات وعكفوا على المحارم وانغمسوا في الرذائل واوكلوا الامر لمن لا ذمة لهم ولا ضمير ففرطوا في واجبهم وخانوا الامانة فدب الانحلال وفرطوا في العناية بمنشآتهم فاسرع اليها الخراب وذلك ماحمل الدولة على ازالة الانقاض وهدم السور وصرفت بعض العناية للقصور الحديثة وللمسجد وقد حولت الكثير من بيوته الى متحف للآثار القديمة وهو المتحف العلوي به نفائس من تماثيل الرخام والمجموعات النفيسة الفريدة من الفسيفساء العديمة المثيل كما به غرائب المسكوكات منذ عهود سحيقة وتوجد به سقوف بلغت الغاية في الابداع الفني والتزويق الرائع يصدق فيها قول من قال : ليس في الامكان ابدع مما كان وبقصر باردو توجد مجلس الامة التونسي ومصالحه الادارية - ص 530 مجلد 3 من دائرة المعارف الاسلامية ملخصا ومن غيرها

(4) يراد بها المقاطعة بحدودها في عهدة وال يسوسها مشتقة من آل على القوم اولا وايالة ولي شؤونهم وقيل انها محرفة عن ايجيالوس اليونانية ومعناه الساحل 477 ج 3 من اثار الادهـار

(5) الخبز معروف وهناك اطلاقات تستعمل عندنا ويختلف مدلولها حسب الالفاظ فكلمة الخبز تطلق في مدينة تونس عن المادة الغذائية المعروفة ويطبخ بالفرن نعم هناك فرق بين الخبز المصنوع بالمنازل وبين المصنوع لدي الخبازين فالاول يقال له (خبز دار) والثاني يقال له (خبز سوق) والاول منه ما يقال له (خبز طبق) وميزته أن تجعل به افاوية كالبسباس وحبة الحلاوة ويلث بالسمن ويعبر عنه (بالخبز المبسس) ويستعمل في رمضان والاعياد وهو غاية في النقاوة وحسن الطيب ولذاذة الطعم ويطول مكثه الى ايام كثيرة لما فيه من تلك الافاويه ويتباهون بتكبير حجمه والغاية المقصودة من وراء ذلك ان يتمتع حريم الرجل بالراحة ايام العيد فلايشتغلن بالطبخ =

= والنوع الثاني الخبز المعتاد

واما خبز السوق فانواع الخبز العربي وهو صنفان (خبز طبق) وخبز معتاد وخبز ايطالي وخبز فرنسي ويقال له خبز سوري والملاحظ هنا ان خبز الطبق المصنوع لدى الخبازين لا يضعون فيه الا البسباس والسينوج لا غير

وهناك نوع آخر يقال له (خبز طابونة) والطابونة مؤنث الطابون حفرة تحاط ببناء من طين في شكل قبة لها فتحة في اعلاها ومنفذ بجانبها وتحمى بالنار احماء شديدا وبعد ذلك يبقى بها (الملة) وهي الرماد السخن ويوضع الخبز بجوانبها ولا يكون حجمه سميكا بل في غلظ الاصبع وتوضع به الافاويه مثل خبز الطبق

واما في غير مدينة تونس فيطلق لفظ (الكسرة) ببلاد الساحل ويراد به الخبز اما في تونس فتستعمل مضافة فيقال (كسرة خبز) اي قطعة من الخبزة المقتطعة بسكين فان كانت غير مقتطعة فيقولون (طرف خبز) او (قدمة خبز)

واما المبسوط فالخبز المأخوذ من دقيق القمح او السميد وطريقة طبخه ان يوضع على حاق من الطين او الفخار الموضوعة بفرن محمى ولا يلصق بالطابونة وبعضهم يضع العجين على الصفيح وهو الحجر العريض المحمى بالحلفاء ويضع فوقه حجرا آخر محميا الى ان ينضج فان استعمل الخبز من دقيق الشعير يسمى (جرادق) وواحدة (جردقة) ومثله ما كان يعمل بتونس فيؤخذ العجين بعد احكام عجنه ويلف بسعف الحلفاء ويوضع على (الصفيح) ثم يوضع فوقه حجر آخر محمى فيبسط القرص ولا يلتصق بالحجر لكونه ملفوفا بالحلفاء وهذا مايشير اليه حازم القرطاجني في مقصورته واصفا مائدة اكل الخليفة بعد انتهائه من الصيد

والآس والريحان قد صفت وقد	القى عليه كل طاه ماطها
وكف كل خابز مملوكه	في سعف الدوم واصلاه اللظى
من بعدما احمى الصفيح تحته	ثم حشى من فوقه جمر الغضا
كأن ما اجن منه وجلا	قرصة شمس حين اخفى وخفا

ومراده بالمملوك هنا العجين شد عجنه يقال ، ملكت العجين املكه ملكا اذا شددت عجنه وسعف الدوم اغصانه وقد وصف الخابز وكيف يصنع بما يجيد عجنه اذا اراد طبخه وهذه الصفة هي المستعملة في النوع الذي يسميه اهل الاندلس (بالمرمدة) وشبه الرغيف في حالتي ستره بالغضا واظهاره بعد الطبخ بالشمس حال الخفاء والظهور وكان ذكر القرصة هنا حسنا لا يقاعها في اللغة على الخبزة وعلى عين الشمس

وهناك نوع آخر من الخبز يسمى (الرقائق) او الرقاق بالقاف المعقدة وطريقة طبخه بسط العجين باناء من طين يوضع على النار ويسمى هذا الاناء (بالغناي) ولا يستعمل معه الخمير ويكون خالي الوسط =

= (6) جمع سلة بفتح السين وتضعيف اللام، وعاء تحمل فيه الفاكهة ويجمع على سلات ويتخذ من القصب الرقيق وتسميه بتونس (قرطلة) بفتح القاف المعجمة من فوق وسكون الراء وفتح الطاء واللام المضعفة وهي المستعملة عند الفلاحين فان صنعت من الحلفاء او سعف النخل نسميها قفة بضم القاف المعجمة فوق وفتح الفاء المعجمة اسفل والتي من الحلفاء يستعملها البناؤون لحمل الحجارة والآجر والثانية يستعملها سائر الناس لحمل حاجياتهم على اختلاف انواعها

(7) في الوقت الذي دخل فيه المؤلف مدينة تونس بلغت البلاد شأوا بعيدا في الحضارة والعمران واتساع الثروة وانتشار العلم والآداب والفن مع حرية من التفكير الصحيح وحفاظ الدين والاخلاق

وطبيعي ان النفوس اذا كانت مطمئنة على حريتها الكاملة وسعادتها الشاملة محفوظة في دينها واموالها واعراضها ومتفيئة ظلال الكرامة والهناءة كان لها من الوقت ما تصرفه في التوفر على العلم والادب والفن والصناعة الى أن تبلغ الى الكمال الارفع والمستوى الراقي الممتاز

ونظرة عجلى على العهد الزاهر الحفصي نجده حافلا بأساطين العلم والادب والاجتماع والفن ونجد فيه الحكومة في عنفوان قوتها واستكمال عدتها وبديع ترتيبها في الادارة والقضاء مع بالغ العناية بتنظيم الجيش وتنويعه وسلاحه ونظام معاشه ولباس فرقه وبيان ذلك كما يأتي :

الملوك :

لباسهم يتخذونه من الصوف الرفيعة ذوات الالوان البديعة واكثرها يلبسونه الثوب المسمى بالسفساري من حرير وقطن او حرير وصوف ولونه اما ابيض او احمر او اخضر او من قماش يعرف بالجزيري مصنوع من الصوف الرفيع جدا او من قماش يعرف بالتلمساني يصنع بتلمسان وهو نوعان مختم وغير مختم والسلطان يمتاز بلبس الخز ولونه بين الخضرة والسواد وهذا اللون هو المسمى بالجوزي والغباري وبالنفطي قال ابن سعيد وهو مما يخرج من البحر بصفاقس يغوص الغواصون في البحر فيخرجون كمائم شبيهة بالبصل باعناق فيها زبورة فتنشر في الشمس فتنفتح تلك الكمائم عن وبر مسمط ويخرج صفوه فيغزل ويعمل منه طعمة لقيام حرير وينسج منه ثياب مختمة وغير مختمة وهو افخر الثياب السلطانية بتونس ويبلغ ثمن الثوب مائتي دينار من دنانيرهم المسماة قال فيكون ثمنه الف درهم من نقد مصر والشام ويسمى بمصر والشام بوبر السمك ويكون كماه طويلين من غير كثرة طول ضيقان من غير ان يكونا مزندين ولا يشدون النطاق على الثياب الا في الحرب ويلبسون الاقبية ويضعون الطيلسان المصنوع من الصوف وهو غاية من اللطافة يتردى به السلطان ولا يضعه على رأسه وله عمامة كبرى من صوف او كتان فيهما طرز من الحرير ولا يعتم احد من اهل الدولة على قدرها في الكبر وله عذبة خلف الاذن =

= اليسرى وليس له اخفاف في الحاضرة بل يلبسها في السفر. واذا جلس السلطان فيجلس حوله ثلاثة للرأي والمشورة ويجلس معهم وزير الجند ان كان كبيرا والا اوقف بازاء الثلاثة ويجلس دونه عشرة من اكابر اشياخه وقد يكون اولئك الثلاثة من العشرة المذكورين . وبعد هؤلاء خمسون نفرا فاذا امر السلطان بامر بلغه وزير الجند لاخر واقف وراءه وبلغه الآخر لآخر الى ان يسمع الامر السلطاني من خارج الباب كنقل اناس عن اناس كما ذكرنا وتقف جماعة تسمى بالرقافين بايديهم السيوف حوله وهم دون الخمسين المذكورين في الرتبة .

واما ركوبه الى صلاة العيدين او الى سفر فهو على مايذكر :

يركب السلطان ويمشي الى جانبه رجلان متقلدين بسيفين رجالة يمسك احدهما بركابه اليمنى والاخر بركابه اليسار وبينهما جماعة رجالة من اكابرد ولته مثل الثلاثة اصحاب الرأي والعشرة الذين يلونهم ومن يجري هذا المجرى من اعيان الجند وتسمى هذه الجماعة ايربان يمشون حوله بالسيوف وبايديهم عكاكيز قال الزواوي وربما مشى في هؤلاء قاضي الجماعة وهو عند هم قاضي القضاة وقدام هؤلاء الجماعة الماشين كثير من الموحدين اقارب السلطان بسيوف ومزاريق ويسمون بالمشائين وقدامهم جماعة جناوة وهم عبيد سود بايديهم حراب في رؤوسها رايات من حرير وزي هؤلاء العبيد المسمين قناوة لبس جباب بيض مقلدين بالسيوف وبايديهم هذه الحراب وقد امهم عبيد المخزن وهو اسم لعوام البلد ينادي فيهم ليلة العيد او ركوب السلطان لسفر فيخرج اهل كل صناعة وتبيت بظهر المدينة فاذا اصبح مشوا قدام قناوة وبايديهم الدرق والسيوف ومعهم العلم الابيض المسمى عند هم العلم المنصور محمولا بيد فارس واهل الاسواق المسمين بعبيد المخزن حوله كما ذكرنا وعلى يمين السلطان فارس وعلى يساره فارس هما من اكابر اشياخه من العشرة المتقدم ذكرهم وخلف السلطان فارس اليه امور الاعلام والصناجق يقال له : صاحب العلامات مثل امير العلم ووراءه اعلام القبائل ولكل قبيلة في علمها ماتمتاز به من الكتابة والكتابة : لا اله الا الله او الملك لله او ما يناسبهما ووراء الاعلام الطبول والبوقات واصحاب النفير وخلفهم فرسان يعرفون بمحركي الساقة بايديهم عصي يرتبون الناس وهؤلاء بمنزلة النقباء وخلف هؤلاء العسكر والجند . والفارس الذي على يمين السلطان اليه امر دق الطبول يقول : دق فلان باسم كبير الطبالة ويخرج السلطان لصلاة العيدين من طريق ويعود من آخر وهذا هو زي ملوك هذه المملكة وترتيبهم في الخروج للعيدين والاسفار لا يزال من حول السلطان ممن ذكرنا انهم يمشون بقدر ساعة ثم يركبون وتسير الناس ويطوف بالسلطان جماعة يقرؤون حزبا من القرآن الكريم ثم يقف السلطان ويدعو ويؤمن امير الجند على دعائه ويؤمن الناس على تأمينه ويجد السلطان والناس السير فاذا كانوا في فضاء كان مشيهم على هذا الترتيب فاذا ضاق بهم الطريق مشوا كيفما امكن لهم على غير ترتيب الا ان السلطان لا يتقدم عليه جنده فاذا قربوا من المنزلة

= وقف السلطان ودعى وأمن على دعائه كما تقدم واعلام هذا السلطان التي تحمل له سبعة اعلام تحمل وراءه الاوسط ابيض والى جانبه احمر واصفر واخضر وذكر ابن سعيد : ان شعار سلطان افريقية يوم الجمعة ان لايجتمع بأحد بل يخرج عندما ينادي المنادي ويشق رحبة قصره ما بين خواص من المماليك الا تراك فعندما يعاينوه ينادون سلام عليكم نداء عليا على صوت واحد يسمعه من يكون بالمسجد الجامع ثم يتقدمه وزير الجند بين يديه في ساباط يخرج هناك للجامع عليه باب مذهب سلطاني والوزير لا يخرج معه من هذا الباب بل يسبق لفتح الباب ويخرج السلطان منه وحده ويقوم له جماعة الوقافين من اعيان الدولة ويقوم له في الجامع غيرهم وليس له مقصورة مخصصة فاذا انفصل عن الصلاة قعد في قبة كبيرة في صدر الرحبة وحضر عنده اقاربه ثم يدخل قصره وربما خرج الى بستان له من اعظم ماتهممت ببنيانه الملوك واحتفلت بغرسه السلاطين ويخرج في نحو من مائتي فارس من شباب ارباب دولته يعرفون بالصبيان يوصلونه الى البستان ويرجعون ويبقى وزراؤه نوابا له وهم ثلاثة وزير الجند وهو بمنزلة الحاجب بمصر ووزير المال وهو صاحب الاشغال ووزير الفصل وهو كاتب السر ومهما تجدد عند كل واحد منهم امر يطالعه بالمكاتبة بما يتعلق بشغله المنوط به ويجاوبهم

وركبوه الى البستان من زقاق في قصبته محفوف بالحيطان لا يراه فيه احد ويوم السبت مخصوص عنده بانه يقعد في القبة الكبيرة يعني بقصبته ويحضر عنده ارباب دولته واقاربه والاشياخ والجانب الايمن لاقاربه والايسر للاشياخ وبين يديه وزير الجند ووزير المال وصاحب الشرطة والمحتسب وصاحب كتب المظالم وهو الموقع على القصص ويقرأ قصص المظالم الكاتب المعين وما وقع اليه ويرد الى كل ذي وظيفة القصة المتعلقة بوظيفته وينفذ الباقي وكذلك تتجلى لنا الحضارة الحفصية في المعالم الفخمة والقصور الشامخة والرياض الاريضة والمتنزهات الوسيعة الفاتنة واليك الحديث عنها مختصرا

فاهم القصور الملكية قصر راس الطابية فقد بني بين الرياض الزاهرة وكان مقرا للخلفاء الحفصيين وقد بنيت عليه قبة الجلوس العظيمة والممشى سنة 651 امامها بفناء الدار وهي المعروفة بقبة «اساراك» بلسان المصامدة اي الفوارة الفسيحة وهي تمثل ايوانا مرتفع السماك متباعد الاقطار مع انساع ارجائه يشرع منه الى الغروب وبجانبيه ثلاثة ابواب لكل باب منها مصراعان من الخشب مونقة الصنعة ينوء كل مصراع في فتحه وغلقه بالعصبة اولي القوة ويفضي بابها الاعظم المقابل لسمت الغرب الى معارج قد نصبت للظهور عليها عريضة ما بين الجوف الى القبلة بعرض الايوان يناهز عددها الخمسين ويفضي البابان على جانبيه الى طريقين تنتهيان الى حائط القوراء ثم تنعطفان الى ساحة القوراء يجلس السلطان فيها على اريكة مقابل الداخل ايام عرض الجنود والوفود ومشاهد الاعيان فكانت من افخر الاواوين وافخم المصانع الشاهدة بابهة الدولة وجلال الملك وعزة السلطان

=وقد ربط الخلفاء مابين قصورهم ورياض رأس الطابية بالمشي وهو ما بين حائطين ممتدين بينهما ما يقدر بعشرة اذرع في ارتفاع مثلها كطريق يتحجب الحريم في خروجهن الى تلك البساتين فلا تراهن العيون

وبعد ذلك نجد بناحية «سكرة» بالمكان المعروف بالبطوم قصر ابي فهر المخطط بين جنات معروشات قد غرست باشجار الفاكهة ومختلف الرياحين والسرو والطلح والشجر البري والريحان والياسمين والخيري والنيلوفر والنارنج وجعل بوسط ذلك روض فسيح الساحة وصنع فيها للماء حاجز من اعواد الكور جلب اليها الماء في القناة القديمة التي كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة فعطفت هذه القناة من اقرب الممرات الى البستان المذكور وامطاها حائطا وصل ما بينهما الى ان ينبث من فوهة عظيمة الى جب عميق رصيف البناء متباعد الاقطار مربع القناة محلل بالكلس الى ان يعمه الماء فيرسله في قناة اخرى فينبعث في الصهريج الى ان يعبق حوضه وتضطرب امواجه ويترفه الحظايا بالسعي في شاطئه لبعد مداه فيركبن في الجواري المنشئات .

هذا خلاصة ماحكاه ابن خلدون وهذا الصهريج يوجد الآن بناحية سكرة بأرض كانت في تملك يهودي قرني بشركة ايطالي على وجه العمل ثم باعها اليهودي الى شخص مالطي يسمى «وانسو» الذي باعها بدوره الى الحكومة التونسية ومنها اشترى م . ڨلانڨو وابنه كوم فعمد الى طمس ذلك الصهريج بالتراب والحجارة وبنيا فوقه منزلين عظيمين وقد زرتها واطلعني م. كوم ڨالنڨو عليها وهذا الصهريج مربع الشكل طول كل ضلع من اضلاعه مائة متر ولم يبق منه الا الاضلاع الاربع التي هي سياج الصهريج ودرج وعرض الضلع ميتران واربعون صنتيماتر وعمق الصهريج اربعة امتار وقد افادني م. كوم ڨالنڨو ان امتلاء ذلك الصهريج يقع من ساقية من سانية له اخرى يفصل بينها وبين ارض الصهريج طريق المرسى ولاحظ الي بانها كانت قبل غير مفصولة وعمق تلك الساقية سبعة امتار في عرض اربعة امتار لليمين ومثلها للشمال ويمتد مجراها نحو الكيلومتر وبناؤها بالحجارة الضخمة ويجد النازل اليها بدرج دكة عظيمة يجلسون عليها صيفا والماء الموجود بها مجلوب من عين بسانية تعرف بسانية زميط وهي الآن بيد جزائري يعرف بالعقبي وماؤها عذب نمير واهل سكرة كانوا في العهد الاخير يردون على الساقية المذكورة للاستقاء منها ولا ينضب معينها الى الآن ومنها تسقى مساحات عظمى من البرتقال وغيره بالسانية المذكورة

وبما ذكرناه يتبين لنا أن الماء لم يكن مجلوبا من عين زغوان على اقواس الحنايا او في مجاري بباطن الارض كما يقوله ابن خلدون لان الماء موجود الى اليوم والحنايا معطلة ومياه عيون زغوان في تصرف الحكومة وموزع على تنظيم محكم نعم قد انتفع الملك الحفصي بفرع من مياه زغوان صرف بعضا منه الى سقاية جامع الزيتونة وبعضا الى رياض ابي فهر لتوفير مياه العين الموجودة بارض زميط .

وقد وصف حازم القرطاجني هذه المباهج الاخاذة الفاتنة في مقصورته =

وابدع في تصويرها في قوله :

اذا علا فسيبه عوذما ... جن من البيت الجميم ورقا
ونفث الفضة ذوبا وغدا ... يخط ماكان الزمان قد محا
من صور للحسن ينسى ذكرها ... ماكان في عهد الافاريق الاولى

ثم يقول

وانساب في قصر ابي فهر الذي ... بكل قصر في الجمال قد زرا
قصر تراءى بين بحر ساهل ... وسجسج من الظلال قد صفا
بحيرة اعلا الاله قدرها ... قد عذب الماء بها وقدرها
ومفعم الارجاء كم من ناظر ... سافر فيه من رجا الى رجا

ويقول :

حدائق للماء فيها كوثر ... وكوثر للمال مرو من عفا
فيها من الاشجار خضر قطع ... وقطع ذات ابيضاض من صحا
كانها يتيمة العمائم في ... ما يشترى من دره ويعتما
سر الغصون ريها حتى انثنت ... وسر مرآها الحمام فشدا
لم يفتقد صاد بها وصادح ... ارواه احسان ولا حسن روا

وقد ابدع في وصف مظاهر النعيم التي شاهدها في قوله :

في بقعة كجنة الخلد التي ... يرى بها كل فؤاد ما اشتهى
تجري بها الانهار من ماء ومن ... خمر ومن رسل وأروى قدصفا
اقسم الايام بين منظر ... ومسمع يسبي العقول والنهى
ومنعم بمطعم ومشرب ... يرضي العيون والانوف واللها
ومركب لمأنس ومجلس ... في مدرس ومحضر في منتدى
وملثم لمرشف ومهصر ... لمعطف من اهيف طاوي الحشا
فالدهر عيد والليالي عرس ... والعيش احلام كاحلام الكرا

ونجد محمد بن الاباريشيد بمباهجها ومبانيها ويشد وبمنتزهاتها ومغانيها في قوله :

نمت صعدا في جدة غرفاتها ... على عمد مما استجاد لها الجد
تخيلن قامات وهن عقائل ... سوى انها لا ناطقات ولا ملد
قدود كساها صافي الحسن عريها ... وامعن في تنعيتها النحت والقد
تذكر جنات الخلود حدائقا ... زوهر لا الزهراء منها ولا الخلد
فاسحاره يهدى لها الطيب منبج ... وآصاله تهدى الصبا نحوها نجد
اناف على شم القصور فلم تزل ... تنهد وجدا للقصور ونهد
رحيب المغاني لا يضيق بوفده ... ولوان اهل الارض كلهم وفد
تلاقى لديه النور والنور فانجلت ... تفاريق ساحاته الظلم الربد

واذا نظرنا الى السكان في تونس نجدهم يرفلون في مباهج الحضارة وبلهنية الحياة فقد كثر ترفهم وتأنقوا في المراكب والملابس والمباني والماعون والانية واستجادوها وتناغوا في اتخاذها وافشائها الى ان بلغت تونس غايتها وقد مر بهـا العبدري في رحلته واقام بهـا مدة فكانت عنده ملء المسامع والافواه والمقل فقد قال :

مطمح الامال ومصاب كل برق ، ومحط الرحال من الغرب والشرق ، وملتقى الركاب والفلك وناظمه فضائل البرين في سلك فان شئت اصحرت في موكب وان شئت ابحرت في مركب كأنهـا ملك والارباض لها اكليل ، ارجاؤها روضة باكرتها ريح بليل ان وردت مواردها نقعت غليلا وان رددت فوائدها شفيت حشا عليلا جليت بها عروس الغروس وحليت بها على ممر الدهر الطروس لا تنشد بها ضالة من العلم الا وجدتها وتلتمس بها بغية معوزة الا استفدتها . واهلهـا مابين عالم بالعلم رافع بين اهله للقلم ومعطل حد الصبـا بحد القلم وسلم على ربع بذي سلم شاك من وجده فرط الالم ، فاقت بحسنها مغانيها واتقان معانيها غيرها من المدن وطالت . وسلطت بنخوتها وانتخت بسطوتهـا على قواعد الشرق والغرب وصالت وترجم حسنها البهيج وعرفها الاريج ولو نطقت لقالت :

انا الغادة الحسناء فاق جمالهـا	فآلت يمينا لا خطبت على زوج
اذا الغانيات ارتدن وصل بعولة	فمالي الا فخر الى الزوج من حوج
اغادي اذا ماشئت ضبيا بقفرة	واطرق نوء اليم في ظلم الموج
وفي لمكدود الحجيج استراحة	فهم يردونى الدهر فوجا على فوج
واني الى البيت العتيق كسلم	به يرتقي من في الحضيض الى الاوج

ثم يقول بعد ذكره الحنايا :

وهي الى الآن دار مملكة افريقية فقد اربت على البلاد في كل فضيلة وما رأيت لاهلها نظيرا شرقا ولا غربا شيمـا فاضلة وخلالا حميدة وقد كان الاخلاق بمن شهد اخلاقهم ان يطنب في وصفهم ويضرب عمن لم يمنحهم الوداد وينصفهم اذ ذاك من بعض واجبهم واقل مراتبهم ولكن الزمان لا يعين على توفية الحقوق ولا يتعهد بالفراغ الا لاهل العقوق . وناهيك ببلد لا يستوحش به غريب ولا يعدم فيه كل فاضل اريب يبدؤن من طرأ عليهم بالمداخلة ويخطبون منه لفضل طباعهم المواصلة فهو منهم بين اهل مشفق ورفيق مرفق

وما من فن من فنون العلم الاوجدت بتونس به قائمـا ولا موردا من موارد المعارف الا رأيت بها حوله واردا وحائما وبهـا من اهل الرواية عدد وافر يجلو الفخار بهم على محيا سافر وبين علمهم وقد القت ذكاء يمينها في كافر

ويقول القلقشندي في الصبح ج 5 ص 115

لاهلها لطف اخلاق وكرم شمائل بالنسبة الى اهل العدوة وسائر بلاد المغرب وناهيك من بلاد شعر ملكها ابي العباس قوله :

مواطننــا في دهرهن عجــائب | وازماننــا لم تعدهن الغرائب
مواطن لم تحك التواريخ مثلها | ولاحدثت عنها الليالي الذواهب

وقوله :

انظر الينا تجدنا مابنــا دهش | وكيف يطرق اسد الغابة الدهش
لاتعرف الحادث المرهوب انفسنا | فاننا بارتكاب الموت ننتعــش

وقوله :

عسى الله يدنـي للمحبين اوبة | فتشفى قلوب منهم وصــدور
وكم من قصي الدار امسى بحزنه | فاعقبه عند الصبــاح ســرور

واذا كان هذا رقة طبع السلطـان فما ظنك بغيره من العلماء والادباء الذين رفعوا مشاعل الهداية الدينية والسمو الحضــاري وكانوا المثل الاعلى في النبوغ العلمي والادبي فانا روا على اوروبا وزحزحوا عنها غيوم الجهالة والظلالة.

وما ذكرنـاه يبطل قول الورتلاني في رحلته من «ان اهلها ينكرون البراني بلغ ما بلغ في القرب والتداني ويصفهم بالحوز والمعاداة والغدر والخديعة»

وهو منطق لعمر الحق يدل على قصر النظر وعدم الاطلاع على تاريخ البلاد الحافل وحضارتها الاسلامية الزاهرة ولا سيما في عصور الازدهار الحفصي فكان عليه ان يرجع ببصره الى ذلك العهد الازهر لا ان ينظر اليها نظر الاعشى عندما افلت بها الحضارة عند قدومه اليها في القرن الثاني عشر وعبثت بهـا يد الفتنة الداخلية وانتهبتها ايدي العابثين الاعراب مثل اولاد سعيد ومن لف لفهم وقل ان تجد امة لم يخنها الحظ قد نشأت في النعيم وطال بهـا امده فلا بد من مراحل تمر بهـا في مدارج العظمه وتنتهي الى نهاية مؤلمة عندما تستطيب الدعة والراحة واللهو ويتملكها الغرور فتضعف النفوس وترتكس الى الحضيض وتلك سنة الحياة فلا تبديل لخلق الله افلا تتفكرون.

نعم بعد وفاة ابي فارس اخذ امر الدولة في الانقاص والتراجع الى الوراء فزالت هيبتها وتفككت وحدتها الى ان انتصبت الحمــاية الاسبانية ونهبت جيوشها المدينة وانتهكت الاعراض وعبثت بالحرمات .

وضروري ان انتقاص حبل الامن وكثرة الفتن واشتعال نيران الحرب تبعث النفوس في عصور الظلم والارهاق والضغط على الحريات الدينية والفكرية على الخمود والانكماش لان الحق لم يكن في ذلك الوقت على اطراف الالسنة وشباة الاقلام بل كان مع اسنة الرماح وفي افواه المدافع بل كان على السنة الجبروت والطغيان الاسباني.

والباحث المنصف المتجرد عن الغايات اذا تصفح هذه الحقبة الزمنية من تاريخ البلاد وبحث عمن نبغ فيها وعن اثارهم لم يجد شيئا بل لم يجد لهم ولا لمن تقدمهم شيئا لان اكثر ما الف وحرر عبثت به سنابك خيل الاسبان وسرقاتهم ونقلهم الكثير منه الى اسبانية والى مكتبة البابا اذ توجد هنالك كتب عليها خط ابي فارس=

= الحفصي حبسها على مكتبة الجامع الاعظم الى الآن.

وقد صور لنا هذه النكبة القاصمة وندب ربوع العلم وبكى الدين لما اصابه من قهر وعسف ابو الفتح محمد بن عبد السلام التونسي عندما بلغه تنكيل الاسبان ببلاده وهو مقيم بدمشق صور ذلك كله في قصيدته التي مطلعها :

سلو البارق النجدي عن سحب اجفـ ـــاني وعما بقلبي من لواعج نيران

وفيها يقول :

سقى الله هاتيك الديار واهلها سحائب تحكي صوب مدمعي القاني
وحي ربوع الحي من خير بلدة تخيرها قدما افاضل يونان
هي الحضرة العليا مدينة تونس انيسة انســـان رآها بانســـان
لقد حل منها آل حفص ملوكها مراتب تسموا فوق هامة كيوان
وسادوا بها عظم الملوك وشيدوا بها من مباني العز افخر بنيان
وكان لهم فيهـا بهـاء وبهجة وحسن نظام لا يعاب بنقصان
وكان لهم فيهـــا عســـاكر جمة تصول باسياف وتسطوا بمران
وكان لاهليهـــا المفـــاخر والعلا وكان بها حصنا امان وايمان
وكانت لطلاب المعارف قبلة لما في حماها من ايمة عرفـــان
ومن ادبـــاء النظم والنثر معشر تفوق بناديها بلاغة سحـــبان
وما برحت فيها محـاسن جمة ومن كل نوع اهل حذق واتقان
الى ان رمتها الحادثات باسهم وسلت عليها سيف بغي وعدوان

الى ان يقول :

فاعظم برزء خص خير مدينة وخير اناس بين عجم وعربان
فصبرا اخي صبرا على المحنة التي رمتك بها الاقدار ما بين اخوان
فما الدهر الا هكذا فاصطبر له رزية مـــال او تفرق خلان

فقد سجل ابو الفتح ماكان لهذه البلاد من البهجة والسعادة في عصورها المشرقة وما لملوكها من مجد سامق اثيل وما لاهلهـا من المفاخر والرغبة الصادقة في تلقي العلوم والاداب من الايمة المبرزين وكيف رمتها الايام بسهام البغي فعفت عن مباهجها وشتت شمل اهلها فاقفر ربعها من اهل العلم والادب والفن وهذا هو السبب الاصلي لفقد محررات العلماء والادباء فيما بين القرن التاسع والقرن الحادي عشر.

(8) ابو القاسم بن احمد بن اسماعيل بن محمد عرف البرزلي ويقول السخـاوي في الضوء اللامع : ابو القاسم بن محمد بن المعتل الملوي البرزلي نزيل تونس امام المالكية بافريقيا له فتاوي متداولة في مجلدين حج سنة 806 ودخل مصر واخذ عنه احمد بن يونس توفي بتونس سنة 844 وقيل في السنة قبلها وكان يوصف بشيخ الاسلام

وفي كفاية المحتاج يزيد بعد ابن المعتل البلوي القيرواني ثم التونسي ... مفتي تونس وفقيهها وحافظهـا اخذ عن متأخري أيمة المذهب كان إماما علامة حافظا للمذهب بحاثا نظارا في الفقه ذكر في بعض اجازاته انه قرأ على ابن =

ولما قدمت الحضرة العلية وانا قد حفظت القران ثانيا بقراءة نافع (1) وحفظت البري على طريق المغاربة والخرازي (2) حضرت للقراءة على مؤدب آخر بالحضرة العلية اماما صالحا ورعا وهو الشيخ الصالح سيدي ابو النور الاوجاري (3) من احفاد الشيخ سيدي سليمان ولي الله الاوجاوي فكنت اقرأ عليه القرآن تجويدا وكان قبله رجل يقال له الفقيه الخير المقري ابو عبد الله محمد الجرار وكان متقنا لقراءة السبعة وعارفا بالشاطبية (4) فامرني بحفظ الشاطبيتين : الصغرى والكبرى وحفظت الرسالة (5) وأعدت القرآن باللوح مرة اخرى ثم امرني ان اجود على الشيخ الامام العالم البركة سيدي ابي القاسم المذكور في حدود عام اربعة وثلاثين فأتيت مع الوالد رحمه الله الى دويرية الجامع فوجدت عند بابها بين الصلاتين ازيد من خمسين ولدا قاصدين التجويد ويدخل كل في ادالته (6) فاشار علينا الوقاد (7) وهو رجل يقال له ابن عبد النور ودخلنا على الشيخ رحمه الله وكان قد كف بصره رضي الله عنه فسلم عليه الوالد رحمه الله وكان يعرفه وذكر له اني ولده فاخذ الشيخ رضي الله عنه يده وبسطها ووضعها والدي على رأسي واخذ يتحدث على فقهاء المغرب وعلى ملوكهم ووجدنا بحرا في حفظ الغرائب والعجائب

= مرزوق بعض الصحيحين والشاطبيتين والعمدة وغيرها وعن الفقيه الراوية ابي الحسن البطرني القراءات السبع وكتبا كثيرة واحزاب الشاذلي عن الشيخ ماضي عنه ولازم ابن عرفة وسمع عليه جميع الصحيحين والموطا والشفا وعلوم الحديث لابن الصلاح والتهذيب مرارا وفرعي ابن الحاجب وكثيرا من اصليه والمعالم الفقهية وجمل الخونجي وكثيرا من المحصل والتفسير مرارا وقرأ عليه مختصره المنطقي واكثر مختصره الفقهي وفي الاصلين واجازه وكتب له بخطه واخذ عن الفقيه احمد بن الحاجبة وعن المتفنن ابي محمد الشبيبي ، لازمه من عام ستين الى عام سبعين اخذ عنه القراءات السبعة والتهذيب والجلاب والموطا وصحيح مسلم والفرائض والحساب والنحو والتنجيم ولازم كثيرا القاضي الحافظ احمد بن حيدرة التوزري واخذ عنه كثيرا واخذ بالمشرق عن البرهان الشامي والمعمر الراويه ابي اسحاق بن صديق وذكر آخر نوازله انه لازم ابن عرفه نحو اربعين سنة فاخذ علمه وهديه وجالس كثيرا واجاز ابن حجر. توفي بتونس سنة 843 وقيل 844 عن مائة وثلاث سنين وقال ابن بابا : ورأيت في بعض التقاييد انه توفي سنة 842.

وممن اخذ عنه ابن ناجي والثعالبي وحلولو والرصاع.

وما راى من المشايخ . ثم امرني بالقراءة فقرات الفاتحة مرة وامرني باعادتها وتحقيق مخارج حروفها وشدد علي في الفرق في المخرج بين مخرج الظاء والضاد وينطق بذلك بلفظه حتى يتبين لي ذلك قولا وفعلا وكرر ذلك على لان لساني كان به بعض تعقيد على عادة المغاربة فببركته ازال الله لكنته في تحقيق الاحرف حتي لا يعتقد في الا من علم ذلك مني ولازمت الشيخ حتى ختمت عليه القرآن افرادا وجمعا ثم عرضت عليه القصيدتين المباركتين : حرز الاماني ووجه التهاني والقصيدة

---

(1) ابو ريم نافع بن عبد الرحمان ابو نعيم مولى جعونة بن شعوب الشجعي المدني امام اهل المدينة في القرآة وأحد القراء السبعة من الطبقة الثانية بعد الصحابة وكان محتسبا ، فيه دعابة شديد السواد قرأ عليه مالك اصله من اصبهان قرأ على ابي ميمونة مولى ام سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وله راويان : ورش وقالون. كانت وفاته سنة 169 بالمدينه المنورة (2) محمد بن محمد الشريشي الامام الفقيه العمدة القدوة تخرج عن محمد القصاب له مورد الضآن في رسم احرف القرآن ورجز آخر سماه البيان وشرح على الحضرمية وعلى البريه توفي سنة 718 - اهـ من شجرة النور الزكية 215.

(3) في نخ الاجواري (4) نسبة الى الشاطبي امام القراءات وهو ابو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي الرعيني الضرير ولد بشاطبة سنة 583 وتوفي بمصر بعد صلاة العصر يوم 28 جمادي الاخرة سنة 590 ودفن بتربة القاضي الفاضل. تخرج في القراءات على محمد النفري وعلي بن محمد بن هذيل وسمع الحديث عن ابن سعادة ومحمد الخزرجي وابي نعمة وكان يقول عن نفسه انه يحفظ وقر بعير علما ودخوله الى مصر كان سنة 572 نزل على القاضي الفاضل فرتبه بمدرسته وتصدر للقراءات والنحو واللغة وكان متفردا بذلك عالما بكتاب الله قراءة وتفسيرا مبرزا في الحديث بلغ فيه الى درجة انه إذا اقرأ صحيح البخاري وصحيح مسلم والموطا تصحح النسخ عليه من حفظه ويملي النكت على المواضع التي تحتاج اليها والى جانب ذلك كان متقنا لعلم تعبير الرؤيا وعرف بحسن المقصد والاخلاص في القول والفعل يجتنب الفضول ولا ينطق الا بما تدعوه اليه الضرورة ولا يجلس للاقراء الا على طهارة في هيئة حسنة مع خشوع واستكانة واذا اصيب بعلة شديدة لا يشتكي ولا يتأوه وان سئل عن حاله قال بعافية لا يزيد على ذلك. وانتفع به خلق كثير في كل مادرسه ولا سيما في القراءات فقد الف فيها قصيدته : حرز الاماني ووجه التهاني وعدتها الف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا ابدع فيها الابداع كله وهي المرجع في القراءات وتشتمل على رموز عجيبة واشارات خفية لطيفة قال ابن خلكان وما اظنه سبق الى اسلوبها و روي عنه انه كان يقول : لايقرأ احد قصيدتي هذه الا وينفعه

= الله عز وجل بها اني نظمتها لله تعالى مخلصا في ذلك . وله قصيدة ثانية عدتها خمسمائة بيت من حفظها احاط علما بما في كتاب التمهيد لابن عبد البر وضبط ابن خلكان فيرة اسم والده بكسر الفاء وسكون الياء وضم الراء مشددة ومعناها الحديد باللاتينية والرعيني بضم الراء وفتح العين وسكون الياء نسبة الى ذي رعين احد اقيال اليمن ويقال ان اسم الشاطبي هو ابو القاسم والموجود باجازات مشايخه له ابو محمد القاسم (5) من اشهر كتب الفقه المالكية الفها ابو محمد عبد الله بن ابي زيد النفزي القيرواني سأله تاليفها المؤدب محرز بن خلف وأن يضمنها ما يجب تعليمه لابناء المسلمين وقد توفر على شرحها العلماء بمزيد الاهتمام والعناية والتحقيق وكانت نشأة مؤلفها بالقيروان فتفقه على ابن اللباد والعسال وابن مسرور والابياني ودراس وسعدون الخولاني وابي العرب وغيرهم من اعلام افريقيا وفي رحلته للحج سمع من ابن الاعرابي وابن منذر وابن ابي هلال والقاضي ابن حماد والحسن بن نصر السوسي والغرابلي واستجاز ابن شعبان والابهري والمروزي وسمع من جمهرة كثيرة وتخرج عليه طائفة كبرى منهم ابو بكر بن عبد الرحمن والبرادعي واللبيدي وابن الاجدابي والخواص ومكي المقبري وابن العابد والحذاء والقنازعي وابن العجوز وابو محمد بن غـــالب واستجازه ابن مجاهد البغدادي وكان ابن ابي زيد نظارا حافظا حجة اماما للمالكية في وقته يجمع الى اتساع العلم كثرة الحفظ والرواية مع فصاحة قلم وبراعة تحرير واجادة للشعر الى صلاح وعفة وورع وكان غيورا على المذهب المالكي قواما على بثه صوالا على السنة مقاوما لاهل الضلالة والبدعة بصيرا بالرد عليهم وقد خص المذهب المالكي وجمعه وعلى تآليفه المعول واليها المرجع وقد لقب بمالك الصغير وتآليفه النوادر والزيادات على المدونة مائة جزء - مختصر المدونة - تهذيب العتبية - الاقتداء باهل المدينة - والذب عن مذهب مالك - الرسالة وقد كتبها وعمره سبعة عشر عاما - التنبيه على القول في اولاد المرتدين - رسالة الحبس على اولاد الاعيان - تفسير اوقات الصلوات - كتاب الثقة بالله والتوكل عليه - وكتاب المعرفة واليقين - وكتاب المضمون من الرزق - كتاب المناسك - رسالة فيمن تأخذه حركة على تلاوة القرآن والذكر - رسالة في الرد على القدرية - رسالة في اصول التوحيد - كتاب البيان من اعجاز القرآن - كتاب اعطاء القرابة من الزكاة - رسالة في الرد على الفكرية - وكتاب رد السائل وكتاب الوساوس - كتاب غاية تمرض المؤمن - رسالة النهي عن الجدل - مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي كتاب كشف التلبيس - رسالة الموعظة والنصيحة - رسالة طلب العلم كتاب فضل قيام رمضان - رسالة الموعظة الحسنة لاهل الصدق - رسالة الى اهل سجلماسة في تلاوة القرآن .

=وكتبه كلها عزيزة قيمة مفيدة وقد وقع النغالي في رسالته وكتبت بالذهب. قيل انه دخل يوما على ابي سعيد ابن اخي هشام يزوره فوجده في مجلسه الحافل فقال له ابو سعيد : بلغني انك الفت كتبا فقال: نعم اصلحك الله فان اصبت اخبرتنا وان اخطأت علمتنا فسكت ابو سعيد ولم يعاوده". وتوفي ابو محمد بالقيروان سنة 386 ودفن بداره وقد جهل مكانه من بين القبور التي بها فقد احتيج لتجديد السقف فخرجت توابيتهم الى بيت آخر وبعد الاصلاح وارادة ارجاع التوابيت اشتبهت عليهم القبور واشكل الامر على ان ابن الدباغ يقول: ان ابن ابي زيد مدفون قبالة الباب ولاكن غلب على ظن اكثر الناس انه دفن على اليسار حيث الدكان والتاريخ ورثاه كثير من الشعراء منهم ابو زكرياء الشقراطسي - والنفزي من نفزة بالفتح ثم السكون والزاي كما قاله ياقوت مدينة بالمغرب قال وقال السلفي نفزة بكسر النون قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبة ينسب اليها ابو محمد عبد الله بن ابي زيد - شجرة النور الزكية 96 - الديباج المذهب 136 معجم البلدان 8 ج ص304 طبع السعادة - معالم الايمان.

(6) من ادال بمعنى دال: دار وانقلب من حال الى حال لان لكل تلميذ حالة من الاحوال يرجع اليها تخالف حالة زميله وقد اطلقت كلمة الدولة على حصص الدروس التي يلقيها الاستاذ أو على قراء الاحزاب بجامع الزيتونة.

(7) من وقد المضعف العين: المكلف بتوقيد اي تنوير المصابيح بالمسجد.

(8) القراءة بافراد ان يتلى القرآن كله او جزء منه برواية واحدة لاحد القراء السبعة أو العشرة المشهورين. والقراءة جمعا ان يجمع القاري عند قراءة القرآن كله او جزء منه بين روايتين فاكثر من الروايات السبع او العشر المتواترة ويسمى بالجمع الكبير ان استوفى القاري سبع قراءات فاكثر والا سموه بالجمع الصغير ولهم في صفة الجمع وحكمه من اباحة وتحريم ذلك خلاف مذكور - انظر غيث النفع ص 8 . 10.

المسماة (9) بعقيلة اتراب القصائد في رسم المصحف وعرضت عليه رحمه الله الرسالة في مجالس ثم لما ختمت عليه كتاب الله تعالى وعرضت ماذكر روينا عليه الكتب الستة قرأت من اولها احاديث تبركا وكذلك الشفاء والموطا وكتب لي بذلك اجازة خاصة وعامة وذكر فيها اشياخه كما جرت عادته في مروياته واجازني فيما قرأته وعرضته ولازمت الصلاة خلفه وسمعت فتيته وحضرت مجلسه في مدرسته المعلومة به (1) وجميع من اخذنا عنه من كبار المشيخة اخذ عن هذا الشيخ واجازه وكانوا يعظمونه لانهم اولاده ويعظمون علمه ويعرفون قدره ويجلونه وكذلك كل من يرد عليه من بلاد الاندلس (2) ومن بلدة فاس (3) ومن بلدة تلمسان من العلماء كلهم يأخذ عنه وقد كان شيخنا الشيخ ابو القاسم العبدوسي (4) على ماكان عليه من شدة حفظه واطلاعه فقها وحديثا وتاريخا وسيرا بحرا لا ساحل له لما قدم على الشيخ المذكور وبلغه طريقه اتي الى الشيخ المذكور يسلم عليه فقال له الشيخ المذكور: اهلا وسهلا بواعظ بلدنا فقال: ياسيدي وكذلك فقيهها فقال له الشيخ: اما حفظ الاحاديث والسير وغير ذلك من الوعظيات فيسلم لك فيه واما الفقه على مذهب الامام مالك فلانسلمه لك فاعترف الشيخ السيد ابوالقاسم للشيخ بذلك وانه بركة وقته ووحيد عصره وزمنه.

وكان الشيخ سيدي ابو القاسم العبدوسي اذا سأله الناس عن مسائل في مجلسه يقول لهم ببعض الايام: ياهؤلاء المكاشف مادام لكم صاحب السارية بجامعكم الاعظم فانتم مستورون واذا ذهب عنكم ينكشف امركم

---

(9) قصيدة رائية للشاطبي.

(1) هي المدرسة الشماعية وسيأتي الكلام عليها (2) الاندلس: اقليم في اسبانيا يشمل جميع القسم الجنوبي من هذه البلاد وله جبال عالية مختلفة الارتفاع والانخفاض بعضها جيد الخصب وبعضها كثير المراعي وغني بالمعادن بها شعاب تتخللها اودية وسهول قليلة السعة وهواؤه حار وتربته غالبا عظيمة الخصب وينبت فيه جميع حاصلات الاقاليم الحارة وحالته الزراعية والفلاحية في تأخر كلي دون حالتها زمن الاسلام ومعادنه الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد والمرمر البديع وهو حجر كريم يشبه الزبرجد ويمتاز عليه بكثرة الصفاء • وبه ينابيع ثرة من المياه المعدنية الباردة والحارة. والصناعة الآن منحطة وقد كان له زمن الاسلام نجاح وتقدم • ووجه تسميتها بالندلس ان الوندال استولوا عليها في القرن الخامس الميلادي واستوطنوها فنسبت اليهم ودعيت بواند اليسيا ثم حرف اسمها الى اندلوسيا ثم

عرب بالاندلس وقد جعل العرب قرطبه دار خلافة ولما كان اقليم الاندلس اول مـا استولوا عليه من بلاد اسبانيا اطلقوا اسم اندلس على جميع اسبانيا .

وفى القرن الحادي عشر انقسمت الى اربع ممالك : قرطبه ، اشبيلية ، جيان غرناطة واختلف فيها الحال وهي آخذة الى الانقراض حتى القـرن 13 فاستولى فريدناند على قرطبه وجيان واشبيليه واستمرت الدولة الاسلاميه في الاندلس الى سنة 1492 حيث انتزعت منها غرناطه ووقع اجلاء المسلمين.

ويقول ياقوت : وفى اهل الاندلس ايمة وعلماء وزهاد ولهم خصائص كثيرة ومحاسن لا تحصى واتقان لجميع مـا يصنعون مع غلبة سوء الخلق على اهلهـا وصعوبة الانقياد.

وقد بسط القول على الاندلس باكمل واتم بيان البحاثة الاستاذ سيبولد بدائرة المعارف الاسلامية مجلد 3 من صفحة 35 الى 47 واكمل الفائدة وفحص القول البحاثة الاستاذ محمد مسعود بتعليقاته على ذلك البحث ، اضف الى ذلك ما بمعجم البلدان ج 1 ص 347 طبعة اولى وما بتقويم البلدان لابي الفداء ص 165 طبع باريس ،

(3) اسسها ادريس ابن عبد الله سنة 172 هجرية بعد ان التف حوله البربر بمكان مدينة قديمة تسمى ساف فقلبها فصارت فاس وقيل عند حفر اسسها عثروا على فاس ضخمة من آثار الاقدمين في باطن الارض فسميت المدينة باسم مدينة فاس وكان البناء مقاما على ارض ذات بركة مغطاة بالاعشاب على الضفة اليمنى لنهر تمتد اليه ينابيع اخرى وبنى بداخلها مسجدا ولم يطل حكمه اذ انتهى سنة 177 هـ وتعرف بعدوة الاندلسيين وبعد وفاته وضعت امته ابنه ادريس فبايعته البربر وكفله مولاه راشد وبعد قتله كفله ابو خالد العبدي وقد اظهر من وفور العقل والنباهة ما اذهل الخاصة والعامة ولما كثرت جيوشه وتوافدت عليه الوفود اسس القسم الثاني القائم على الضفة اليسرى للنهر وسماه بعدوة القرويين وهو مواجه للبناء القديم القائم بالضفة اليمنى وبني بداخله مسجدا واقيمت حوله اسواق وقيسارية وقصر وتوافد على المدينة الشرقية كثير من البربر وكان النازحون الى المدينة الغربية عربا وقد اختلطت بالمسلمين طائفة ملحوظة من اليهود واستقر بها الامير وكان ذلك سنة 192 ولم يتجاوز عمره سبعة عشر عاما وفى سنة 202 سمح ادريس الثانى للنازحين من الاندلس بعد واقعة الربض بالاستقرار بالحي الشرقي منها وقد عاشت المدينتان فترة من الزمن مترددتين بين الوفاق والاضطراب الى ان اتى بطل الصحراء يوسف بن تاشفين فحطم الحواجز الفاصلة وجعلها مدينة واحدة وذلك فيسنة 462 هـ الموافق لسنة 1069م

وكذلك الشيخ سيدي ابو عبد الله محمد بن مرزوق لما صلى الجمعة خلف الشيخ جلس يسمع الاسئلة والاجوبة فلما قام الشيخ قال الفقهاء من الناس لسيدي ابي عبد الله محمد: كيف رأيتم حال شيخنا؟ فقال: هذا لا نفعله نحن بالمغرب ولا يفعل هذا الا من كان المذهب نصب عينيه مثل هذا الشيخ واما الغير فهو دائر بين امرين اما ان يجيب عن كل مايسأل عنه ولا يتوقف ولا يراقب الله تعالى فيقع فيما يقع فيه من التعدي واما ان يقول: حتى انظر فلا يجيب عن اكثر ما يسأل عنه ولا يفعل هذا الا من عظم الله تعالى في قلبه فلا يرى الا الله وقليل ماهم وكان الناس لهم محبة في العلم وتفقهوا عليه بالمسائل وربما يسألون غيره ويأتون اليه يصححون الجواب عنه وربما يصوب وربما يخطي المجيب ويقول: ارجعوا وقولوا له لا تقل هذا وارجع عنه فانه خلاف مابه العمل أو خلاف المشهور.

وقد كان الشيخ الامام شيخنا ابو حفص (1) عمر رحمه الله تعالى يفتي ويعلم الناس وكان قد سأله رجل عن الفاتحة اذ اقرأها مرتين وكررها في صلاته عمدا

= وعلى موقع هاتين المدينتين استقرت المدينة الكبرى في العصور الوسطى واصبحت مركز الاسلام زاخرة بمنابع العلم حافلة بالصناعة رائجة التجارة ثم الى جانب ذلك كله تمتاز بعذوبة الماء واعتدال الهواء وطيب التربة وزكاوة الثمرة وكثرة الشجر وقرب المحطب ووفرة المياه المتخللة للديار والبساتين والجنات والحمامات والمستعملة للطحن ومن خواص ماء النهر انهم لايحتاجون عند غسل الملابس الى الصابون لانه ينظفها ويكسبها رونقا و رائحة طيبة وبه انواع كثيرة من السمك وهو يفوق ماء المغرب عذوبة وخفة وكثرة منفعة - 18 - 21 من نخب تاريخية نشر بروفنسال طبع باريس 1948 - حقائق الاخبار عن دول البحار ج 1 ص 285

(4) ابن موسى نزيل تونس كان واسع الباع والحفظ والدراية وهو عم ابي محمد توفي بتونس في يوم الاضحى سنة 837 ودفن بالجلاز - درة الحجال ص 462 من القسم الثاني - تاريخ الدولتين للزركشي 114

(1) ابن محمد بن عبد الله الباجي القلشاني ولد بباجة ليلة السبت 2 شوال773هـ اخذ عن والده ثم انتقل الى تونس فاخذ عن ابن عرفة والابي والحفيد ابن مرزوق وتعلم الطب على الشريف الصقلي ولي قضاء الانكحة والتدريس بمدرسة عنق الجمل بعد وفاة والده 839 وقد كان نائبا عنه قبل الوفاة ثم ولي الخطابة والفتيا

هل تصح صلاته ؟ فقال الشيخ : يظهر لي ان الصلاة باطلة لانه كرر ركنا من اركان الصلاة ومن كرر ركنا من اركانها عمدا بطلت صلاته كما هو منصوص عليه. ثم سئل الشيخ الامام العالم عن ذلك فقال : قولوا للفقيه عمر صلاته صحيحة ولو كررها مرارا انما ذكر الفقهاء ما ذكر في الفعلي لا في القولي ثم رجعوا الى تلميذه رحمه الله فذكروا له ذلك فصوب ذلك وقيل: انه اجتمع بالشيخ واطلعه على النص وذكر لي بعض الفقهاء المغاربة ان النازلة وقع نظيرها ببلاد تلمسان واختلف فيها الشيوخ كما اختلفوا بالحضرة ولم يجدوا فيها نصا وقد وقع للشافعية في ذلك خلاف ووقع في كلام صاحب المقدمات مايقتضي الخلاف عندنا لكن في لفظه اشكال .

وذكر لي بعض من كان يلازم الشيخ سيدي ابا القاسم البرزلي رحمه الله وكان صباغا يحفظ اسئلة كثيرة قال : سألت الشيخ سيدي ابا القاسم العبدوسي (1) عن المعلم الصباغ هل يطلب في حقه ان يكون له ثوب للصلاة لكثرة مايرد عليه من اثواب البادية النجسة ؟ قال : فاجابني : يستحب له ان يكون له ثوب يصلي به كما ذكروا في المرضع قال : فشق ذلك علينا فاتيت الى الشيخ الامام رحمه الله تعالى فسألته قال : يصلي ولا يطلب في حقه ذلك وكررت عليه ذلك وقلت له: ياسيدي فلان افتي بكذا فقال : لا أقول به ، ودين الله يسر فقلت له : ياسيدي اقلدك ونعكز (2) عليك قال: فقال: قلدني وعكز علي وانا لي عكاكيز من مشائخ نعكز عليهم رحمهم الله ونفع بهم. وكان مجاب الدعوة رحمه الله شاهدنا منه طلب الغيث اذا احتاج الناس اليه على منبره يوم الجمعة اذا دعى وخشع جرت العيون وخضعت الرقاب وبعد ذلك بساعة او بالليل تنزل الرحمة على الحضرة ببركته اكراما لشيبته وشاهدناه يدعو كثيرا في ايام مباركة ويطيل الدعاء مثل يوم عرفه بعد صلاة العصر ويوم عاشوراء وكذلك في ايام يحتاج الناس فيها الى دعائه كما احتاجوا الى ذلك حين نزلت الاعراب (3) على باب الحضرة العلية واجتمعت شيوخ اولاد « بلبل » من شيوخ

بجامع التوفيق في ذي القعدة 741 ثم ولي قضاء الجماعة والخطبة والفتيا بجامع الزيتونة في صفر 816 ومرض اوائل 847 وطال مرضه الى ان توفي ليلة الاربعاء 4 رمضان 847 ودفن بالجلاز. اقرأ الفقه والاصلين والمعاني والبيان والعربية والحديث وتخرج عليه كثيرون من العلماء منهم ابنه محمد وابراهيم الاخضري وحلولو والرصاع

وابن زغدان وابن خصيب الف شرحا على ابن الحاجب الفرعي بلغ فيه غـاية الاستيفاء والتحقيق ودقة البحث بما دل على سعة العلم وقوة الادراك وجـودة النظر وشرح الطوالع بلغ فيه الى الالهيات وكان معتمدا في الفتوى عند المازري والونشريسي ونقلا عنه الكثير اذ كان لديهما حجة حافظا - 196 نيـل الابتهاج - 215 شجرة النور الزكية - 114 - 18 - 122 - 124 - 125 تاريخ الدولتين للزركشي طبع تونس.

(1) عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي نعته صاحب نيل الابتهاج بالامام الحافظ الفقيه المحدث العلامة الجليل حامل لواء المذهب والحافظ في وقته ابو القاسم شيخ الاسلام ابي عمران العبدوسي الفاسي)

اخذ عن ابيه وغيره من اعلام المغرب وبلغ في قوة الحافظة الى الدرجـة العظمى وقال ابو عبد الله الزنديوي شيخ الفتوى بتونس في التعـريف بحـال العبدوسي بالحفظ فيما يقضي منه بالعجب من الغرابة قال : ورد علينا في اخريات عام سبعة عشر وثمانمائة الفقيه العالم الحافظ ابو القاسم ابن الشيخ الامـام ابي عمران موسى العبدوسي بكتاب في يده من قبل الامام ابي عبد الله محمـد ابن مرزوق يقول لنا فيه : يرد عليكم حافظ المغرب الآن فقلنا : لعل ذلك من تعسيل الاخوان لاخوانهم في الوصية بهم فلما اجتمعنا به واقام عندنا أزيد من عـام رأينا منه العجب العجاب من حفظ لا نتوهم ان يكون لاحد لما رأينا في بلاد افريقية ومجالس اشياخنا بتونس وبجاية ، كان عندنا بتونس الشيخ ابو القاسم البـرزلي سلم له اهل زماننا في حفظ الفقه واشياخ المدونة دونه في ذلك وببجاية الشيخ الشيخ الفقيه ابو القاسم المشذالي حضرنا مجالسهم فما رأينـا ولا سمعنا من يشبه العبدوسي في حفظه وعلمنا صدق ابن مرزوق فيما وصفه به وان من ورعه ان لا يذكروان لا يكتب الا بما نحقق وكما قال الشاعر :

فلما التقينا صدق الخبر الخبـرا

وقال الآخر : بل صغر الخبر الخبر ، وكذلك فعلنا نحن تركت مجالـس تدريسي وحضرت عنده لآخذ شيئا من طريقه واقتطف من راس يانع تحذيقه فلما حضرت رايت شيئا لا يدرك إلّا بعناية ربانية ، موقوف ذلك على من رزقه الله الحفظ ينفق منه ما يشاء واما غيره فلا لازمناه حضرا وسفرا وعلمنا طريقه تفكيرا ونظرا ولا يقدر على طريقته إلّا من حاز فطنة كاملـة الاستواء ممـدة من جميع القوى . فمن طريقته اذا قرأ المدونة فاستمع لما يوحى يبتدىء على المسألة من كبار اصحاب مالك ثم ينزل طبقة طبقة حتى يصل الى علماء الاقطار من المصريين والافريقيين والمغاربة والاندلسيين وائمة الاسلام واهل الوثائق والاحكام حتى يكل السامع وينقطع عن تحصيل المطالع وكذا اذا انتقل الى الثانية وما بعدها هذا بعض طريقه في المدونة

وأما اذا ارتقى كرسيه فترى امرا معجزا ينتفع به من قدر له نفعه من الخاصة

والعامة يبتدىء باذكار وادعية موزونة لذلك يكررها كل صباح يحفظها الناس و ياتونها من كل فج عميق يتسابقون في حفظها وبعد ذلك يقرأ القاري آية فلا يتكلم بشيء منها إلّا قليلا ثم يفتتح فيما يناسبها من الاحاديث النبوية واخبار السلف وحكايات صوفية وسير شريفة نبوية وصحابية واخبار التابعين وتابعيهم ثم بعدها يرجع الى الآية وربما أخذ في نقل الاحاديث فيقول : الحديث الاول كذا والثاني كذا والثالث الى المائة فيزيد حتى يختمها ثم كذلك في المائة الثانية ونشك في المائة الثالثة ، ويانتي في نظر ذلك ونقلها بأمر خارق للعادة هكذا فعل في مسجد القصر وغيره وكان الناس يتسابقون الى المواضع قبل الصبح رجالا ونساء يتزاحمون عليها وفي خارج المسجد اكثر مما في داخله وصوته جهير يسمع الكل ومنع السلطان من يخلط عليه ويحيره من الطلبة وإلّا فطلبة تونس لا يردهم ذلك عمن لا يشاركهم في علومهم ياتونه من قبلها وما تصدى لمعارضته إلّا شيخنا ابو العباس المعقلي حرض الطلبة تحريضا عاما ويقول : انـا لله خلت تونس حتى صار هذا يتكلم فيها بما يشتهي ولكن خافوا من السلطان رحمه الله تعالى ، وهذه الطريق قالوا : ان ابن اخيه عبد الله يفعلها بفاس بجامع القرويين وقالوا : عملها بمصر فتعجبوا من حفظه ونقله المتين من الاحاديث وبنائه عليها وترتيبه ولكنهم فضلوا عليه سيدنا ابا عبد الله بن مرزوق لمشاركته في العلوم ومفاوضته اياهم في علـوم الحديث في طريق ابن الصلاح ونظمه في ذلك الاراجيز وقيل له : ان التونسيين يقولون : انك لا تحسن العربية فأمرهم ان يقرؤا عليه كتابا في العربية اكبر ظني أنه الفية ابن مالك فسلك في إقرائها طريقه في المدونة وبـدأ لهم باصحاب سيبويه ثم نزل الى السيرافي وشراح الكتاب وطبقات النحويين حتى مل الحاضرون وكلوا وما زال ينقل حتى ذهبوا ولم يراجع في ذلك ويقال : انه اجتمع ليلة في جهاز بالشيخ البرزلي وهو اعمى ولما تكلم العبدوسي قال له البرزلي : اهلا بواعظ بلدنا فقال له العبدوسي : قل: وفقيهها فسكت البرزلي فعد ذلك من رجاحة العبدوسي وسرعة جوابه

وقد أطراه ايضا الونشريسي ونقل عنه ابن ناجي في شرح المدونة كما نقـل عنه الثعالبي في شرح ابن الحاجب ـ ملخصا من نيل الابتهاج ، ص 179

(2) من عكز بتضعيف الكاف ـ اتكأ عليه واعتمده

(3) التحقيق ان هناك فرقا بين العرب والاعراب فالعرب هم اهل الامصار والنسبة اليهم عـربي وهو مشتق من الاعراب بمعنى البيان لان الغالب عليهم البيان والبلاغة.

اما سكان البادية فهم الاعراب والنسبة اليهم اعرابي

والذي عليه العرب العام اطلاق لفظ العرب على الجميع . ومن عـداهم يطلق عليه اسم عجمي سواء كان من الفرس او الروم او الترك او الافرنج لا على خصوص الفرس كما يتوهمه العامة ولا يقال له اعجمي بهذا المعنى بل الاعجم هو

الذي لا يفصح في الكلام ولو كان عربيا - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لابي الفوز السويدي ص 6

وقد اصاب البلاد التونسية هلع عظيم وشر اليم من الاعراب الوافدين عليها في عام 444 على عهد المعز بن باديس فكانوا السبب في دك الصرح الصنهاجي وطمس معالم الحضارة وقد انتشروا في ربوعها فكانوا قرحا في جنب البلاد فكلما نشبت حرب بين ابناء العم او بين غيرهم إلّا رأيتهم سراعا الى المعركة وفي كل فريق من المتخاصمين فريق من الاعراب والربح والغنم يكون دائما للاعـراب سواء كانوا مع الغالبين او كانوا مع المغلوبين لان موقفهم في الغالب موقف المرتزقة فلهم الاجر والغنم في حالتي النصر والهزيمة

ويقول ابن خلدون فيهم: واكتسحوا المكاسب وضربوا المباني وعاثوا في محاسنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها وتفرق اهلها وعظمت الرزية وانتشر الداء واعضل الخطب ..... وعاجوا على ما هنالك من الامصار وازعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى والضياع فتركوها قاعا صفصفا اقفر من بلاد الجن واوحش من جوف البعير وغوروا المياه واحتطبوا الشجر واظهروا في الارض الفساد ..... وملكوا على الملك الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد ويأخـذون لهم الاتاوة على التصرف في اوطانهم وبقوا كذلك الى عهد الموحدين فانتقضوا عليهم وظنوا انهم منتصرون ولكن عبد الله بن عبد المؤمن انكى فيهم وكسر شوكـتهم ثم راجعوا بعد ذلك بصائرهم وعفا عنهم عبد المؤمن واستصحبهم في فتوحاته الى ان خرج بنو غانيه عن الدولة فاسرعوا الى مناصرتهم وكانوا اليهم سابقين

اما قبائل زغبة فكانت مع الموحدين. وقد تغلب على المنـاوئين المنصور وشردهم الى الصحاري والمغرب الاقصى.

وعندما قـام الكعوب بامر ابي حفـص قويت مكانتهم وعظمت ثروتهم واصطناعهم فعمروا ونموا وبطروا النعمة وكثر عيثهم وفسادهم وطال اضرارهم بالسابلة وحطمهم للجنات وانتهاب الزرع فاضطغن لهم العامة وحقدوا عليهم سوء اثارهم ودخل رئيسهم هداج بن عبيد سنة 705 الى البلد فحذرته العيون وهمت به العامة وحضر المسجد لصلاة الجمعة فتجنوا عليه بأنه وطىء المسجد بخفيه وقال لمن انكر عليه ذلك: اني ادخل مجالس السلطان بهما فنادوا به عقب الصلاة وقتلوه وجروا شلوه في سكك المدينة فزاد عيثهم وفسادهم واجلابهم على السلطان واستقدم احمد بن ابي الليل شيخ الكعوب لذلـك العهد عثمـان ابن ابي دبوس من مكانه ونصبه للامـر واجلب على الحضرة فلم يزالا وخرج اليهم ابن يزركين فهزمهم وسار لتمهيد الجهات وتسكين ثائرة العرب فورد عليه احمد بن ابي الليل وسليمان من رجالات هوارة بعد ان راجع الى الطاعة وصرف ابن دبوس الى مكانه فتقبض عليهما وبعث بهما الى تونس الى ان مات احمد بالسجن وقام بامر الكعوب محمد ابن ابي الليل

ومعه حمزة ومولاهم بن عمر وخرج ابن يزركين وقبض على مولاهم فاوفد الى سجن الحضرة واعتقل مع عمه احمد وجاهر حمزة بالخلاف وتابعه في ذلك قومه فكثر عبثهم واضروا بالرعايا وتفاقمت شكاية العامة منهم ولغطوا بها في الاسواق ونادوا بالثورة فطالبوا بالحاجب ابن الدباغ طالبين شفاء صدورهم بقتله لانه سبب مانزل بهم فابى السلطان ذلك وامر بملاطفتهم الى ان هدأت الثائرة ثم تتبع بالعقاب من تولى كبر ذلك منهم وكان ذلك في رمضان سنة ثمان واستمر العرب في غلوائهم فكلما سنحت لهم الفرصة لاجابة كل ناعق في بوق الفتنة الا واجابوه وكل من حدثته نفسه بالانتقاض على الحكومة رغبهم في الانضواء تحت لوائه ومد لهم في الوعود لبوه وفي عهد السلطان ابي البقاء خالد انتقض عليه اخوه وعم الاضطراب فقام ابو اسحاق بن عبد الرفيع وكان متبوعا صارما قوي الشكيمة فاغراه بمدافعة العدو فحام عن لقائه واعتذر بالمرض واشهد بالانخلاع عن الامر ودخل المزدوري القصر واستمكن من اعتقاله ثم جاء ابو يحي اللحياني فبويع البيعة العامة وقد اضطربت عليه افريقية وكان تعويله في المدافعة على اوليائه من العرب وعلى رأسهم حمزة بن عمر بن ابي الليل فكانت له الشركة في سلطانه وافرده برئاسة الاعراب واجره الرسن وسرب اليه الاموال وكثر بذلك زبون العرب واخلافهم عليه فجمع الكنوز والذخائر والجواهر وباع ما كان لديه من الانية والمتاع والكتب وحمل القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والدر والياقوت ميمما قابس ومورياً بمراقبة الاعمال سنة 17 وانتقل الى طرابلس وآل الامر الى ابنه محمد ابي ضربة وقد ساءت حالة الدولة وانحلت عراها وعبث بها الحاجب ابن تافراجين وبعد فراره الى ابي الحسن المريني واتصاله به اغراه على غزو البلاد وضمها اليه فاستولى عليها وما ان استتب اليه امر افريقية حتى عمد الى الاعراب فضرب على ايديهم ومنعهم سكنى الامصار فوجموا لذلك واستكانوا لغلبته وتربصوا به الدوائر واذا شن بعض البادية غارات على الاطراف اعتدها السلطان على كبارهم واعتقلهم حتى قطع الياس اسباب رجائهم وانطلقوا الى الاطراف يجمعون شتاتهم ويؤلبون عليه وكانت الحرب بينهما سجالا الى ان نكبوه بالقيروان وانهزم وافرجوا عنه وخاض الى تونس وتسلل ابن تافراجين منها الى الاسكندرية ثم انقضت افريقية عليه من اطرافها فركب اساطيله واستولى الفضل وقعد بمجلس الخلافة وجدد ما طمسه المريني من معالم الدولة.

وفي الحق ان ما اصاب البلاد من الفتن والحروب الاهلية كان نتيجة لاطماع الامراء وبعض رجال الدولة في الاستيلاء على الملك وقد وجدوا نصيرا لهم في الاعراب وزعمائهم رؤوس الفتنة وقد كان من اشرهم واشدهم خبثا وفسادا في الارض ثلة من اولاد سعيد وبني عامر والكعوب اذ لا عمل لهم غير الحرابة وقطع الطرق والاستجابة لكل ناعق في الفتنة فيسفكون الدماء وينتهبون الاموال ويعبثون بالاعراض وزادهم قوة في ذلك ضعف الملوك عن مقاومتهم بل الكثير منهم يداريهم بالعطايا

افريقية (3) وتحركوا في حركة غير سعيدة عليهم هي كانت قاسمة لاولهم واخرهم

ويولي منهم العمال ويقطع نظر عماله عن جبايتهم او الفصل بينهم في الاحكام وقدامر ابن عرفة بقتالهم لما جاء في المدونة من قول مالك في اعراب قطعوا الطريق جهادهم احب الي من جهاد الروم وقد امر ابن عرفة باتباعهم وقتلهم بعد الهزيمة لان شوكتهم لا تنكسر لهزيمة واحدة لقوتهم وقد قال سحنون : يقتلون مدبرين ومقبلين وليس هروبهم توبة كما افتى بالاجهاز على جريحهم اذ لا تؤمن كرتهم كما افتى باستباحة اموالهم ولا يشك في هذا الا مغرق في الجهل معاند للحق ، وكذلك افتى ابو مهدي عيسى الغبريني بما افتى به ابن عرفة اهـ

ملخصا من سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص 6 ـ تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 106 ـ وما بعدها ـ 314 ـ 325 ـ 328 ـ 359 ـ تاريخ ابن الشماع ـ 90 ـ 109 ـ 118 ـ 182 ـ 184 ـ شجرة النور الزكية ـ 147 ـ ج ـ 2 ـ المعيار للونشريسي ج 2 ـ ص ـ 339

(3) افريقيا قال في تقويم البلدان بفتح الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت وكسر القاف ومثناة بعدها في الآخر .وهذا اضبط من افريقية بتشديد الياء وهو ما يراه البحاثة فليشر وهو اسم لما اطلقه العرب على الجزء الشرقي من بلاد البربر واما الجزء الغربي فقد احتفظ باسم المغرب.

وتقول دائرة المعارف الاسلامية ان لفظها تحريف الكلمة اللاتينية AFRICA الذي يطلقه الرومان اول الامر على الاقليم الذي نظموا شؤونه بعد تخريبهم لقرطاجنة ثم شملت التسمية بعد ذلك بلاد البربر ثم اطلقت آخر الامر على جميع القارة.

ولهم في اشتقاقه طريق عجيبة فبعضهم كما يروي البكري ان معناه (ملكة السماء) وبعضهم يقول : سميت افريقية لتفريقها بين الشرق والغرب وهذا ما يراه الحسن بن محمد الوزان ويعلل بان البحر الابيض المتوسط بينها وبين اروبا ويقول ابن الشباط : كان يقال : ان اسمها ابريقية من البرق لخلو سمائها من السحب في غالب السنة.

ويرى المسعودي انها مشتقة من افريقس او من افريقيس وقال ياقوت : من افريقيس بن ابرهة بن الرائش وقيل ـ افريقيس ابن صيفي بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان.

وبعضهم يرى انها مشتقة من افريق بن ابراهيم من زوجه الثانية قطورا او قنطوراء وقيل . من فارق بن مصرائم وابن خلدون يرجعه الى افريقس بن قيس ابن صيفي احد ملوك اليمن وينقل ابن ابي دينار عن المقريزي ان افريقش ابن ابرهة ابن ذي القرنين غزا المغرب ثم ابتنى مدينة هناك باسم افريقية

وقاعدتها القديمة كانت (سبيطلة) وفي اول الاسلام جعلت القيروان ثم صارت المهدية ثم صارت تونس . قال ابن الشباط : وهي اقليم عظيم جمع المحاسن الجميلة والمدن الفخمة والمزارع الكريمة والمياه العذبة والفواكه اليابسة والرطبة والمعادن المفيدة والاثار البديعة وكل ما يحتاج اليه ويعول عليه ويقول ايضا : ولم يزل بها على مر الزمان من العلماء والكتاب وذوي البراعة في المعارف والاداب من تزدان باوصافه الاقطار وتشرق بانوار كلامه الاسطار .

واهل افريقية قسمان سودان وبرابرة فالسودان بكل القارة ولاسيما في اواسطها وفي القسم الاكبر من جنوبها وهم على مذاهب مختلفة .

واما البرابرة ففي الجهة الشمالية ويمتازون عن السودان بهيئاتهم ودينهم الاسلام ولغتهم العربية وعندهم بعض كتب في العلوم والاداب الموجودة في البلاد العربية .

ومن الحقائق التاريخية لدى الباحثين الثابتة ان بشمال افريقية جذورا عميقة ترجع الى عهد سحيق قبل الاسلام في دور العروبة غير الصريحة فقد تسرب اليها الكنعانيون المعروفون بالفنيقيين خلال الالف الثانية قبل الميلاد من الشام الوافدين اليها من جزيرة العرب عن طريق سواحل الخليج العربي وانشؤوا بافريقية مراكز للتجارة والملاحة وتعاظم نشاطهم هذا في ناحية (افريقية) : تونس في الالف الاولى قبل الميلاد في عهد الدولة القرطاجنية التي اقامها فريق منهم هنالك .

واما بعد الفتح الاسلامي فقد شمل طابع العروبة الصريحة شمال افريقية لتدفق جيوش الفتح والقبائل العربية الصريحة وقيام السلطة العربية في نواحي الشمال وفي مختلف الادوار الى الآن .

وقد اصبحت اللغة العربية لغة البربر منذ عهد مبكر وكانت هي اللغة الرسمية والاجتماعية والشعبية ويظهر ذلك واضحا في دواوين التاريخ والادب بل ان اكثر الملوك والامراء والوزراء كانوا من الشعراء والادباء والعلماء وشدة الاندماج في العروبة والرغبة في ذلك ادعتها دول وقبائل قوية وانتسبوا اليها كالصنهاجيين والزناتيين والحفصيين

ومما ينبغي ملاحظته هنا شدة اندماج العرب الصرحاء اعم من كونهم من

سكان المدن والريف او ممن يحتفظون بالحياة القبلية مع البربر في حركاتهم ودولهم واندماج البربر مع العرب ايضا فيما يقومون به من مثل ذلك فكأنهم ارومة واحدة مما يدل على ما بينهما من تمازج ووحدة وانسجام

على ان ما نجده من احتفاظ القليل من عناصر البربر بصبغتها الأصلية ولغتهم القديمة في جهات قاصية منعزلة لا يؤثر تاثيرا كبيرا في شمول الطابع العربي لبلاد الشمال الافريقي اهـ ملخصا من تقويم البلدان ، ج 1 ص 300 - السبائك دائرة المعارف الاسلامية ، قصص الانبياء للثعلبي 67 - قصص الانبياء للنجار - 87 المونس لابن ابي دينار حلية السمط لابن الشباط العرب والعربية لدروزة ج 1 ص 317 - 327 .

واعلنوا بالنفاق واظهروا الحسد (1) والشقاق وخـرج الى برازهم سلطان الاسلام وعلم الاعلام المنصور بفضل الله المؤيد ببركة اولياء الله امير المؤمنين وناصر الدين في شريعة سيد المرسلين قامع البغـاة والمفسدين الراغب من الله رضى الرحمن مولانا ابو عمرو عثمان (2) ايده الله بنصره وادام مدته بعونه وقد ظهرت عليه اثار النصرة من الله ووقفت معه رجـال الله واتى اليه العون من الله. والشيخ يدعو عليهم في تلك الايام ويذكر من الدعاء عليهم على الدوام بدعوات غير مستعملة مبتكرة تدل على اخلاصه مع الله وصدقه في ابتهاله الى الله تعالى ومازال كذلك يدعو للملك الهمام بنصره وعلو كلمته وبالبركة في عمره وببلوغه لامله فى اعدائه حتى اجاب الله دعوته ولبـى طلبته فنصـر الله تعالى ملكه واباد عدوه وشتت جمعهم ومزق رأيهم واخذوا (3) واسروا وخلت ديارهم ونهبت اموالهم ويتمت صغارهم وأورث الله ارضهم وديارهم واموالهم ونصر الله تعالى الامام المرتضى عبده واعز جنده وكانت "عاقبـة للمتقين. وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وقد ارتحل الشيخ المبارك شيخنا المـذكور الى بلاد المشرق وحـج وزار الحرمين الشريفين ولقي مشايخ جلة هنالك عام ثمانمائة واقام بمصر مدة وباحث فقهاءها في مسائل منها ما يسمى بالجامكية (4) لان ذلك مجهول وانكـر ذلك عليهم حتـى ذكـر مـا يشهـد لجـواز ذلـك . واجتمـع بالشيـخ الصـالح الـورع سيـدي ابـي عبـد الله محمـد الدكـالـي وبحـث

---

1) في نخ العبدلية الفساد

2) ابن محمد بن ابي فارس بن احمد بن محمد بن ابي بكر ولي ليلة الجمعة في 22 صفر سنة 839 بعد وفاة اخيه عرف بالشجاعة والحزم وله عطف عظيم على العلماء وامه من العلوج تسمى بماريه ولما زارها اخوتها بمناسبة ولايته اقتبلهم واسكنهم قريبا من (القصبه) بربض عرف بعد بحومة العلوج وبه يدعى الآن.

وهذا الملـك هو اخر فرسان بني حفص المغاوير وابطـالهم الانجاد وله المـآثر السامية منها الميضاة المعروفة بمضاة السلطان جوفي الجامع الاعظم وكانت غاية فى الابداع والاتقان وكان الماء بها يسخن شتاء ومن مآثره اتمام مدرسة اخيـه بسوق الفلقة واوقف عليها وبنى المدرسة العظيمة المجاورة لضريح سيدي محرز وجعـل بها مسجدا ودرسا واقام بها سماطا مستمرا للصدقة على المحتاجين وجعل بهـا سبيلا واوقف عليها اوقافا كبيرة وهي التي تعرف بالعثمانية،

ومن مآثره خزانة كتب قيمة كانت في المقصورة الشرقية بجامع الزيتونة كما بنى مكاتب لتعليم القرآن احدها قبلي الجامع واثنان بربض باب المنارة وكان له تعلق شديد بآل البيت النبوي وصلاته اليهم متواترة متوافرة وقدمت كخزانته تآليف كثيرة منها حلبة الجياد فى فضل الجهاد لابي القاسم الجدميوي توجد منه نسخة بمكتبة العبدلية نقلها الناسخ من نسخة المؤلف رحمه الله كما الف له كتاب (الحكم المفيدة والفوائد الحميدة) كتب سنة 866 فى ذي القعدة وكان تأليفه ونسخه بجبل اوراس ويوجد الكتاب ضمن مجموع رقم 1256 ومن اثار ابى عمرو بناؤه لزاوية بعين الزميت وبها جامع وجعل بها درسا للعلم ورباطا للقاطنين بها وسماطا لهم وللوافدين عليها واوقف على ذلك اوقافا.

وقد قطع دابر الاعراب المفسدين وتمكن من القاء القبض على رؤسائهم الاربع واستتب له الامر وكانت وفاته اواخر رمضان سنة 893.

3) اي عاقبهم الله بظلمهم واهلكهم.

اصله باللغة الفارسية جامكي بفتح الميم وكسر الكاف وهي مرتب خدام الدولة من العسكرية والملكية من مال وعليف وكسوة وتجمع على جامكيات وجوامك وكانت تدفع ايضا الى القضاة وكانت عادة الموحدين ان يأخذوها ثلاث مرات فى السنة كل اربعة اشهر فان كان الجند من الغز سلمت اليهم كل شهر لانهم غرباء بخلاف الاول فلهم الاقطاع والاموال المتاصلة.

معه وذاكره في مسألة اخذ الاجرة (1) وقطعه رحمه الله بالحجة حجة الفقهاء قال : لما ذكرت له ذلك قال يا فقيه ابا القاسم ما نرضى لك هذه « السخسخة » ولاشك ان طريق الشيخ الدكالي طريقة حقيقة وورع شديد وعمل فيه قبول وتسديد وما وقع بينه وبين شيخ الاسلام وعلم الاعلام الله يغفر لهم ويسامحهم والظن بهم انهم على هدى متنكبين (2) عن طريق الردى الا ان الشيخ ابن عرفة ناظر لظاهر الطريقة والشيخ الاخر ناظر لطريق الحقيقة وكل على الصراط المستقيم والدين القويم.

وهذا الشيخ رضى الله عنه يحفظ الموطا موطا مالك وقد ذكر لى الشيخ الصالح الورع القائم في ذات الله المحب في سنة رسول الله سيدى ابو الحسن الحياتى وهو احد من اخذت عنه واذن في النقل عنه قال: دخلت مصر فوجدت الشيخ سيدى ابا عبد الله محمد الدكالي مريضا فوقفت على موضعه فاستأذنت فخرجت زوجته ودخلت عليه فسالته عن حاله فقال لى : يا فقيه حالي حال من اشتاق الى لقاء الله في هذه الحالة قال : ثم خرجت فانا بالباب واذا بالزوجة ادركتني وقالت : يا سيدى الشيخ رحمه الله قضى نحبه.

وقد لقى الشيخ سيدي ابو القاسم رحمه الله عام حجته الشيخ الامام المحدث (3) برهان الدين بن احمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن الشامي الشافعى الضرير واستدعاه في الاجازة واجازه وكذلك اجاز الشيخ العالم القاضى قاضى الجماعة سيدى «4» عيسى رحمه الله كتب بواسطة اخيه الشيخ المذكور رحم الله الجميع قال:وكان مولد الشيخ المجيز عام 10 او ما قاربها وهذا

---

1) التحقيق ان التعليم بأجر جائز فقد قال ابن مسعود . ثلاث لابد للناس منهم فلابد للناس من امير يحكم بينهم ولولا ذلك لاكل بعضهم بعضا ، ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لقل كتاب الله . ولابد للناس من معلم يعلم اولادهم وياخذ على ذلك اجرا ولولا ذلك لكان الناس اميين. وقال مالك لاباس بما ياخذ المعلم على تعليم القرآن وان اشترط شيئا كان له حلالا ولا باس بالاشتراط في ذلك وحق الختمة له واجب اشترطها او لم يشترطها . وذكر المقري ان اهل العلم يقرؤن جميع العلوم في المساجد بلا اجرة لعلمهم الا الان ياخذوا مبلغا جاريا قال : فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم.

ويستنكر ابن الحاج في المدخل اخذ الاجرة لان ذلك يؤدي حسب رايه الى التنافس بين النظراء على مناصب التدريس والسعي فيه الى ابواب ارباب الجاه قال : والتدريس بالمعلوم في الغالب لا يحصل إلّا بالوقوف على ابواب الولاة ومباشرتهم فكيف يكون معه طرف من النور وذلك بعيد جدا • ثم اذا قطع المعلوم تسخط اذذاك ويقول : اي فائدة لقعودي ويبطلون المواضع من الدرس حتى ياتي المعلوم فاذا اتى المعلوم وجدتنا نتسابق الى تلك المواضع ونهرع اليها ـ اداب المعلمين لابن سحنون 19 ـ 20 ـ 41 ـ المدخل لابن الحاج . ج 1 ص 18 ـ نفح الطيب .

2) من نكب بمعنى مال وعدل عن الشيء

3) ابو مهدي عيسى بن احمد بن محمد بن محمد عـالم تونس وحـافظ المذهب المالكي بها عرف بصحة النقل وجودة الذهن ذا انصاف مع كمال رياسة بالغ في الثناء عليه كثير من تلامذته كالثعالبي وابن القاسم القسنطيني وابن عصفور واحمد القلشاني والبسيلي وعمر القلشاني والامير ابي عبد الله الحسين واثنى عليه ابن ناجي في غير ما موضع ونقل عنه عصريه البرزلي واعتمده في كثير من المواضع قرأ على ابن عرفة وقد انابه ابن عرفة عند ما حـج وهو قاضي الجماعة ثم استقـل بالامامة بالزيتونة بعد وفاته توفي الغبريني في يوم السبت 27 ربيع الثاني سنة 815 وقال السخاوي سنة 816

الشيخ المجيز من أشياخه الشيخ ابو حيان «1» قرأ عليه التسهيل فاجازه واذن له في التدريس قال الفقير الى عفو ربه فبيني وبين الشيخ ابي حيان شيخان في السند في التسهيل وكذلك مثل السند المذكور للشيخ الفقيه العالم العلم القاضي الاكمل شيخنا ابي محمد عبد الله البحيري «2» على ماانذكره بعد. والشيخ المذكور برهان الدين كبير المشيخة قوي السند وقد نقل عن الشيخ سيدي ابي القاسم انه قال: اخرج لي بعض تلامذة الشيخ المذكور جزءا عظيما اشتمل على نيف «3» وخمسمائة شيخ له مابين سماع وقراءة وكتابة واجازة وذكر له مائة حديث عشارية. وقال: ومن مسموعاته الشاطبية وموطا مالك وصحيح البخاري والترمذي والنسائي والشفاء والدارقطني وقد كتب له بالاجازة من مكة شرفها الله تعالى في البخاري الشيخ المحدث ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن صديق ابن ابراهيم الرشام.

ومن اشياخه بالحضرة العلية والبلاد الافريقية الشيخ العالم العلم الصالح ابو عبد الله محمد الشبيبي البلوي «4» رحمه الله وهو اول شيخ فتح الكتاب عليه وافتى بين يديه قرأ عليه القرآن بالقراءات السبعية افرادا وجمعا وعرض عليه الشاطبية الكبرى غير مرة وأجازه عام ستة وستين وتسعمائة وقرأ عليه كتاب التهذيب «5» قراءة تفقه واتقان «6» واكثر الرسالة وسمع بعض الموطا ومسلم واكثر التفسير وقرأ عليه في العربية الجمل وغيره وقرأ عليه الفرائض واجازه في ذلك كله ولازم مجلسه من عام ستين الى ان ارتحل الى الحضرة العلية ثم اخذ عن الشيخ الامام علم الاعلام اكبر المتبحرين وافضل المتأخرين بركة وقته وفريد عصره سيدي الفقيه ابي عبد الله محمد بن عرفة «7» رحمه الله ورحم سلفه.

---

1) اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي النفزي. نسبة الى نفزة احدى قبائل البربر. امام عصره في اللغة والنحو والتفسير والحديث والقراءات والتراجم والتاريخ والادب ولد بمدينة (مطحشارش) من حضرة غرناطة آخر شوال سنة 654 هـ 1256 م واخذ القراءات عن ابن الطباع والعربية عن الابذي وابن الزبير وابن ابي الاحوص وابن الصايع وابي جعفر اللبلي وابن النحاس وقد اربى شيوخه على اربعمائة وخمسين شيخا وتخرج عليه الكثير والحق الصغار بالكبار حتى صار تلامذته ايمة في حياته وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم فيها ومع فصاحته في التعبير كان يعقد

القاف قريبا من الكاف في غير القرآن وقد ذاع صيته واخذ عنه اكابر عصره كالتقي السبكي وولديه والجمال الاسنوي والسمين والصفاقسي وابن مكتوم وكان دأبه ان يسمع او يشتغل او يكتب او ينظر في كتاب وهو الى ذلك الثبت القيم وقد صار في العربية الامام المطلق الذي لا يدركه أحد في أقطار الارض مع تميزه في التفسير والحديث والتراجم ومعرفة الطبقات خصوصا الافريقيين وكان سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال وله ميل شديد الى محبة علي كرم الله وجهه كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرءان.

وقد ارتحل الى المشرق بعد ان تنكر له استاذه ابن الطباع وتغير عليه وكتب ابو حيان تأليفا في الرد عليه وتكذيب روايته وبعد رحلته تمذهب للشافعي ونقل ابن حجر انه كان يقول : محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه وكان يفخر بالبخل كفخر غيره بالكرم اما صفته وهيئته فقد كان شيخا طوالا حسن النغمة مليح الوجه ظاهر اللون مشربا بحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر وقد كانت وفاته بمصر سنة 745 هـ - 1344 م.

وترك تأليف قيمة تدل على مشاركته الواسعة حتى في غير اللغة العربية وهي البحر المحيط في التفسير واختصره في كتاب سماه النهر وله اتحاف الاريب بما في القرآن من الغريب والتذييل والتكميل في شرح التسهيل واختصره في مجلدين وسماه الارتشاف ولم يؤلف في العربية اعظم من هذين الكتابين ولا اجمع ولا احصى للخلاف والاحوال وقد اعتمد عليهما السيوطي في كتابه جمع الجوامع وله التخييل الملخص من شرح التسهيل للمصنف وابنه بدر الدين وله الاسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار، والتجريد لاحكام كتاب سيبويه والتذكرة في العربية اربع مجلدات كبار والتقريب مختصر المغرب والتدريب شرحه والمبدع في التصريف وغاية الاحسان في النحو وشرح الشذا في مسألة كذا واللمحة الشذرة كلاهما في النحو والارتضاء في الضاد والظاء وعقد اللآلي في القراءات على وزن الشاطبية وقافيتها والحلل الحالية في اسانيد القرآن العالية. نحاة الاندلس والابيات الوافية في علم القافية ومنطق الخرس في لسان الفرس والادراك للسان الاتراك وزهو الملك في نحو الترك والوهاج في اختصار المنهاج للنووي ومجاني الهصر في تواريخ اهل العصر ونور الغبش في لسان الحبش ومنهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك وله النظار مجلد ضخم ضمنه ترجمته واشتغاله وشيوخه ورحلته وقيل انه الف كتابا في تاريخ الاندلس في ستين مجلدا لم يصل الينا -

شجرة النور الزكية ج 1 ص 312 - الدرر الكامنة ج 4 ص 302 - بغية الوعاة 121 - فوات الوفيات ج 2 ص 382 شذرات الذهب ج 6 ص 145 - النجوم الزاهرة ج 10 ص 111 - نفح الطيب ج 1 ص 598 دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 382 بروكلمان ملحق 2 ص 135 والجزء الثاني ص 133 (109)

2) ابو محمد عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري التونسي امام رحلة ولي قضاء الانكحة لابي عمرو الحفصي ثم نقل للفتوى بجامع الزيتونة في 8 المحرم 852 وهو مباشر للخطابة بجامع ابي محمد ثم سمي خطيبا بالزيتونة بعد وفاة محمد الونشريسي في 7 ربيع الثاني 853 اخذ عنه ابن مرزوق الكفيف وتوفي عشية الاثنين في ذي القعدة 858 بتونس ودفن من الغد بمقبرة الزلاج (3) النيف بالتضعيف والتخفيف الزيادة عن العقد يقال عشرة ونيف ولا تستعمل الا بعد عقد فلا يقال عشرة ونيف .

4) بل اسمه عبد الله بن محمد بن يوسف البلوي القيرواني فقيه صالح فاضل قدوة عامل قرأ على ابي الحسن العواني وعليه كان اعتماده وعلى ابي عمران المناوي والقلال وقرأ بتونس على الهسكوري وتخرج عليه البرزلي وابن ناجي والزعبي وعبد الله العواني والمسراتي عكف على التدريس نحوا من خمسة وثلاثين سنة توفي في صفر 782 ودفن ازاء ابن ابي زيد

5) اختصار للمدونة لحافظ المذهب ابي سعيد خلف بن ابي القاسم البراذعي من اصحاب ابن ابي زيد والقابسي وعلى كتابه المعول في المغرب والاندلس وله كتاب التمهيد لمسائل المدونة وله الشرح والتمامات لمسائل المدونة واختصار الواضحة ولم تحصل له رئاسة بالقيروان وكان مبغضا عند اصحابه لصحبته ملوك القيروان الذين كانوا يتبرؤون منهم حتى ان فقهاءها أفتوا بطرح كتبه وعدم قراءتها عدى التهذيب لاشتهار مسائله وقيل ان سبب بغضهم له انه وجد بخطه في ذكر بني عبيد متمثلا بقول الشاعر :

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البناء   وان وعدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

وقيل ان دعاء ابي محمد ابن ابي زيد كتبه لانه كان ينتقصه ويطالب مثالبه فلفظته القيروان وخرج الى صقلية فحصلت له لدى صاحبها مكانة والف عنده كتبه وكانت له دنيا وانتشرت كتبه وكانت المناظرة في بلدانها انما تكون بكتابه التهذيب ـ ملخصا من الديباج المذهب 113 ـ الشجرة لمخلوف 105

6) كذا في الاصل ولعله واتقان

7) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي ولد بتونس ليلة السابع والعشرين من رجب سنة 716 لا سنة 710 كما يقوله ابن الجزري في طبقات القراء كان في صغره من حسن الصورة والكمال على ما هو عليه معروف مشهورا بالجد والاجتهاد والمطالعة وملازمة الشيوخ الاجلة قرأ على ابن عبد السلام القراءات العشر والحديث والفقه ولازمه كثيرا واخذ عنه علما غزيرا واخذ عن السطي الفرائض والفقه واخذ عن ابن اندراس والابلي وابن الحباب العلوم العقلية وزاد على ابن الحباب النحو والمنطق والجدل والحساب وسائر المعقول وكان الابلي يثني عليه ويقول : لم يقرأ علي مثله وقرأ على ابن سلامة بالسبع وقرأ على ابن قداح وابن هارون الفقه ومما قرأه على ابن الحباب قراءة بحث وتحقيق جملة من كتاب سيبويه وقرأ على ابن

عبد السلام تفسير القرآن العظيم من اوله الى آخره بما يجب لذلك من تحقيق احكام الاعتقاد والفقه وقواعد العربية والبيان واصول الفقه وغيرها مما يتوقف هذه المذكورات عليه مع مراجعة وبحث واسئلة واجوبة كما قرأ عليه جميع صحيح مسلم بروايته هو الا يسيرا سمعه بقراءة غيره وسمع عليه بعض البخاري والموطا كذلك اقرأ عليه جملة من التهذيب وسائره ازيد من ختمة قراءة بحث وفقه ونقل فروع الامهات واحاديث الاحكام مع التنبيه عليها تصحيحا وتحسينا وتعقب ما تعقبه الايمة وغير هذا مما قرأه عليه في جملة ما قرأه على شيوخه مع ما افاد من ذكر الادب في الاشتغال بالتعلم خصوصا حكم البحث والمراجعة وتوجيه الاسئلة. وللتدليل على مكانة ابن عرفة وجلالته نذكر ما قاله عنه افراد عرفوا بالامانة وحصافة الراي منهم القاضي ابن الازرق قال : حال الشيخ ابن عرفة في بلوغه اقصى مراتب الغاية العلمية لا ينكر ومقامه في المجاهدة العلمية من اشهر ما عرف به ويذكر فقد اخبرني الشيخ الفقيه القاضي الاجل خاتمة السلف ابو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى الزنديوي القسنطيني نزيل تونس فيما كتب الي من تونس وقد وصف الشيخ بقوله : (كان في العلوم كما دلت عليه تآليفه فيها وكان في العبادة بالمرتبة الاعلى قال : سمعت شيخنا الامام المعظم قاضي الجماعة أبا مهدي الغبريني انه قال : لا يرى ولا يسمع مثل سيدي الفقيه في ثلاثة اشياء : الصيام ، والقيام ، وتلاوة القرآن إلّا ما يذكر عن رجال رسالة القشيري فلا تراه ابدا إلّا صائما ويقرأ عشرين حزبا في ساعة معتدلة وقيامه معلوم يقوم في جامع الزيتونة العشر الاواخر من رمضان في كل عام الى ان عجز عن ذلك قرب وفاته رحمه الله تعالى) قال الزنديوي : اول ما الفيناه عام 793 وسنه اذ ذاك 77 سنة لان مولده سنة 716 وتوفي سنة 803 وقرأنا عليه جميع صحيح البخاري من اوله الى آخره بقراءة شيخنا الغبريني وحضر هذه الختمة جميع اعلام تونس وعلمائها وطلبتها صغارهم وكبارهم وكانت من الغرائب قراءة عالم على عالم وهما عالما وقتهما وذلك في رمضان اول هذا العام وسبب القراءة ما اصاب امير المؤمنين ابا فارس بجبل اوراس فأمر بقراءته فانه ترياق الشدائد فقرأ كذلك ثم انهما رضي الله عنهما اجازا كل من حضر السيد ابو مهدي بقراءته والامام بالقراءة عليه)

وقال ابن حجر في انباء الغمر : (هو شيخ الاسلام بالمغرب سمع من ابن عبد السلام وابن سلامة وابن بلال واشتغل وتمهر في العلوم واتقن المعقول الى ان صار اليه المرجع في الفنون في بلاد المغرب معظما عند السلطان فمن دونه مع الدين المتين والصلاح الكبير له تصانيف منها « المبسوط » في المذهب في سبعة اسفار الا انه شديد الغموض (نظم قراءة يعقوب) اجازني فيها وكتب لي بخطه لما حج بعد التسعين وعلق عنه بعض اصحابنا كلاما في التفسير كثير الفوائد في مجلدين كان يلتقط حال قراءته عليه ويدونه اولا فاولا وكلامه دال على توسع في الفنون واتقان وتحقيق)

وقال تلميذه الشمس ابن عمار المصري : (اجتمعت به سنة 93 واخذ عنه المصريون وهو امام حافظ وقته بفقد مذهبه شرقا وغــربا انتهت اليه الرئاسة في قطر المغرب اجمع في التحقيق والفنــون والمشاورة مع خشونة جانبه وشــدة عارضته وبراءته من المداهنة وحــرز من المخاشنة وقال ابو حامد بن ظهيــرة المكي في معجمه وهو من تلامذته : (هو امام علامة برع في الاصول والفروع والعربية والمعاني والبيان والقراءة والفرائض والحساب وسمع الموطـا على ابن عبد السلام واخذ الفقه عنه وكان رأسا في العبادة والزهد والورع ملازما للشغـل بالعلم رحل الناس اليه وانتفعوا به ولم يكن بالمغرب من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له وكانت الفتوى تاتي اليه من مسيرة شهر ..... ومات ولم يخلف بعده مثله)

وقال تلميذه ابن الخطيب القسنطيني : (شيخنا الامام ابن عرفــة هو الامام الحجة ابو عبد الله له مصنفات ارفعها المختصر الكبير في المـذهب قـرأت عليه بعضه وأنعم بمناولته في سنة سبع وسبعين وجـدته على حـال اجتهاد في العلم ثم لقيته قبل وفاته وبه ضعف وبعض نسيان)

وقال ابو الطيب ابن علوان : (كان شيخنا الامام العلامة الصالح المـدرس الخطيب المفتي المحقق الحاج ابو عبد الله ابن عرفة فاز من كل علم باوفر نصيب وحاز في الاصول والفروع السهم والتعصيب ورمى الى هـدف كل مكرمـة بسهم مصيب وطلعت سماء افاداته دراري عــلم غيثه وابل ومرعاه خصيب فمنفعته بعد موته دائمة وبركاته لرفقائه وتلامذته واقاربه قائمة لانه اذا مات الانسان انقطع عمله إلّا من ثلاث جمع بين طرفي العلم والعمل وشغل اوقاته بالخير فلـيس وقت منها يهزل، عمر ايامه بالصيام ولياليه بالقيام والركوع والسجود وجاهد بنجوم الليـل وآثر السجود على النوم والهجود).

حالته في معاشه ومكــــانته في مجتمعه :

كان رحمه الله مسعودا في دنيـاه مرضيا عنه في اخراه مع طول عمـــره . لقد هابته الملوك وقامت بحقه ومن سعادته ان الله تعـالى لم يبتله بتــولي القضاء مع قدرته عليه وعلي تحصيلـــه وذلـك حفظ من الله له ورعاية . ولي امامة الجـــامع الاعظم جامع الزيتونة سنة 750 وقدم لخطابته سنة 772 وقد اباه اهــل تونس لانه ليس منها واشترطوا عليه شروطا فقبلها منهـا ان لا ياكل التين لعسر الانقـاء منه فقال من فضل الله ما اكلته قط ومنها ان لا يمشي في الارض حافيا فقال لا اتركها ولا في المسجد ويقال انه هو المبتكر لمداس الخلفة يمشي به في المسجد للخــروج الى الصلاة على الجنائز واول مرة رقى المنبر قال : ايها الناس

يرفـع الدهــر اناســا	بعد ان كانوا سفالا
من له في الغيب شيء	لم يمت حتى ينـاله

وولي الافتاء سنة 793 ولم يقع له عذر يمنعه في صلاة من الصلوات إلاّ في زمن امراضه سنة 766 او سنة 770 او 775 او مرض موتد وإلاّ في وقت حجه وخروجه في مصلحة المسلمين لما بعثه السلطان ابو العباس وقد جمع الله له بين خيري الدنيا والاخرة فقد كان وليا صالحا ذكيا قدوة سنيا عارفا على التحقيق وصاحب سعود وكان الشيوخ يقولون عنه : لا نهاية له في المنقول والمعقول وبقية الراسخين اخر المتعبدين تواتر هديه وغزر علمه وقوي فهمه والقى الله محبته في القلوب قال ابن مريم : وكان شيوخنا الآخذون عنه يقفون عند حده معظمين لقدره مسامين لفهمه وتلقينا عنهم كراماته ومحاسنه وحسن طريقته وديانته وكتبه جامعة مانعة شافية الرموز - وفي نسخة سائبة الرسوز - وقليل من الفقهاء من يفك رمزه ويفهمه يتفاخرون بذلك خلفا عن سلف.

تلامذتـه

سبق ذكر الكثير منهم بافريقية والمشرق وممن بقي السيد الشريف ابو الفضل السلاوي والامام ابن مرزوق الحفيد وابو عبد الله القلشاني واخوه ابو العباس ووالده القاضي ابو العباس شارح الرسالة وعيسى الوانوغي ومحمد بن عمر الوانوغي نزيل الحرمين وابو العباس المريض وابو عبد الله بن قليل الهم وابو القاسم العبدوسي وابن عقاب قاضي الجماعة ويعقوب الزغبي وابو عبد الله محمد عرف بالحسن الحفصي ابن السلطان ابي العباس العلامة وابو القاسم ابن ناجي وابو يحي ابن عقيبة وابو عبد الله ابن حفل والشريف الصقلي الطبيب والشريف العجيسي وابو عبد الله الزنديوي والبدر الدماميني.

تآليفـه :

يقول ابن عقاب كما نقله عنه القلصادي : (ان ابن عرفة كان اماما في العلوم صنف فيها كثيرا والغالب على كتبه الاختصار واشتغل آخر عمره بالفقه خصوصا من حين ولايته الافتاء كان معتنيا بالمدونة غاية ملازما لنظرها.

ولئن كانت مختصرة فهي عجيبة مفيدة فمختصره الفقهي لم يسبق به في تهذيبه وجمعه وابحاثه الرشيقة وحدوده الانيقة بدأ تاليفه سنة 772 واكمله سنة 786 وتآليفه المنطقي جمع فيه من القواعد والفوائد على صغر جرمه ما يعجز عنه الفحول وتاليفه في الاصلين الديني والفقهي وغيرهما من الاملاءات الحديثية والقرآنية (والحكم الشرعية) ومن دروسه في التفسير جمع البسيلي تفسيره الفريد في التحرير والبديع في التقرير وله مختصر في الفرائض وآخر في النحو والطرق الواضحة في عمل المناصحة والمبسوط في الفقه في سبع مجلدات والتسعيات في الحديث والعشريات ومنظومة في قراءة يعقوب بروايتي الداني وابن شريح ونظم تكملة القصد لابن شريح وله نظم في اصول الفقه وحكى الابي عن شيخه ابن

عرفة انه كان يقول في حديث (او علم ينتفع به بعده) انما تدخل التـآليف في ذلك اذا اشتملت على فوائد زائدة وإلّا فذاك تحسين للكاغد ويعني بالفائدة الزيادة على ما في الكتب السابقة عليه واما ان لم يشتمل التأليف إلّا على نقل ما في الكتب القديمة فهو الذي قال فيه تحسين الكاغد وهكذا كان يقول في حضور مجالس التدريس وانه اذا لم يكن في مجلس الدرس التقاط زيادة من شيخ فلا فائدة في حضور مجالسه بل الاولى لمن حصلت له معرفة الاصطلاح والقدرة على فهم ما في الكتب ان ينقطع بنفسه ويلازم النظر وهذا المعنى هو الذي يشير اليه ابن عرفة بقوله :

اذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة ... وتقرير ايضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل او فتح مقفل ... او اشكال ابدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد ... واياك تركا فهو اقبح خلة

وقد اجابه الابي عن ابياته بقوله :

يمينا بمن ولاك ارفع رتبة ... وزان بك الدنيا باكمل زينة
لمجلسك الاعلى كفيل بكلها ... على حين ما عنها المجالس ولت
فابقاك من ارقاك للخلق رحمة ... وللدين سيفا قاطعا كل فتنة

قال الابي : واني لبار في قسمي هذا فلقد كتبت من زوائد القائه وفوائد ابدائه على الدول الخمس التي تقرأ بمجلسه من التفسير والحديث والثلاث في التهذيب نحو الورقتين كل يوم مما ليس في الكتب فالله المسؤول ان يقدس روحه فلقد كان الغاية وشاهد ذلك ما اشتملت عليه تآليفه وناهيك بمختصره في الفقه الذي ما وضع في الاسلام مثله لضبطه فيه المذاهب مسائل واقوالا مع الزيادة المكملة والتنبيه على المواضع المشكلة وتعريف الحقائق الشرعية . قال البرزلي : ادركناه يقري في الصيف الاصلين والمنطق والفرائض والحساب والقراءات في آخر عمره وجالسناه زمانا طويلا نحو اربعين عاما واخذنا عنه علومه وهديه وقال البسيلي ان ما اورد في تقييده اسئلة واجوبة في بعض الايات : وهذه الاسئلة واجوبتها وامثالها وكل ما ذكرناه في كتابنا هذا مما يقع بين الطلبة في مجالس شيخنا ابن عرفة او بينه وبينهم مما يدل على علو مرتبته وعظم منفعته ولذلك كان الحذاق يفضلونه على غيره من مجالس التدريس .

خشيته وخوفه :

قال الابي كان رحمه الله شديد الخوف من امر الخاتمة كثيرا ما يطلب له الدعاء بالموت على الاسلام ممن يعتقد فيه خيرا اعطاني يوما شيئا مما يتصرف به الاولاد وقال : اعطه للولد الذي عندك وكان ولدا سباعيا – وقل له يدعو لي بالموت

على الاسلام رجاء قبول دعاء الصغير فلحقتني عبرة وشفقة وفهمت عنه رجـاء كون دعاء الصغير مقبولا.

وقال له يوما : لولا خوف الحاجة في الكبر ما بت وعندي عشرة دنانير وقد حبس في آخر عمره من الرباع ما يفرق من اكريته آخر كل شهر نحو اثنين وعشرين دينارا وكان يطيل الصيام ولا يفتر عن ذكر الله وقراءة القرآن في غير اوقات التدريس والتآليف ينقبض عن مداخلة الملوك والوزراء لا يغشى سوقا ولا مجتمعا ولا مجلس حاكم إلّا ان يستدعيه السلطان في الامور الدينية فقد كانت الولايات لا تصدر إلّا عن رأيه ولا يعين الشهود بالشهادات إلّا باشارته وله مبالغة تامة في بـر الوالدين من الخارج والاحسان اليهم وقضاء حوائجهم ومن شعره قوله

بلغت الثمانين بل جزتهـا فهان على النفس صعب الحمام
واحاد عصري مضوا جملـة وعـادوا خيالا كطيف المنـام
وارجو به نيل صدر الحديث بحب اللقـاء وكره المقـام
وكانت حياتي بلطف جميل لسبق دعـاء ابي في المقـام

وفـاته :

يذكر صاحب عنوان الاريب انها كانت يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الاولى سنة 803 وهو ما ذكره احمد بابا في تطريز الديبـاج وفي فهرست المكتبة الصادقية قال صاحب عنوان الاريب معلقا اسفل الصحيفة : اعتمـدت في هذا التاريخ صاحب كفاية المحتاج وان اخبرني الثقة ان الموجود في كتابة صريحـه انه توفي في 20 جمادى الاخيرة سنة 800 ولعله الاصـح فليعتمد اهـ ويذكر صاحب مسامرات الظريف انها كانت في 24 من جمادى الثانية سنة 803 قال: وقد جمع الشاعر محمد الورغي تواريخ ولادته وامامته وابتداء تأليفه المختصر الفقهي وانتهائه وحجته ووفاته في بيتين وهما قوله :

ولادته سـروري وامـه نثور وبدء الكتب فتحكم يدري
716 756 772
واكماله درع التمام وموته خراب وكان الحج فاض من السر
786 803 792

وهذا ما نقله صاحب الحلل السندسية (في الاخبـار التونسية) عن ابن غازي - تلخيصا من ابن ابي الضياف والمؤنس وشجرة النور الزكيـة (والديباج وفهرسة لصادقية) وكشف الظنون وهدية العارفين وبروكلمان ومسامرات الظـريف والحلل السندسية ودرة الحجال وشذرات الذهب وتاريخ الـدولتين للزركشـي وسلوة الانفاس ونيل الابتهاج وفهرس المكتبة الازهرية والضوء اللامع والبستان وعنوان الاريب وطبقات القراء .

قرأ عليه رحمه الله القرآن العظيم بالسبع ختمة واحدة وعرض عليه حرز الاماني وسمع كتاب التيسير (1) وغير ذلك في علم القراءة وسمع عليه اكثر التفسير واكثر مسلم قراءة تفقه وسمع عليه الجامع للبخاري اكثر من مرة وسمع عليه الموطا رواية وسمع عليه كتاب الشفاء وسمع عليه كتاب التهذيب غير ما مرة وقرأ عليه بلفظه كثيرا منه وسمع اكثر الرسالة والتفريع للجلاب (2) واكثر الارشاد (3) وسمع عليه كثيرا من المحصل (4) وجملة من ابن الحاجب (5) في الاصول وسمع عليه جميع مختصر الشيخ الفقهي والمختصر المنطقي ومختصريه في الاصلين وكتب له ذلك بخطه وحدثه عن اشياخه كالشيخ ابن عبد السلام (6) والشيخ ابن هارون (7) والشيخ ابن سلامة (8) والشيخ ابن بلال والشيخ المحدث ابي عبد الله محمد بن جابر (9) والشيخ ابي عبد الله محمد بن سليمان السطي الفاسي (10) والشيخ ابي عبد الله محمد الابلي (11) والشيخ ابي العباس احمد الرصافي (12)

ومن اشياخ شيخنا البركة شيخ الشيوخ رحمه الله الراوية الرحال المحدث

---

1) في القراءات السبع لابي عمرو عثمان بن سعيد الاموي الشهير بابي عمرو الداني المقري ابتدأ في طلب العلم وله من العمر اربعة عشر سنة ببلد دانية بالاندلس وانتقل الى قردان ثم الى القاهرة وحج واقام بمكة اشهرا ثم توجه الى المغرب ثم الى بلاده ، تآليفه تربو على المائة منها مخطوطات بمكتبات برلين وفيانا وباريس والجزائر ودار الكتب المصرية وخزانة جامع الزيتونة لم يطبع من كتبه إلّا التيسير - معجم المطبوعات 861 -

2) كتاب فى الفروع لابي القاسم عبيد الله بن الحسن الشهير بابن الجلاب من اهل العراق احد ايمة الفقه والاصول الحفاظ اخذ الفقه عن الابهري وكان انبل اصحابه وأحفظهم وعليه تخرج القاضي عبد الوهاب له تآليف قيمة معتمدة فى المذهب مثل كتابه في مسائل الخلاف وكتاب التفريع مات في منصرفه من الحج سنة 378 هجرية والجلاب بفتح الجيم وتشديد اللام وفي اخرها الباء الموحدة اسم لمن يجلب الرقيق والدواب واشتهر به جماعة

3) الارشاد الى قواطع الادلة فى اصول الاعتقاد في اصول الدين لابي المعالي عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي الاشعري المشهور بامام الحرمين اليه انتهت رياسة العلماء وقد بنى له نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور وحضرت دروسه اكابر العلماء والايمة وفوض اليه امر الاوقاف ودام على ذلك ثلاثين سنة كما انتهت اليه خطة المحراب والخطابة والتدريس

والتذكير يوم الجمعة واذا تكلم في علوم الصوفية وشرح اقوالهم ابكي الحاضرين ورزق من التوسع في العبارة بما لم يعهد لغيره وكان يذكر دروسا يحتوي الواحد منها اوراقا كثيرة ولا يتلعثم فيها ولم يزل على طريقته من اول عهده الى اخره وله من التآليف الشامل في اصول الدين والبرهان في اصول الفقه ونهاية المطلب في دراسة المذهب وتفسير القرآن وتلخيص التقريب ومدارك العقول لم يتمه وغياث الامم في الامامة وغيث الخلق وغنية المسترشدين في الخلاف . ولد ابو المعالي في 18 من شهر المحرم سنة 419 ومات قريبا من نيسابور ليلة الاربعاء وقت العشاء الاخرة 25 من ربيع الثاني سنة 478 ودفن من الغد بداره بنيسابور ثم نقل بعد سنين الى مقبرة الحسين ودفن بجنب ابيه واغلقت الاسواق يوم موته وكسر منبره بالجامع وقعد الناس لعزائه وكثرت فيه المراثي من ذلك قول بعضهم :

قلوب العالمين على المقالي　　وايام الورى شبه الليالي
ايثمر غصن اهل العلم يوما　　وقد مات الامام ابو المعالي

وتلامذته كانوا قريبا من اربعمائة تلميذ كسروا محابرهم واقلامهم واقاموا على ذلك عاما كاملا - راجع مصادره في معجم المؤلفين ج 6 ص 184

4) محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين لابي الفضل ويلقب بابي المعالي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري الطبرستاني الرازي المعروف بابن خطيب الري ولد سنة 543 وقيل 544 وتوفي يوم العيد سنة 606 قرأ على والده ثم على المجد الجيلي وجال بين خوارزم وما وراء النهر وبخارا وخراسان واستقر بهراة ولقب فيها بشيخ الاسلام ونال حظوة عظمى لدى خوارزم شاه وبذ علماء وقته في الفقه والاصول والكلام والحكمة ورد على الرئيس ابن سينا واستدرك عليه وانتشرت تآليفه في الافاق وانتصب لمقاومة الكرامية فكان عليهم نارا موقدة وقيل انهم سموه فمات • وكان ذا ثراء ونعمة وكان يركب وحوله السيوف المجذبة والمماليك الكثيرة واشتغل بعمل الكيمياء وصرف في ذلك اموالا وفيرة وقد الف كتبا كثيرة مفيدة منها تفسير كبير سماه مفاتيح الغيب وتفسير صغير سماه اسرار التنزيل وانوار التاويل ونهاية العقول والمحصول والملخص في الحكمة وكتاب شرح عيون الحكمة وكتاب المباحث الشرقية ولباب الاشارات والاربعين في اصول الدين وتنبيه الاشارة في الاصول والمعالم في الاصلين ومناقب الشافعي ومباحث الوجود والعدم ، والسر المكتوم ، وسراج القلوب • وزبدة الافكار وعمدة النظار ، والجامع الكبير الملكي في الطب - وشرح اسماء الله الحسنى - وتأسيس التقديس - كتاب الطريقة في الجدل والرسالة الكمالية بالفارسية - شرح سقط الزند - رسالة في السؤال - جواب الغيلاني منتخب تنكلوسا - مباحث الجدل - كتاب النبض تفسير الفاتحة - تفسير سورة البقرة في مجلد على الوجه العقلي لا النقلي - شرح كليات القانون لم يتممه في مجلد - شرح الوجيز للغزالي بلغ فيه الى النكاح بعدان اتم العبادات في ثلاثة اجزاء - الطريقة العلائية في الخلاف في اربع

مجلدات . لوامع البينات في شرح اسماء الله والصفات . كتابه في ابطال القياس لم يتم . رسالة الحدوث . شرح نهج البلاغة لم يتمه . فضائل الصحابة الراشدين شفاء العيي في الخلافة . رسالة نفثة المصدور . عصمة الانبياء . الاخلاق . البراهين النهائية بالفارسية . الخلق والبعث . اللطائف الغياثية . كتاب في الرمل . المحصل في شرح المفصل . رسالة في ذم الدنيا . كتاب في الهندسة . الاختبارات العلائية في التاثيرات السماوية . شرح مصادرات اقليدس . كتاب الخمسين في اصول الدين بالفارسية . الرسالة المجدية . احكام الاحكام . رسالة في النفس . الرياض المونقة في الملل والنحل . رسالة في القضاء والقدر . اهـ 190 من اخبار الحكماء للقفطي .

5) هو ابو عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس جمال الدين الامام النحوي الفقيه الاصولي الملقب بابن الحاجب لان اباه كان حاجبا لعز الدين موسك الصلاحي ولد آخر سنة 570 باسنا اشتغل في صغره بالقرآن بالقاهرة ثم بالفقه ثم بالعربية والقراءات وبرع في جميع ذلك واتقنه ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها وتوافد عليه الطلاب وكان الاغلب عليه العربية وله فيها الكافية في النحو والشافية في الصرف وشرحهما وخالف النحاة في مواضع واورد عليهم اشكالات والزامات بعد الاجابة عنها وصنف في اصول الفقه وتآليفه كلها في نهاية الاجادة والافادة وكان من احسن خلق الله ذهنا ثم رجع للقاهرة ولازمه الناس للاخذ عنه ثم انتقل الى الاسكندرية ولم تطل اقامته بها فمات ضحى يوم الخميس 26 شوال سنة 646 الموافقة لسنة 1248 م وله امالي في تفسير بعض ايات وفوائد شتى في النحو على مواضع من المفصل والكافية غاية في التحقيق في مجلد وله شرح مختصر الايضاح في النحو سماه المكتفي للمبتدي وله الايضاح في شرح المفصل في النحو للزمخشري وله جمال العرب في علم الادب . اما الشافية والكافية فشهرتهما تغني عن التعريف . ونظم الكافية في ارجوزة سماها الوافية وله المقصد الجليل في علم الخليل قصيدة في العروض وتعرف باللامية وله كتاب الفروع في الفقه وكتاب منتهى الامل في علمي الاصول والجدل وشرح كتاب سيبويه . ملخصا من ج 2 ص 183 من اثار الادهار وملحق 1 ص 531 بروكلمان .

6) ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري نسبة الى الى هوارة ذكر علماء الانساب انها من حمير وقيل من ولد اوريغ بن يونس من البرانس والاشهر انهم يمانيون من ولد المسور ابن السكاسك وقع المسور الى البربر وصاهرهم وانماهم هوارة لان اباهم المسور المذكور بعد ما جال في البلاد ونزل المغرب قال لقد تهورنا البلاد : وقعنا فيها بقلة مبالاة.

نشأ في طلب العلم فساد به ورأس واقتبس من الحضرة مااقتبس وجمع بين الخطابة والقضاء والتدريس والفتوى وكان يدرس بالمدرسة الشماعية وبمدرسة عنق الجمل وهو قاض مقسما الجمعة بينهما وكان في قضائه شديدا في الحكم وقد تعرض في ولايته بعض اهل الرأي لشدته وقال : انكم لا تطيقونه فاشار بعضهم باختباره

فوجهوا له جارا له من الموحدين يقال له ابن ابراهيم وقال له : ان القوم امتنعوا من توليتك القضاء لشدتك في الحكم فقال له : انا اعرف العوائد وامشيها فولوه القضاء من عام 734 الى ان توفي في 28 رجب سنة 749 بالطاعون قال ابن فرحون : كان اماما عالما حافظا متفننا في علمي الاصول والعربية وعلم الكلام وعلم البيان فصيح اللسان صحيح النظر قوي الحجة عالما بالحديث له اهلية الترجيح بين الاقوال لم يكن في بلده في وقته مثله شديدا على الولاة صارما مهيبا موصوفا بالدين والفقه والنزاهة معظما عند الخاصة والعامة سمع من احمد البطرني وتخرج عليه ابن عرفة ونظراؤه وله شرح على المختصر الفقهي لابن الحاجب من اكمل الشروح وقد وقع عليه الاقبال - وقبل وفاته بثلاثة ايام توفي ولده وكلاهما مدفون بالجلاز - شجرة النور الزكية 210 الديباج المذهب 336.

7) محمد بن هارون الكناني التونسي ولد سنة 680 وتوفي 750 تخرج عن ابن هارون الاندلسي وتخرج عليه ابن عرفة وابن مرزوق الجد وابن حيدرة وبالغ في الثناء عليه وقال ابن عرفة : بلغ درجة الاجتهاد المذهبي - له شرح على المختصر الاصلي والمختصر الفرعي وشرح المعالم الفقهية كما شرح التهذيب في عدة اسفار واختصره وشرح الحاصل واختصر المتيطية - ملخصا من شجرة النور 211

8) محمد بن محمد الانصاري التونسي من الفقهاء النابهين والوعاظ المرشدين اخذ عنه ابن عرفة قرأ عليه بالسبع والمقري كان خليفة في امامة الصلاة بالزيتونة ومن تآليفه تفسير توفي سنة 746

9) محمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن احمد القيسي الوادي آشي الاصل التونسي المولد شمس الدين ابو عبد الله ولد سنة 673 هـ 1274 م وتوفي سنة 749 هـ 1348 م من كبار المحدثين الفقهاء يجمع الى ذلك معرفة النحو واللغة والادب والقراءات جال في البلاد المشرقية والمغربية وسمع بمصر وممن اخذ عنه لسان الدين ابن الخطيب - من تآليفه الاربعون في الحديث وله برنامج ذكر فيه شيوخه بتونس وغيرها ومن لقيه في رحلته الى المشرق وله ديوان شعر في مجلد كبير وكانت وفاته بتونس

الدرر الكامنة ج 3 ص 413 - نفح الطيب 3 ص 108 - 110 الديباج المذهب 309 - 313 - فهرس المخطوطات المصورة ج 2 ص 3 الاعلام للزركلي 6 ص 453 معجم المؤلفين ج 9 ص 146

10 محمد بن علي بن سليمان السطي نسبة لقبيلة سطة احدى بطون (اوربة) من ناحية فاس نشأ بفاس بعد نزول ابيه بها واخذ الفقه عن ابي الحسن الصغير الزرويلي وابي اسحاق اليزناسني والفرائض عن علي الطنجي واليه المرجع في حل عقد الحوفي فيها وكان يعتبر خزانة مالك وله مشاركة تامة في الحديث والاصلين واللسان وهو ذو ديانة شهيرة وصلاح متين وكانت له المكانة العليا عند ابي

الحسن المريني والمدرس بحضرته والمفتي والخطيب وله تقييدات على الحوفي وكان مهتما بما يعنيه منقطعا الى النظر والتقييد والقراءات لا يخرج عن ذلك حتى في مجالس السلطان يسرد الصوم ولا يتكلم في المجلس إلّا اذا سئل توجه مع السلطان الى تونس ومات غريقا في نكبة الاسطول المريني في 8 ذي القعدة الحرام سنة 749 وقيل في التي تليها - درة الحجال ج 1 ص 218

44) محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري التلمساني الشهير بالآبلي بمدة آموحدة مكسورة نسبة الى آبلة بفتح الهمزة الممدودة وكسر الباء : مدينة بالشمال الغربي لمقاطعة مدريد وقد ضبطها في التاج بضم الباء وهو غلط كما يطلق اسم وبلة على حصن في نواحي قرطبة - انتقل والده وعمه من بلدهما واستخدمهما صاحب تلمسان وتزوج والده ابنة القاضي ابن غلبون فاولدها محمدا سنة 681 وكانت نشأته على يدي جده ابن غلبون واكب على التعلم فاخذ بتلمسان عن ابي الحسن التنسي وقرأ المنطق والاصلين على ابي موسى بن الامام ورحل الى مصر والشام والحجاز والعراق والمغرب وتخرج عليه كثير من العلماء مثل ابن خلدون وابن الصباغ المكناسي والشريف التلمساني والرهوني وابن مرزوق الجد وابي سعيد العقباني وابن عرفة وابي عبد الله بن عباد وقد تميز الآبلي في العلوم العقلية ونبغ فيها وتخرج عليه فيها علماء كثيرون - وحكى عن نفسه رحمه الله انه لما اشتدت به الغلمة وهو بالبحر واستحيى من كثرة الاغتسال اشار عليه البعض بشرب الكافور ففعل فخولط في عقله قال : (وقدمت الى الديار المصرية وبها ابن دقيق العيد وابن الرفعة والصفي الهندي والتبريزي من فرسان المعقول فلم يكن قصارى إلّا تمييز اشخاصهم ثم حججت ورجعت الى تلمسان وقد افقت من الانخلاط وانبعثت الى تعلم العلم)

ولما اراد ابو حمو صاحب تلمسان اكراهه على العمل فر الى فاس واختفى عند اليهودي خلوف المغيلي وكان شيخ التعاليم عندهم فاخذ فنونها عنه ومهر فيها وفي حدود العشر والسبعمائة يمم مراكش ونزل على امام المعقول والمنقول وعمدة التصوف بها العلامة ابن البناء فلازمه وتضلع عليه في المعقول والتعاليم والحكمة ثم اخذ عن شيخ الهساكرة علي بن محمد وكان يحبه ويعظمه وتصدر بها للافادة ثم بفاس وتزاحم عليه الطلبة لاشتهاره وذيوع نبوغه وعبقريته وقد اطنب في مدحه ابو موسى بن الامام لدى السلطان ابي الحسن فاستدعاه فوفد عليه وعكف على التدريس ولازم حضرته وبعد هلاكه طلبه ابو عنان فارتحل الى بجاية ودرس المختصر الاصلي لابن الحاجب ثم توجه لتلمسان فنظمه ابو عثمان صاحبها في سلك العلماء وكان يقرأ عليه وتوفي سنة 757 - القسم الاول من درة الحجال ص 6 283 أزهار الرياض ج 3 ص 78 - شجرة النور الزكية 221 - جذوة الاقتباس 144 - 191 - نيل الابتهاج ص 245 الدرر الكامنة ج 3 ص 388 -

12) احمد بن عبد الله الانصاري المعروف بالرصافي ولـد بمرسية اواخر رمضان سنة 650 واخذ عن ابي الحسن العزفي وعن ابي الحسين بن ابي الـربيع القرشي وابن المرحل وعن التلمساني صاحب الرجز وابن الطباع وابي الحسـن ابن الصائغ ودخل الى تونس ولقيه الشيخ خالد البلوي بهـا سنة 736 ـ درة الحجال ص 14

ابو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني الاكبر وقد اخذ عنه وسمع عليه بعض البخاري ومسلما والموطا والشفا وقصيدتي الشيخ الشاطبي وحدثه عن اشياخه فمنهم الشيخ الصالح المعمر شرف الدين عيسى بن عبد الله الحجبي المالكي نزيل اودية مكة شرفها الله تعالى طال عمره نحو المائة عام.

ومن اشياخ الشيخ الامام شيخنا المذكور رحمه الله الشيخ الفقيه الصالح المحدث المقري ابو الحسن محمد (1) بن الشيخ الراوية ابي العباس احمد (2) البطرني قرأ عليه كثيرا من كتب القراءات واخذ عنه الحزبين المباركين للشيخ الولي العارف بالله سيدي ابي الحسن الشاذلي (3) رحمه الله ونفع به الحزب الكبير وحزب البحر - واخذ عنه كتاب الرخصة في تقبيل اليد واخذ عنه كلاما من كلام الشيخ ولي الله المرجاني (4) وحدثه بحزبي الشيخ الولي المذكور عن الشيخ ابي العزائم ولي الله ماضي (5) عن الشيخ الشاذلي واجازه في الشفاء وفي مسلم والبخاري وحديث الرحمة وحديث وضع اليد على الرأس عند قراءة خاتمة سورة الحشر والبردة والشقراطسية وعمدة الاحكام وغير ذلك وحدثه بذلك عن اشياخه منهم الشيخ ابو العباس احمد البطرني والد الشيخ المذكور ومن اشياخه رضي الله عنه الشيخ القاضي ابو زيد عبد الرحمن البرشكي (6) واخوه الشيخ الفقيه ابو العباس احمد (7) روى عليهما عام سبعين وسبعماية.

ومن اشياخه الشيخ ابو عبد الله (8) اليفرني اجازة وقرأ عليه في الاصول وحدثه عن شيخه الابلي وله رضي الله عنه اشياخ كثيرة غير من ذكر في القراءات وغيرها فلنقتصر

---

1) ضبطه ابن خلدون بالقلم وابن ميمون البلوي بفتح الباء والطاء المهملة وراء ساكنة بعدها نون نسبة الى بطرنة Patrna من اقليم بلنسية من بلاد الاندلس كما في البيان المغرب ج 3 ص 2 - 25 ولد سنة 702 وتوفي في 17 ذي القعدة سنة 793 وسافر للحج كان حافظا محدثا راوية مقرئا متفننا عرف بالصلاح والزهد واستجابة الدعوة - تخرج عن والده وعن ماضي بن سلطان واجازه النور بن فرحون وابن جماعة واستخلفه ابن عرفة في الخطابة عند سفره للحج وعند اخذ ابن خلدون والبرزلي وابو الطيب بن علوان وابن الخطيب القسنطيني والبسيلي والوانوغي والملاحظ ان المؤلف يكنيه بابي الحسن وبابي علي وبابي عبد الله ولم اقف على من كناه بذلك غيره - اهـ شجرة النور الزكية ج 1 ص 622 - نيل الابتهاج 272 - البيان المغرب.

(2) ابن موسى بن عيسى بن ابي الفتح الانصاري المالكي التونسي ولـد سنة 668 وتوفي بتونس في 24 ربيع الثـاني سنة 710 وقيل سنة 716 وقيـل يوم السبت 20 من ربيع الثاني سنة 703

اخذ القراءات عن عبد الله بن الاعلى وابي بكر بن شبلون والحـديث عن صالح بن محمد بن الوليد ومحمد بن احمد بن حامد وابي عمر بن شقـر وغيرهم واخذ عنه ابن عبد السلام وابن جابر الوادي آشي والرحـالة التيجاني كان رحمه الله عمدة في التحقيق راسخـا في الفقه والقراءات والرواية ماهـرا في الحـديث مشاركا في فنون له رسالة في موجبات احكام مغيب الحشفة ـ شجرة النور الزكية ج 1 ص 205 ـ درة الحجال ج 1 ص 18 الدرر الكامنة لابن حجـر ج 1 ص 322 ـ القدح المعلى تاريخ الدولتين للزركشي 49

(3) تقي الدين ابو الحسن علي بن عبد الجبـار بن تميم وينتهي الى الحسين ابن علي بن ابي طالب وقد اشهر بالشاذلي نسبة الى قرية من قرى افريقية تعرف بشاذلة ، اشتغل بالعلوم الشرعية واتقنها وناظر عليها مع كونه ضريرا ثم عـرج على ميدان التصوف فظهر صلاحـه وعم فضله وحمد في طريق القـوم سيره وطـاف بالبلاد ورحل الى الاسكندرية وانتفع به رواد المعرفة واظهر طريقته بالبلاد المصرية وله احزاب بلغت الغاية في براعة التعبير ودقة التحرير والغوص على بديع المعاني الروحية وسمو الاداب الشرعية ، وهذا ابن دقيق العيد يقول فيه : ما رأيت احدا اعرف بالله منه ورغم ذلـك فقد أوذي واخرج مع اتباعه وخوطب والي الاسكندريه في انه زنديق فاخذوه وعومل بها بالمكروه وظهرت له كرامات اثبتت مكانتـه وصدقه في الحق ، ومن بليـغ اقواله : حسبك من العلم بـالوحدانية ومن العمل تادية الفرض مع محبة الله تعالى ورسوله واعتقاد الحق للجماعة فان المـرء مع من احب ولو قصر في العمل ومنه قوله : من علامة النفاق ثقل الذكر على اللسان فتب الى الله يخف الذكر على لسانك ، ومنه قوله لان يلقى المؤمن ربه ذليـلا خاضعا من رؤية ذنوبه احب الى الله تعالى من ان يلقاه باعمال الثقلين وهو معجب لنفسه لا يرى اربه عليه حجة ومن ابلغ ما نقل عنه مما يصور لنا درجة تقـديره لحرية الرأي مع اصحابه ، قوله : (نحن لا نقيد على مريد ان لا يجتمع بغيرنا بل نقول : ان وجدت منهلا اعذب منا فعليك به) وقال : ليست الطريق بالرهبانية ولا باكل الشعير والنخالة انما هي بالصبر واليقين والهداية ، وجعلنا منهم ايمة يهـدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ـ مات رضي الله عنه بصحراء عيـذاب وهو قاصد الحج فدفن هنالك سنة 656 في رمضان ـ معجم المطبوعات 1088 ـ دائرة المعارف الاسلامية ج 4 ص 256 ـ بروكلمان ملحق 1 ص 805

(4) ابو محمد عبد الله ابن محمد بن عبد الملـك بن عبد الله بن محمـد البكري المرجاني التونسي من الفقهاء الصلحاء والعلماء العاملين له مكانة عند العامة

والخاصة ويعتقدون في صلاحه حج ورجع وكان له اتصال وصحبة مع محمد بن سلطان ولما اشتد به المرض زاره محمد وقال له : كيف نجدك يا شيخ فقال له : اخاف الموت لاني مقصر في العمل فاستحي من الله عند لقائه فقال له : والله لو سمعنا بسلطان سخي يعطي عطاء جزيلا لاستعملنا اليه السفن واتعبنا النفوس في لقائه واذا وصلنا اليه استبشرنا بلقائه فكيف بلقاء الله الكريم على الحقيقة الذي اعطاك واعطاك وجعل يذكره النعم وكلمه بكلام من الحقيقة حتى ابكاه وقال له جزاك الله خيرا اذ رددتني لشاهد العقل وتوفي المرجاني في اوائل جمادى الاولى سنة 699 ودفن بالجلاز قريبا من المقام الشاذلي غربي المغارة وممن كان صديقا له القاضي ابو يحيى ابو بكر الغوري الصفاقسي قاضي تونس ولما مات المرجاني كتم الخبر عن القاضي حيث كان مريضا واوصوا من يزوره بان لايخبره بذلك فاتى ابو اسحاق ابن عبد الرفيع لعيادته وقد اوصوه بذلك فانسى واخبره بذلك فازداد مرضه ومات يوم الاحد 14 جمادى الاولى 699 ومولده بالاسكندرية واصله من تونس وذكر في كشف الظنون أن للمرجاني كتابا سماه بالفتوحات الربانية وله بهجة النفوس والاسرار في تاريخ هجرة النبي المختار وشرح الزيرجة للمراكشي - معجم المؤلفين ج 6

5) ابو العزائم ماضي بن سلطان من قرية المسروقين احدى قرى تونس بها ولد سنة 602 وخدم ابا الحسن الشاذلي اكثر عمره وكان في خواصه يدخل على اهله بغير حجاب كثير التخفي بالكرامات وقد كف بصره وثقل سمعه توفي بتونس يوم الاربعاء سنة 718 وله من العمر مائة عام وستة عشر عاما كان من العلماء الفضلاء الاخيار - اه شجرة النور الزكية ج 1 ص 205

6) علامة تونس وخطيبها توفي على الدرس وعرف بالعلم والعمل ومحله من ذلك بالمكان الارفع والمقام المحمود مع اخلاق رضية ومكارم فائقة اسند اليه قضاء الخلافة الحفصية بتونس وممن تخرج عليه العلامة ابن مرزوق وابو الطيب بن علوان وولايته للقضاء بتونس بعد ابي عبد الله القطان توفي سنة 737 والبرشكي نسبة الى مدينة برشك مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب تقع على ضفة البحر وشرب اهلها من عيون عذبة وبها فواكه وعدة مزارع وحنطة كثيرة وشعير وبينها وبين شرشال عشرون ميلا ويصل بينهما جبل منيع تسكنه قبيلة من البربر تسمى ربيعة - اه شجرة النور الزكية ج 1 ص 226 - نيل الابتهاج 168 - نزهة الانظار ج 1 ص 23

على ما ذكرناه واستحسناه ولنذكر بعض اسانيد الشيخ رحمه الله في كتب الحديث الذي اجازني فيها مع بعض رواية احاديث مما اجازني فيها عموما.

اما صحيح البخاري فرواه رحمه الله سماعا عن الشيخ الامام علم الاعلام الشيخ ابن عرفة رحمه الله قال: واخبرني به الشيخ المعمر شرف الدين ابو عبد الله عيسى الحجبي اجازة مكاتبة قال:واخبرني به اجازة الشيخ الخطيب الرحال خطيب الدنيا ابوعبد الله محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني قال رضي الله عنه: وكذلك اجازني به الشيخ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم الشامي والشيخ جار بيت الله الحرام ابراهيم الدمشقي اجازة من الاول ومكاتبة من الثاني قالوا : اخبرنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي قال : اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن (1) مضر بن صالح الفربري قال ثنا الامام الحافظ الحجة ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله هذا الذي رأيته منسوبا في النقل عن شيخنا المذكور وهذا السند يخالف ما رأيته بخط شيخنا ابي عبد الله محمد البطرني (2) لاني وجدته بخطه.

وقد اجازني فيما صح عنده روايته عن السيد الشيخ ابن عرفة كتاب الجامع للبخاري عن محمد بن جابر الوادي آشي عن شهاب الدين احمد الحجار عن سراج الدين محمد البغدادي عن ابي الوقت عبد الاول السجزي عن عبد الرحمن الداودي الحموي عن محمد الفربري عن المؤلف رحمه الله ويخالف ايضا لما وجد في فهرسة اخرى لبعض تلامذة الشيخ قال كاتبها الشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله: روايتي للبخاري عن الشيخ العلامة الراوية المحدث الحاج الرحال شمس الدين ابي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي وحدثه عن الشيخ المعمر شيخ الاقاليم ابي العباس احمد بن طالب بن النعمة بن الحسن الدمشقي الصالحي الحجار عن ابي عبد الله الحسن بن مبارك الزبيدي عن ابي الوقت عبد الاول بن عيسى السجزي سماعا عن ابي الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي عن ابي محمد عبد الله بن حمويه الحموي عن ابي عبد الله محمد بن مضر بن يوسف الفربري عن الامام ابي

---

1) في طرة نخ العبدلية الظفر نقلا عن نسخة اخرى وقد كتب الناسخ بصلب الصحيفة بن مظهر

2) في طرة نخ العبدلية الطبربلي والاصح فيما يظهر البطرني

عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنهم اجمعين كذا نقل لي من خطه المبارك في الاجازة لصاحبها فان صح هذا فهو اصح مما نقلته من خط تلميذه شيخنا ابي عبد الله محمد البطرني (1) وكذلك اصح مما نقل عن فهرسة شيخ الشيوخ سيدي ابي القاسم رحمه الله واصح مما نقلته ووجدت بخط الشيخ ابن عرفة رحمه الله وحدثني به مكاتبة الشيخ المسن فقيه المشايخ ملحق الاصاغر بالاكابر جمال الدين ابو عبد الله عيسى بن عبد الله بن عبد العزيز التميمي الحجبي عن المعمر ابي عبد الله بن ابي البركات الهمداني (2) عن ابي الوقت السجزي قال بالسند المتقدم وهو الذي في سند شيخنا سيدي ابي القاسم رحمه الله لكنه ليس مثل السند المتقدم كما ذكر

واما رواية الشيخ شيخنا ابي القاسم رحمه الله في سنده لصحيح الامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج فالذي رأيته بسنده قال: اخبرني شيخنا الامام علم الاعلام ابو عبد الله محمد ابن عبد السلام بقراءتي عليه قال: اخبرني الشيخ المقري الصالح ابو العباس احمد بن موسى بن عيسى بن ابي الفتح الانصاري اجازة قال: اخبرني قاضي الجماعة ابو العباس احمد بن (3) محمد بن حسن الغماز الخزرجي قال: (انا) ابو عبد الله محمد بن الفضل بن احمد الفراوي فقيه الحرم اجازة قال: (انا) ابو الحسن عبد الغافر بن محمد (انا) ابو احمد محمد بن عيسى اخبرني ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الزاهد حدثنا الامام مسلم ابن الحجاج الحافظ وله رواية اخرى من طريق آخر اعلا من هذه بدرجة من رواية الشيخ الرحال ابي عبد الله محمد بن مرزوق الاكبر وله رواية اخرى اعلا من هذه من طريق الشيخ المحدث برهان الدين وللشيخ الامام شيخ الاسلام ابن عرفة رحمه الله سند آخر في كتاب مسلم رحمه الله وانه سمعه عن الشيخ الراوية ابن جابر كما روى البخاري عنه من غير هذه الطريق قال الشيخ ابن جابر: قرأت اكثره وسمعت باقيه ببلد تونس على قاضي الجماعة بها ابي العباس احمد بن الغماز مـا

---

1) في طرة نسخ العبدلية ـ الطبربي والبطرني اصح

2) كذا بالاصلين ولعله الهمذاني او الميداني

3) ابو العباس احمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن محمد بن الغماز الانصاري البلنسي الخزرجي ولد ببلنسية يوم عاشوراء

سنة 609 احد الفضلاء المشهورين بالدين كان فقيها مفتيا عارفا بالتوثيق وشاعرا نابغا اخذ عن جماعة من اهل الاندلس ثم ارتحل الى بجاية فسكن بها وتخطط بالعدالة ثم توجه الى تونس فولي قضاء كثير من البلاد الى ان اسندت اليه خطة قضاء الحاضرة في 23 من شهر رمضان سنة 609 ثم عزل ثم ولي وتكرر ذلك الى ان ولي الولاية الاخيرة في 19 رمضان سنة 691 ثم تخلى آخر عمره وجلس للرواية والتصحيح الى ان توفي يوم عاشوراء سنة 693 بتونس وقد جمع ابو الحسن التيجاني ما قيل فيه من المراثي يوم وفاته ودفن بمقبرة المناطقي - وقد كانت اسندت اليه خطة العلامة الكبرى في 15 صفر سنة 677 وكانت له صلابة وسياسة ووقوف مع الحق وكان قاضيا عمليا مجيدا محكما وسما عند المستنصر الحفصي ولم يكن تاخيره عن القضاء المرار العديدة لشيء اصلا بل يؤخر عنه لما هو ارقى ويرجع اليها عند المهمات وذكر النباهي انه لم يقبل قضاء الجماعة إلّا بشروط ان يكون على رأيه في الدخول على الخليفة وانه اذا أعرضت له مؤامرة السلطان في شيء من شؤونه اجاب عليها حينه بالمشافهة والمكاتبة وان تكون خراجته واعوانه من الاعشار الرومية - وقد انتدبه السلطان واوفده الى صاحب المغرب فتوفق في سفارته ونجح في سعيه

قال في عنوان الدراية لما كان ابن الغماز ببجاية وقد انفصل عنها الجيش لحصار مليانة عاث المفسدون وامتدت ايدي الفساد فقام ابن الغماز بشؤون الناس وشيد ما يحتاج الى التشييد باسوارها وظهر من عقله وفضله ونبله وجده واجتهاده ما حمد به امره وجل به قدره ولامتداد شهرته خاطبه ثلة من علماء المشرق كابن فضل واحمد القرطبي وابن قيمان واحمد المرجاني وابن طرخان والعسقلاني واسحاق الطبري المكي والعز ابن عبد السلام وابن عساكر الدمشقي وعبد العظيم المنذري وابن دقيق العيد و رشيد الدين العطار وغيرهم

اما شيوخه فابو الربيع سليمان الكلاعي والشاطبي ابن صاحب الصلاة وابن خبرة وابن السراج واللخمي العزفي السبتي

واما تلاميذه فكثيرون منهم ابن راشد القفصي وابن جابر الوادي آشي وابو الحسن التجاني - وكانت لابن الغماز عناية بلقاء رجال الحديث ومن شعره :

يا منفق العمر في حرص وفي طمع ... الى متى قد تولى وانقضى العمر
الى متى ذا التمادي في الظلال اما ... تثنيك موعظة لو ينفع الذكر
بادر متابا عسى ما كان من زلل ... وما اقترفت من الاثام يغتفر
وجنب الحرص واتركه فما احد ... ينال بالحرص ما لم يعطه القدر
ولا تؤمل لما ترجو وتحذره ... من ليس في كفه نفع ولا ضرر
وفوض الامر للرحمن معتمدا ... عليه في كل ما تأتي وما تذر
واحذر هجوم المنايا واستعد لها ... مادام يمكنك الاعداد والحذر

وقوله في الزهد :

هو الموت فاحذر ان يجيئك بغتة	وانت على سوء من الفعل عاكف
واياك ان تمضي من الدهر ساعة	ولا لحظة إلّا وقلبك واجف
وبادر باعمال تسرك ان ترى	اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه	لرب العباد بالعباد لطائف

الديباج 76 ذيلة 64 درة الحجال القسم الاول ص 37 شجرة النور الزكية 199 عنوان الدراية 70 تاريخ الدولتين للزركشي 29 ـ 42 المرقبة العليا 122 رحلة العبدري شذرات الذهب

2) سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي البلنسي ولد خارج مرسية سنة 565 وتوفي سنة 634 بقية الاكابر وآخر حفاظ الاندلس و بلغائها المترسلين كان اماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا له عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات يحفظ اسماء الرجال مبرزا في نقد الحديث ريانا من الادب سمع من ابي القاسم بن حبيش وابي عبد الله بن زرقون وابي عبد الله بن حميد ابن الجد وابن نونة وابن الفرس وابن ابي جمرة وابن كوثر وابن رفاعة وابن الفخار وابي محمد الصدفي وابي العباس بن مضي وابن سمحون وابي الطاهر بن عوف واجازه عبد الحق والمنذري وسمع منه ابن الابار واخذ عنه الكثير وانتفع به في الحديث وحضه على اكمال تاريخ الصلة وامده بتقييدات كما روى عند ابن حزب الله وابن مفوز وابن المواق وابن الغماز وابن برطلة وابي جعفر الطنجالي وابي الحجاج بن حكم خطب المترجم له بجامع بلنسية وولي القضاء فعرف بالعدل والعزم وحضر الغزوات وشهد له بالاقدام في مباشرة القتال وابلى في الغزوة التي مات فيها ـ له كتاب الاربعين السباعية والسباعيات من حديث الصدفي وحلية الامالي في الموافقات العوالي والمسلسلات والاشارات والمعجم في مشيخة شيخه ابن حبيش و برنامج روايته والاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء وكتاب معرفة الصحابة والتابعين وله مصباح الظلام في الحديث وتحفة الوارد ونخبة الرائد وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في عرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة والاعلام رضي الله عنهم والاعلام باخبار البخاري وجني الرطب في سني الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المقري في خطبة الفصيح وامتثال المثال في ابتداع الحكم واختراع الامثال ومعارضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل لطريقة ابي العلاء المعري في ملقى السبيل ومجازفتيا اللحن اللاحن الممتحن يشتمل على ماية مسألة ملغزة وفي نتيجة الحب الصميم وزكاة المنظوم والمنثور والصحف المنتشرة في القطع المعشرة وله ديوان رسائل وديوان شعر ومن شعره قوله :

امولى الموالى ليس غيرك لي مولى	وما احد يا رب منك بذا اولى
تبرأت من حولي اليك وقوتي	فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا

خلا باب التسمية على الطعام وهو الحديث المروي عن ابي بكر بن ابي شيبة وابي كريب الى اول باب اذا شرب ناول الايمن وهو مروي عن مالك عن ابن شهاب وذلك مقدار ورقتين فاتني بهما القاري ولم اعدهما حتى مرض الشيخ واجازهما لي . وحدثني به عن الحافظ ابي الربيع (2) بن سالم سماعا لجميعه عن ابي محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري قراءة على ابي عبيد الله محمد بن عبد العزيز ابن احمد بن زعيبة الكلابي سماعا عن ابي العباس احمد بن عمر العذري عن ابي العباس احمد بن الحسن الرازي عن ابي احمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي عن ابي اسحاق ابراهيم بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ، قال ابن عرفة : وابن جابر طريق آخر في فهرسته .

واما رواية شيخ الشيوخ لابي داوود فروي عنه رحمه الله انه قال: اخبرني الشيخ العالم الصالح مفتي المسلمين قاضي الجماعة ابو العباس البجائي (3) اجازة قال: اخبرني الشيخ العالم الصالح مفتي المسلمين قاضي الجماعة الخطيب ابو عبد الله محمد ابن صالح الكناني قال: (نا) ابو عثمان معد بن علي بن زاهد البلنسي قال: (انا) ابو عبد الله محمد بن نوح قال

وهب لي الرضى مالي سوى ذاك مبتغى ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

فهرس الفهارس ج 1 ص 367 - فهرس العبدلية والاحمدية ج 2 ص 287 الديباج 122 .

3) احمد بن ادريس وصفه في شجرة النور الزكية بالامام العلامة الشيخ الصالح الفهامة تخرج عليه ابن خلدون ويحي الرهوني وعبد الرحمن الوغليسي وله تعليق على مختصر ابن الحاجب وقد نقل عنه ابن عرفة وابو العباس القلشاني وابن زاغو والمشذالي توفي بعد سنة 760 - درة الحجال 38 القسم الاول

(انا) ابو عبد الله محمد بن (1) سعادة قال: (انا) ابو عمران موسى بن ابي تليد قال: (انا) الحافظ ابو عمر بن عبد (2) البر قال: (انا) ابو محمد عبد الله

---

1) والده يوسف من مدينة المرية ولد سنة 496 وتوفي 565 او سنة 566 يعتبر في صدور المتبرزين في العلم والعمل والثقة والامانة واليه انتهت معرفة السنن والاثار وله مشاركة في علوم القرآن والتفسير حافظ للفروع بصير بغريب اللغة وله حظ وفير في علم الكلام و رسوخ قدم في الفقه والاصول خطيب مصقع لازم ابا علي الصدفي واختص به واكثر الرواية عنه واليه صارت دواوينه العلمية النفيسة العتيقة وامهات كتبه لمصاهرة بينهما وسمع من ابن عتاب وابن رشد وابن العربي وابن الحاج ولازم حضور مجالس ابي محمد بن جعفر وحمل عنه ما يرويه وكاتبه جماعة وفي سنة 520 رحل للمشرق فسمع بمكة ما حمل عن الغزالي من تصانيفه من تلميذه ابن عياش الغساني ولقي العلماء باسكندرية وكتب اليه ابو بكر الطرطوشي ودخل الى المهدية واقام بها مدة فاخذ عن المازري وسمع منه بعض كتابه المعلم واجاز له باقيه ورجع الى مرسية سنة 526 فحصل على علوم غزيرة و رواية متسعة وولي القضاء وتصدر للحديث و رزق من الاقبال والحظوة والجلال مكانة عظمى اخذ عنه ابن هذيل وسمع منه الترمذي وابن فيرة وابو محمد بن حوط الله وابن خيرة والف شجرة الوهم المرتقية الى شجرة الفهم لم يسبق اليه مثله وليس له غيره وله فهرسة حافلة.

2) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري شيخ علماء الاندلس وكبير محدثيها نعته صاحب شجرة النور الزكية بالامام الحافظ النظار ولد في سنة 368 هجرية اخذ الفقه عن ابن المكوي وابن الفرضي واحمد بن عبد الملك بن هشام وغيرهم وكاتبه الكثير من علماء المشرق كالحافظ عبد الغني بن سعيد وابي ذر الهروي وسمع جماعة من اعيان المشرق كسعيد بن نصر وعبد الوارث والبزاز والطلمنكي والقنازعي والقاضي يونس كما سمع منه جمهرة كثيرة كالدلائي وابن ابي قحافة والحميدي والغساني وابي عمر بن القاضي.

وقد ترك كتبا قيمة وهي التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد لم يتقدمه فيه احد وكتاب الاستذكار بمذهب علماء الامصار والاستيعاب في اسماء الصحاب والكافي في الفقه والدرر في المغازي والسير وكتاب العقل والعقلاء وما جاء في اوصافهم عن الحكماء والعلماء - وكتاب فضائل مالك وابي حنيفة والشافعي وفهرسته وجامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله وجمهرة الانساب في قبائل العرب وانسابهم وبهجة المجالس وانس المجالس في ثلاث مجلدات تشتمل على اشياء صالحة للمذاكرة والمحاضرة وله مقصورة قدمها كوصية لابنه وقد كانت وفاته بشاطبة في ربيع الثاني سنة 463 اهـ شجرة النور الزكية 119 - ج 2 ص 358 - ج 1 ص 119 - 123 من نفح الطيب - بروكلمان تاريخ الادب العربي ج 1 ص 367 ملحق 1 ص 628 .

ابن محمد بن عبد المؤمن قال (انـا) ابو بكر بن داست قال (انـا) ابو حفص عمر بن محمد المكتب قال - انا - ابو الفتح مفلـح بن احمد بن محمـد الرومي وابو الوليد (1) ابراهيم بن منصور الكرخي قال اخبرنا الخطيب ابو بكر بن ثابت قال - انا - ابو علي محمد بن احمد الادراري - 2 - قال - انا - الحـافظ ابو داوود سليمان بن الاشعث السجستاني بالسنن المذكورة وله طرق غير هذه

واما روايته رحمه الله للنسائي - 3 - فرواه عن الشيخ الصالح المحـدث الراوية ابي الحسن محمد البطرني الانصاري قال اخبرني به فيما سوغ له عنـه قـال كتب لي الاستاذ الجليـل مسند الاندلس ابو جعفر محمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي ان ابا الحسن علي الغافقي اخبره سماعا قال اخبرني الفقيه الزاهد ابو محمد عبد الله الحجري قال - انا - ابو جعفر احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباري البطروحي قال - انا - ابو عبد الله محمد بن فرج قـال - انا - الحافظ الشهيد ابو الربيع سليمان الكـلاعي قال اخبرني ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حسين قال اخبرني القاضي ابن يونس بن عبد الله بن مغيث قال - انا - ابو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرشي المعروف بابن الاحمر قال - انا - الحافظ ابو عبد الرحمن احمـد بن شعيب النسائي رحمه الله بذكره وله طرق فيه غير هذه رحمه الله

واما رواية الشيخ رحمه الله للجامع لابي عيسى الترمذي - 4 - فرواه عن الشيخ الامام شيخ الاسلام ابن عرفـة رحمه الله قـال اخبرني به الشيخ العلامة الرحال ابو عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي قـال - اني - به ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشافعي المكي قال - اني - ابو عبد الله محمد ابن النعمان الفاسي قال اخبرني ابو الفضل محمد بن ابي المعـالي بن الحبـاب السعدي قال - انا - ابو المفاخر سعيد بن الحسين بن محمد الهاشمي قال - انا - ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ الترمذي رحمه الله بذكره

واما باقي الكـتب الستة فلم ار لشيخنا فيها سندا وقد روينا سنده عن غيره الى مؤلفه واما سند شيخ الشيوخ في الموطا فرواه عن الشيخ الامام العلامة ابن عرفة رحمه الله .

---

(1) بطرة نخ العبدلية البدر . (2) في نخ العبدلية الازداري
(3) ابو عبد الرحمن احمد بن علي النسائي نسبة الى نساء احـدى مدن

خراسان ولد بها سنة 215 وقيل 214 كان اماما في الحديث في عصره ثقة ثبتا حافظا له كتاب السنن كان يميل الى التشيع الف كتاب الخصائص في فضل علي واهل البيت واكثر رواياته فيه عن ابن حنبل خرج من بلده مع جماعة من الاعيان ودخل آخر عمره دمشق فسئل عن معاوية وما روي في فضائله فقال : أما يرضى معاوية ان يخرج رأس برأس حتى يفضل وفي رواية ما اعرف له فضيلة ألا لا اشبع الله بطنك فما زالوا يدفعونه في حضنه حتى اخرجوه من المسجد وداسوه فقال لهم : احملوني الى مكة فمات بها ودفن بين الصفا والمروة في شعبان سنة 303 وكان موصوفا بكثرة الجماع وله اربع نسوة يقسم لهن وله سراري وكان يصوم يوما ويفطر يوما 25 ج 2 وفيات الاعيان

(6) محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي من كبار ايمة الحديث وحفاظه وبه يضرب المثل في الحفظ ولد سنة 209 وتوفي بترمذ سنة 299 تسع وتسعين ومائتين لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين وقيل توفي ببوغ سنة 257 وهو تلميذ البخاري وشاركه في بعض شيوخه وله رحلة في خراسان والعراق والحجاز وعمي آخر عمره ومن تآليفه (الجامع الكبير) في الحديث وشمائل النبيء صلى الله عليه وسلم وكتاب (العلل) في الحديث - وترمذ مدينة قديمة على طرف نهر جيحون واختلف في النسبة اليها فمنهم من يفتح التاء وبعضهم يضمها وبعضهم يكسرها والمتداول على لسان اهلها فتح التاء وكسر الميم - وبوغ بضم الباء وسكون الواو بعده غين معجمة قرية تبعد على ترمذ بستة فراسخ - ج 2 ص 622 وفيات الاعيان - الانساب للسمعاني 95 نكت الهميان للصفدي 261

بقراءتي عليه عن الشيخ الامام ابن عبد السلام والشيخ الراوية الرحال ابي عبد الله محمد بن جابر اجازة للاول وسماعا للثاني قال (ثنا) الكاتب البليغ المسند الاصيل ابو محمد «1» عبد الله بن محمد بن هارون بن محمد بن اسماعيل الطائي الاندلسي القرطبي نزيل تونس قراءة عليه للاول وسماعا للثاني قالا ـ ثنا ـ «2» قاضي الجماعة وخطيب الخلافة وكاتبها ابو القاسم احمد بن يزيد بن عبد الرحمن ابن بقا المخلدي القرطبي سماعا عليه ومن لفظي ولفظ غيري قال ثنا «3» ابو عبد الله بن عبد الحق بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي بقراءتي عليه بها قال ـ ثنا ـ «4» المفتي ابو عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع القرطبي قال ـ ثنا ـ «5» القاضي ابو الوليد عيسى بن يحي بن عبد الله بن يحي ابن يحي قال ـ ثنا ـ والدي يحي «6» بن يحي قال ـ ثنا ـ الامام ابو عبد الله «7» مالك بن انس رضي الله عنه بذكره وله رواية اخرى رحمه الله من طريق ابي صعب مشهورة طويلة رحمه الله ونفع به .

واما كتاب الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى فحدث به عن الشيخ الفقيه الرحال ابي عبد الله محمد بن مرزوق عن الشيخ شرف الدين الزبيدي عن ابن سيد الكل «8» ابي صفرة المهابي سماعا لبعض لفظه عليه بالحرمين الشريفين قال ـ ثنا ـ ابو الحسن يحي بن محمد بن احمد بن تميت قال ـ ثنا ـ ابو الحسن بن محمد بن علي بن الصائغ الانصاري الاندلسي اجازة عن مصنفه القاضي ابي الفضل عياض بن موسى بن عياض رضي الله عنه

---

(1) فقيه محدث مسند فاضل مسن كان وطيء الاكتاف لين الجانب لقصديه له رواية عالية لكبر سنه روى عن جده لامه ابي جعفر احمد بن محمد ابن ابراهيم بن خاصة الحميري والقاضي ابي القاسم احمد بن يزيد بن بقي وصحب ابا القاسم بن الطيلسان واخذ عنه كثير بالاندلس وبالعدوة وقرا العبدري عليه البعض من الموطأ بتونس وبعضا من كتاب التيسير لابي عمرو وسمع منه دولا من مسلم واجازه اجازة عامة كما اخذ عنه الوادي آشي وابن رشد وابن زيتون وابن عبد السلام وابن هارون التونسي ولد سنة 603 وتوفي بتونس سنة 702 ومن آثاره اللآلي المجموعة من باهر وبارع الكلام ـ فهرس الفهارس ج 2 ص 423 معجم المؤلفين ج 6 ص 113 شجرة النور الزكية 190

(2) في نسخ العبدلية ـ انا ـ (3) في نسخ العبدلية ـ ثنا ـ (4) في نسخ العبدلية ـ انا ـ (5) في نسخ العبدلية (يونس بن عبد الله بن يحي قال ـ انا ـ عمي)

(6) ابو محمد يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس وقيل وسلاس بن شمال ابن منغايا الليثي المصمودي الاصادي مولى بني الليث دخل جده شمال الاندلس غازيا مع طارق بن زياد سمع بقرطبة من شبطون القرطبي الموطا ومن يحي بن قصي القيسي ورحل وعمره ثمانية وعشرون سنة الى المشرق فسمع من مالك الموطا غير ابواب في الاعتكاف شك في سماعه فيها فاثبت روايته فيها عن شبطون وسمع من ابن عيينة ومن الليث بن سعد وابن وهب وابن القاسم ولازم مالكا وكان ينعته بعاقل الاندلس وقد نعته بذلك عندما خرج اصحابه لمشاهدة الفيل ولم يعرفوه ومكث هو مع مالك ولما سأله عن عدم خروجه مع انه غير موجود بالاندلس قال : انما جئت من بلدي لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك لا لانظر الى الفيل فاعجب به ونعته بعاقل اهل الاندلس ولازمه الى ان مات ورجع لبلاده ونشر مذهب مالك وبث الموطا وانتهت اليه الرياسة بالاندلس وكان ذا مهابة ويعظمه الامراء وعرض عليه القضاء فامتنع وكان الخليفة لا يولي احدا القضاء في بلاد الاندلس إلّا بعد مشاورة يحي واختياره وكان لا يشير إلّا باصحابه ومن كان على مذهبه ، وسأل الخليفة عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء ومن بينهم يحي بن يحي عن كفارة من وطيء جارية في رمضان فاجابه يحي : بصوم شهرين متتابعين وسكت بقية الفقهاء وبعد خروجهم من بلاط الخليفة قال اليحي : مالك لم تفته بالتخيير بين العتق والاطعام والصيام ؟ فقال : لو فتحنا له الباب لسهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبة وحملته على اصعب الامور لئلا يعود . توفي رحمه الله بقرطبة لثمان بقين من رجب سنة 234 ودفن بمقبرة بني عامر بظاهر قرطبة - ج 2 ص 285 من ابن خلكان ط بولاق

(7) مالك بن انس الاصبحي المدني يتصل نسبه الى حمير الاكبر والاصبحي نسبة الى ذي اصبح وهو الحارث بن عوف بن مالك واصبح قبيلة يمنية كبيرة تنسب اليها السيوف الاصبحية

اخذ مالك القراءة عرضا عن نافع بن ابي نعيم والعلم عن ربيعة الرأي وسمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر

ولد سنة 95 وقيل 90 وقيل 93 وقيل 94 بالمدينة المنورة وحمل به ثلاث سنين وتوفي لعشر مضين من شهر ربيع الاول سنة 179 وقيل 178 ودفن بالبقيع ، كان طويلا عظيم الهامة اصلع شديد البياض الى شقرة يلبس الثياب العدنية الرفيعة ويكره حلق الشارب ويعيبه ويرى ذلك مثلا ولا يغير شيبه

اليه انتهت رئاسة العلم فقها وحديثا وكان ينادي بالمدينة (الا لا يفتي الناس إلّا مالك وابن ابي ذئب) وقد روى عنه الاوزاعي ويحي بن سعيد وتخرج عليه ابن القاسم والشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني وسحنون ويحي بن يحي وابن وهب وعبد الله بن مسلمة القعنبي وقتيبة بن سعيد ومعن بن عيسى وابو حذافة السهمي ونجد الكثير ممن اخذ مالك عنهم يجيء اليه ويستفتيه ، وكان رضي الله

عنه بهتم بمجالس الحديث فيتوضأ ويجلس على صدر فراشه ويسرح لحيته ويتمكن من جلوسه بوقار وهيبة ثم يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد اجاب من يسأله عن ذلك فقال : احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا متمكنا على طهارة وكان يكره ان يحدث على الطريق وقائما اومستعجلا معللا ذلك برغبته في تفهم ما يحدث به عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه للرسول صلى الله عليه وسلم لا يركب في المدينة مع كبره وضعفه وقد اعترف محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة بكمال علمه بالقرآن والسنة واقوال الصحابة وتفوقه على ابي حنيفة وانفراد ابي حنيفة بالقياس قال الشافعي : والقياس لا يكون إلّا على هذه الاشياء فعلى اي شيء نقيس ، وكان مالك يشهد الصلوات الخمس والجمعة والجنائز بالمسجد ويعود المرضى ويقضي الحقوق ويجلس في المجلس وحوله اصحابه ثم ترك الجلوس في المسجد فيصلي وينصرف الى مجلسه وترك حضور الجنائز ولكنه يتوجه الى اهل الميت فيعزيهم ثم ترك ذلك كله وسئل عن ذلك فقال : ليس كل الناس يقدر ان يتكلم بعذره

وانتصب للتدريس وله من العمر سبعة عشر عاما ، وقد طلب منه ابوجعفر المنصور أن يوطيء للناس كتابا فشرع في تأليفه كتابا في الحديث اخذ اسمه من اشارة المنصور فسماه الموطا ومات المنصور قبل انتهائه من التاليف ويعتبر الموطا هو الاصل الاول واللباب والبخاري الاصل الثاني وبنى عليهما من اتي من اهل الصحاح الواردين بعد قال الشافعي : وهو اصح كتاب بعد كتاب الله وقد اراد الرشيد ان يعلق الموطا في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقال له مالك : لا تفعل ان اصحاب رسول الله اختلفوا وتفرقوا في البلدان وكل مصيب فقال الرشيد : وفقك الله يا ابا عبد الله وصرح المنصور لمالك بعزمه على الامر بانتساخ نسخ مما كتب والبعث بها الى الامصار للعمل بها دون غيرها فقال له : لا تفعل يا امير المؤمنين فقد سبقت للناس اقاويل وسمعوا باحاديث ورووا روايات واخذ كل قوم بما سبق لهم ودانوا فدع الناس وما اختار كل اهل بلد منهم لانفسهم

ويقول الدهلوي : ان الموطا عمدة المذهب المالكي والشافعي واحمد بن حنبل ومصباح مذهب ابي حنيفة وصاحبيه

وقد سعي بمالك بعضهم الى جعفر بن سليمان امير المدينة واتهمه بانه لايرى إيمان البيعة في شيء وقيل في امتناعه من القول بطلاق المكره فجرده الامير وضربه سبعين سوطا حتى انخلعت كتفه سنة 146 ولم يزده ذلك في نظر العموم إلّا رفعة وجلالة ومهابة وقد اقاد المنصور مالكا من جعفر وارسله اليه ليقتص منه فقال : اعوذ بالله والله ما ارتفع سوط عن جسمي إلّا وانا اجعله في حل من ذلك لقرابته من رسول الله ولما افاق من غشيته قال لاصحابه : اشهدكم اني قد جعلت ضاربي

في حل وكان حين ضربه يقول : اللهم اغفر لهم فانهم لا يعلمون

ودخل عليه في مرض موته تلميذه القعنبي فرآه يبكي فسأله عما يبكيه فقال له : يا ابن قعنب ومالي لا ابكي ومن أحق بالبكاء مني والله لوددت انى ضربت بكل مسالة افتيت فيها برأيي ماية سوط وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت اليه وليتني لم افت بالرأي

تآليفه :

رسالة في القدر والرد على القدرية ـ كتاب فى النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر ـ رسالة فى الاقضية عشرة اجزاء ـ رسالة الى ابى غسان محمد بن المطرف في الفتوى ـ رسالته الوعظية الى هارون الرشيد ـ كتاب في التفسير لغريب القرآن رواه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي وينسب اليه كتاب اليسر من رواية ابن القاسم عنه ـ رسالته الى الليث بن سعد في اجماع اهل المدينة

ونقل الخطيب ابو بكر عن ابي العباس السراج النيسابوري انه اشار الى كتب منضدة عنده كتبها قال : هذه سبعون الف مسالة لمالك مشيرا اليها

(8) فى نخ العبدلية ابن ابي صفرة

واما عمدة الاحكام فسنده فيها عن الشيخ الفقيه الصالح المقري ابي الحسن محمد بن احمد البطرني قال - ثنا - الشيخ الرحال ابو عبد الله محمد ابن جابر القيسي اجازة قال - ثنا - شمس الدين محمد بن ابي الفتح اجازة قال - ثنا - ابو العباس بن عبد الدائم المقدسي باجازة سماعا عن مؤلفها الشيخ الحافظ - 1 - عبد الغني بن علي بن سرور المقدسي رضي الله عنه

واما الاحكام الكبرى والصغرى للشيخ عبد الحق الامام فرواها رحمه الله عن الشيخ المقري الصالح ابي علي محمد بن الشيخ ابي العباس احمد البطرني قال - ثنا - والدي ابو العباس المذكور بالاجازة العامة قال - ثنا - القاضي ابو القاسم - 2 - بن البرا قال - ثنا - الشيخ ابو محمد - 3 - حوط الله قال - ثنا - الشيخ عبد الحق الاشبيلي رحمه الله

واما الشمائل للترمذي فحدث بها عن الشيخ الحافظ برهان الدين الشامي بجامع - 4 - الاقمر من القاهرة قراءة منه لبعضها عليه ثم سند - 5 - الى ابي عيسى في مسند طويل وله رحمه الله ونفع به رواية للكتب المتداولة الفقهية وغيرها بسندها الى اشياخها يطول جلبها وهذا ما - 6 - يتبقى لنا ذكره عنه رحمه الله تعالى والاكتفاء بمشيخته في زمنه يغني ذكرها عن جميع من عاصره لان المعاصرين له من اشياخنا واشياخهم اخذوا عنه وان شركه البعض في بعض اشياخه فكل الصيد في جوف الفرا وقد شهدوا ببلاغة حفظه وصحة روايته بلا شك ولا افتراء

ووجدت بالحضرة العلية لما قدمت عليه مشائخ جلة منهم من لم نره لاجل موته قبل قدومي بقريب ومنهم من رأيته ولم اخذ عنه فمن الاول الشيخ الامام العالم ابو عبد الله محمد - 7 - الابي مات بقرب القدوم على الحضرة والشيخ الامام ابو العباس - 8 - احمد المغيلي وهما شيخان عظيمان من كبار تلامذة الشيخ ابن عرفة رحمه الله واخذ عنه كثير من شيوخنا ممن اخذنا عنه وهو من تلامذة الشيخ المذكور

ومن الثاني الشيخ الامام القاضي قاضي الجماعة ابو يوسف يعقوب الزعبي (9) ومشائخه مشائخ الشيخ شيخ الشيوخ سيدي ابي القاسم البرزلي رحمه الله وشيخ الشيوخ اكبر سنا منه

---

(1) ابو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الجماعيلي الدمشقي المقدسي الحنبلي ولد بجماعيل من اعمال نابلس في ربيع

الثاني سنة 541 هجرية الموافقة لسنة 1146 ميلادية وتوفي سنة 600 هـ 1203 م محدث حافظ مشارك في بعض العلوم قدم دمشق صغيرا وسمع بها ثم رحل الى بغداد ثم الى مصر والاسكندرية ثم اصبهان وسمع بها ثم انتقل الى همذان والموصل من تآليفه عمدة الاحكام في ثلاث مجلدات عز نظيرها كما قال في الكشف وقد شرحه محمد ابن مرزوق المتوفي سنة 781 وكذلك شرحه كثيرون وله درر الاثر في تسعة اجزاء والمصباح في عيون الاحاديث الصحاح في 28 جزءا والصلات من الاحياء الى الاموات وغنية الحفاظ في شكل الالفاظ في مجلدين والدرة المضية في السيرة النبوية اهـ من البداية لابن كثير ج 3 ص 38 - 39 النجوم الزاهرة ج 6 - ص 185 - 186 شذرات الذهب لابن العماد ج 4 ص 345 - 336 - مرآة الجنان ج 3 ص 499 - 500 - ايضاح المكنون ج 2 ص 69 - 148 - 263 - 493 - حسن المحاضرة ج 1 ص 200 - بروكلمان في تاريخ الادب العربي ج 1 ص 356 - 357 - ملحق 1 ص 607 - 905

(2) ابو محمد بن عبد الرحمن الاشبيلي الازدي عمدة الرواة ورأس الحفاظ ولد في ربيع الاول سنة 510 ورحل الى بجاية بعد 550 والف تآليف مفيدة مثل الاحكام الكبرى والاحكام الصغرى وكتاب العاقبة في علم التذكير وكتاب التهجد واختصار الرشاطي وكتاب الحاوي في اللغة وقيل الواعي في خمسة عشر جزءا وقيل في خمسة وعشرين جزءا وله ديوان شعر في الزهد والجانب الالهي والمتداول من كتبه الثلاثة الاول وولي الخطابة بالجامع الاعظم ببجاية وباشر التوثيق والقضاء أمدا قليلا كان يميل الى الزهد وله صحبة بابي علي المسيلي وكانت له وصيفة تاتيه من داره لقضاء بعض حاجات المنزل فاذا طلب في شيء يخرج اليها مالا اضعاف ثمن ما يراد شرؤه واذا لاحظ له بعض اصحابه الزيادة يقول : لا اجمع على اهل المنزل ثلاثة شينات : شيخ واشبيلي وشحيح يكفي ثنتان وهذا من كرم خيمه وسماحة نفسه توفي ببجاية سنة 582 وقبره خارج المدينة مزار وجرت عادة الطلبة ان يقرؤا كتبه عند قبره اهـ - عنوان الدراية ص 20 شجرة النور 169 ج 1

(3) كنيته اسمد وهو ابن علي بن عبد العزيز التنوخي المهدوي ولد بالمهدية بحدود سنة 580 تخرج عن مشائخ المهدية ورحل الى الحج سنة 622 فسمع بالقاهرة وبالاسكندرية وبالحرمين الشريفين كما ذلك بفهرسته وتخرج عليه ابو عبد الله ابن الجبار واضرابه كان حافظا مشاركا في انواع العلوم من مفاخر تونس علما وصلاحا ولي قضاءها سنة 657 وعزل ثم ولي الافتاء وتولى التدريس في مسجد القصبة توفي سنة 677 - شجرة النور الزكية 191 - رحلة العياشي - تاريخ الدولتين للزركشي 26 - 33

(4) عبد الله بن سليمان بن داوود ابن حوط الله الانصاري ولد سنة 549 من علماء المغرب سمع منه تاج الدين بن حمويه السرخسي الحديث سنة 597 وشيئا من تصانيف المغاربة وولي قضاء غرناطة وادرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن

حميد المريسي النحوي وابا يزيد السهيلي صاحب الروض - نفـــح الطيب ج 2 ص 97 وقال في شجرة النور الزكية ' فقيه اصولي واديب شاعر درس ستين كتابا بين صغير وكبير له كتاب في تسمية شيوخ البخاري ومسلم وابي داوود والنسائي والترمذي لم يكمله وتوفي سنة 612

(5) بني سنة 519 في عهد الآمر باحكام الله الفاطمي وكانت به الدروس منذ عهد قديم في فقه الشافعي والنجوم وذلك اهم ما كان يدرس به - ج 5 ص 329 النجوم الزاهرة - خطط المقريزي ج 1 ص 75

(6) في نخ (ع) (سند ذلك الى) 7 - في نخ العبدلية وهـــذا بعض ما

(8) ابن خلف الوشتاتي من العلماء البـــارعين ذوي الفهم والتحقيق كان متفننا راوية نظارا تبرز في الفقه والاصول والحديث لازم ابن عرفة ملازمة دائمـــة وكان من اكابر اصحابه وقد اجاب ابن عرفة من ساله عن كثرة تحقيقه ليـــلا لاحضار دروسه بقوله : كيف انام واصبح بين اسدين ' الابي بفهمه وعقله والبرزلي بحفظه ونقله ' وتخرج عنه ابن ناجي وعمر القلشاني وعبد الرحمان الثعالبي له شــــرح جليل على مسلم سماه اكمال الاكمال يحتوي على نفيس التحقيق ونادر الفرائد وله شرح المدونة وتفسير وله المقاصد الحسان في معرفة ما يلزم الانسان وله نظم ولي قضاء الجزيرة القبلية سنة 808 وولي الامامة بجامع الهـــواء توفي سنة 828 - شجرة النور ص 244 ج 1

(9) في نخ العبدلية المعلقي بدل المغيلي

(10) ابو يوسف بن ابي القاسم التونسي من صدور اصحاب ابن عرفة وبد انتفاعه وعنه اخذ ابن ناجي واكثر من النقل عنه والثعالبي وابو القاسم القسنطيني وعبد الرحمان الغرياني ولي قضاء الانكحة سنة 802 ثم ولي قضاء الجماعة بتونس في ربيع الثاني سنة 813 - وتوفي 6 ذي الحجة سنة 833 - شجرة النور الزكية ج 1 ص 244 - ودفن بالجلاز

شيخ الشيوخ سيدي ابي القاسم البرزلي رحمه الله وشيخ الشيوخ اكبر سنا منه والشيخ العالم العلم الصالح الزاهد ابو العباس (1) احمد الشماع فهذان الشيخان رأيتهما وتبركت بهما ولم احضر مجالسهما وتوفي (2) عام اربعمائة وثلاثين وهما من سادة العلماء ومن كبارهم .

ولما قدمنا على الشيخ شيخ الشيوخ وقدمنا ما تجب بدايته ونسبته اليه شرعنا في تحصيل العربية والبيان والفرائض والحساب وعروض الشعر والفقه وعلم اصول الدين وعلم اصول الفقه وعلم المنطق وغير ذلك مما لا يستغنى عنه المشارك في العلوم ويتأكد تحصيله من الفهوم شرعنا في القراءة على المشائخ المشهورين بعلم من العلوم المذكورة فانه ينبغي في حق الطالب ان يأخذ العلم من اصله . وصاحب تحقيق العلم المشتهر به هو الاحق بالاخذ عنه لانه أقعد به لان رب الدابة أولى بمقدمها وصاحب الدار اولى بالامامة فيها وسمعت بعض مشائخنا يذكر في مثل ذلك مثلا عاميا ان الذ ما تاكل الهريسة (3) في حانوت السفاج وقد كان اهل الطلب والرواية يرحلون لمن اختص بالعلم (4) للقراءة عليه لانه أقعد بذلك (5) وقد كانت الاوائل من العلماء رحمهم الله كل عالم في علم لا يخلط معه غيره تحقيقا لاصول ذلك العلم وبيانا لاصطلاحهم (5)فأهل العربية قاصرون على علمهم في قراءته وتأليفه وروايته وبيان حقيقته واصطلاحه وكذلك اصحاب المنطق يقتصرون على طريقهم واصطلاحاتهم ولذلك كان بعض النحويين يقول : ولايعترض علينا بكلام اهل المنطق لان مغزاهم غير مغزانا واصطلاحهم غير اصطلاحنا وهذا صحيح لان من حقق موضوع العلمين علم تغايرهما وحقق مغايرة الفائدة والثمرة منهما وكذلك علم الاصول ولذلك ما باحث صاحب عام صاحب علوم في غالب اموره الا حجه صاحب العلم المنفرد به وادخال علم في

---

1) ابن محمد الهنتاتي التونسي من الشيوخ الصلحاء كان مشهورا بالتحقيق والفهم اولاه ابو فارس النظر على قضاة البلاد وعدولها وولي قضاء المحلة اخذ عن ابن عرفة وأخذ الثعالبي عنه والف ردا على البرزلي في العقوبة بالمال لان البرزلي كان يجيزها ورد عليه البرزلي ونقل صاحب المعيار جملة من فتاويه توفي سنة 833 كما قاله الزركشي وقال ابن دينار بعد تعرضه لحوادث سنة 839 انه توفي بها — شجرة النور الزكية 244

(2) في نخ العبدلية (وتوفيا) (3) الهريس طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم وفي النوادر الهريس الحب المدقوق بالمهراس قبل ان يطبخ فاذا طبخ فهو الهريسة بالهاء.

(4) في نخ العبدلية (بعلمه) (5) لانه اولى به واقرب

(6) يشير المؤلف بهذا الى فائدة الاخصاء في العلوم وتميز الباحث في احدها لان المنصرف اليه والمتخصص فيه يرى ان الخير في خدمته والتوفيـــر على بحثه سبب من اسباب الرقي العامي ومظهر من مظاهر الحضارة

وتوفر الباحث على علم من العلوم وتفوقه فيه الى ابعد حدود التفـــوق لا يقتضي عدم معرفته بغيره من العلوم بل ان التخصص في علم من العلوم لا يظهر إلّا بعد التعميم اذ المزاول للعلم بالمدارس توجب عليه البرامج تعلم العلوم اللازمة له في حياته ولا يخفى ان الدارس تميل نفسه لبعض العلوم فيميل مزاجه اليها . ويصرف همه للعناية بها اكثر من غيرها فيمهر فيها ويتعمق في مباحثها فيحصـــل التخصص وسر التخصص جمعه بعضهم في قوله :

(اقصد من اصناف العلم الى ما هو اشهى لنفسك واخف على قلبك فان نفاذك به على حسب شهوتك له وسهولته عليك) ويحكي لنا التاريخ كـــثيرا عن اولائك المتخصصين ، فابن السراج جمع بين النحو والفلسفة ولا علاقة بينهما وتخصص في النحو ومثله السيرافي من ايمة النحو وكان مرجعا للفـلاسفة فيما يشكل عليهم من غوامضها.

وهذا الصاحب ابن عباد وهو هو في علمه وادبه يستدعي الفـــارسي ليستفيد من علم النحو وكذلك نجد الرماني فيلسوف العراق غير مدافع مع انه من كبـــار النحويين والمتكلمين.

وقد قال ابو حاتم السجستاني : قدم علينا عامل من اهل الكوفة لم ار في عمال السلطان ابرع منه فدخلت عليه مسلما فقـال : يا سجستاني من علماؤكم بالبصرة قلت ، الزيادي اعلمنا بعلم الاصمعي والمـازني اعلمنا بعلم النحو وهــلال الرازي افقهنا والشاذكوني اعلمنا بالحديث وانا انسب الى علم القرآن وابن الكلبي اكتبنا للشروط ، فقال لكاتبه ، اذا كان غدا فاجمعهم لي ، فجمعنا فقال : ايكم المـازني فقال ابو عثمان : انا فقال : هل يجزي في كفارة الظهار عتق عبد اعـــور ـ فقــال المازني : انا صاحب عربية لست بصاحب فقه فقال : يا زياد كيف تكتب بين رجل وامراة خلعها زوجها على الثلث من صداقها فقال : ليس هذا من عامي هـذا من علم الشاذكوني فقال له : يا شاذكوني ، من قرأ الا إنهم يثنون صدورهم فقال : ليس هذا من عامي هذا من علم ابي حاتم فقال لي : يا ابا حاتم كيـف تكتب الى امير المومنين تصف فيه خصاصة اهل البصرة وما اصـابهم في الثمرة من الجـوائح وتسأل النظر لهم ـ فقلت : انا صاحب قرآن لست بصاحب بلاغة وكتابة فقال :

اقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلّا فنا واحدا حتى اذا سئل عن غيره لم يحز فيه . لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا لاجاب .

فالتخصص يتحقق لمن يوصف به اذا نظمت طريقة التعلم مع مساعدة البيئة على الانتفاع بثماره ، واوصى يحى بن خالد ابنه بقوله ، عليك بكل نوع من العلوم فخذ منه فان المرء عدو ما جهل وانا اكره ان تكون عدو شيء من العلم وانشد

تفنن وخذ من كل علم فانما   يفوق الفتى في كل فن له علم
فانت عدو للذي انت جاهل   به ولعلم انت تتقنه سلم

فالاخصاء يتوقف عليه نجاح العلم وارتقاؤه ومن ثم نجد الامم المرتقية من كثر فيها الاخصائيون في كل علم والتخصص لا يتم إلّا لمن شارك في علوم كثيرة ولو بحظ يسير لما للعلوم من ارتباط مع بعضها .

واكمل مثال للمتخصصين في عصور ازدهار العلم والادب والفلسفة والرياضيات الغزالي والماوردي والفخر الرازي وابن حزم وابو حاتم الرازي وابن حزم وابن القيم والنصير الطوسي وابن رشد والفارابي والبتاني والجاحظ وعبد اللطيف البغدادي والبيروني وابن الهيثم وابن سينا وابن تيمية .

وقد امتدت حركة النشاط العلمي ولاسيما العلوم الفلسفية واطرد التخصص في فروع العلوم واستمر الى نهاية القرن السادس ثم اخذ في التدلي لزهد الحكومات ودرن السياسة وبساطة العقول وهذه هي الاسباب القاضية بالركود للحركات العلمية واخماد العقول المفكرة واشتغلت النفوس بالبحث في الفروع الدينية واللغة .

وبمناسبة هذه الكلمة نذكر شخصية فذة في ميدان التخصص بل ان احاطتها بجميع العلوم حققت لها كمال التبريز في الاختصاص وهي شخصية كمال الدين ابن يونس المتوفى سنة 639 هجرية فقد تبحر في جميع العلوم والفنون مما لم يجمعه غيره في علوم الرياضة والخلاف والحديث واصول الدين والحكمة والمنطق والطبيعة والعلوم الالهية والطب وكتب اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وانواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابله والارتماطيقي والموسيقى والمساحة واستخرج في علم الاوفاق طرقا لم يهتد اليها احد وبحث العربية والصرف بحثا مستوفى والتفسير واسماء الرجال له اليد العليا فيه والتواريخ وايام العرب والاشعار والمحاضرات وكان يقرىء اهل الذمة التوراة والانجيل ويشرحهما شرحا يعترفون انفسهم انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله ولقوته في كل فن من هذه الفنون يظهر لسامعه كأنه لا يعرف سواه

ومثل كمال الدين هذا القاضي ابو الفرج النهرواني فقد قال ابو محمد الباجي اذا حضر القاضي ابو الفرج فقد حضرت العلوم كلها ولو وصى رجل بثلث ماله لاعلم الناس لوجب ان يدفع الى ابي الفرج .

ونقل ابن خلكان ان ابا الفرج حضر في دار بعض الرؤساء وبها جماعة من اهل الادب فقالوا : في اي علم من العلوم نتذاكر ؟ فقال ابو الفرج لذلك الرئيس : خزانتك قد جمعت كل العلوم واصناف الادب ، فان رأيت ان تبعث غلاما اليها تأمره ان يفتح بابها ويضرب بيده الى اي كتاب منها فيحمله ثم يفتحه وينظر في اي العلوم هو فنتذاكره ونتجارى فيه.

وهذا يدل على ان ابا الفرج كان له أنسة بسائر العلوم.

علم عندهم من باب التخليط فلا يدخل علم البيان في علم العربية ولا المنطق في علم الاصول والحكمة في الحساب لكن قالوا لما كثر فى كلام المتأخرين ادخال العلوم واستعمال الابحاث في المفهوم فتأكد في حق الطالب المشاركة في العلوم الضرورية التي يتوقف فهم الابحاث عليها كما يجب ذلك في ابحاث الشيخ الامام البركة ابن عرفة في مختصره وتواليفه واجوبة اسئلته والاصل فى ذلك كله خلوص النية واذا خلصت النية حصلت الثمرة ، وقد سمعت من الشيخ الامام ابي عبد الله محمد ابن عقاب - 1 - رحمه الله انه قال : رئيء بعض المشايخ في النوم بعد موته اظنه الشيخ البطرني فقيل له : يا سيدي هذه العلوم المعقولة هل ينتفع بها الانسان بعد موته ؟ قال ، نعم قال الراوي : قلت له : حتى الجزء التام وغير التام بالمنطق قال : حتى الجزء التام اذا حصلت النية وهذا لا يؤخذ دليلا مجرد لانه من المرائي ولكن ذلك يدل عليه أصول الشرع فى أصل النية والاخلاص فيها ولاشك ان المتاخرين قد دخلوا على الناس كثيرا من العلوم في كتبهم وابحاثهم سيما في تفسير كتاب الله تعالى فيحتاج الى تحقيق مواده وقد عددوا له اثني عشر علما يحتاج اليها كلها .

قال شيخنا الامام ابو عبد الله محمد بن عقاب : حضرت ذات يوم عند الشيخ الفقيه العالم القاضي قاضي الجماعة سيدي ابي مهدي عيسى الغبريني فوجدته يدرس بمجلس تدريسه يفسر قوله تعالى - فان كانتا اثنتين - الاية فذكر رحمه الله ما ذكره اهل العربية وما ذكره العلماء في الاية من الاشكال والجواب ثم اوردت عليه سؤالا جاريا على طريق المناطقة فراجعت الشيخ وراجعني واجاب وبحث فى الجواب ثم زجرني زجرا شديدا فسكت وكان ذلك في حياة شيخنا الامام الشيخ

(1) الجزامي العالم الحجة المحصل المحقق النافذ الناقد النظار ذو الفنون الصافية والتحقيقات البارعة هذا ما حلاه به فى نيل الابتهاج ص، 308 اسندت اليه الفتيا والخطابة بجامع التوفيق فى صفر 846 واسند اليه قضاء الجماعة وخطابة جامع القصبة والفتيا به فى اوائل 847 مع التدريس بمدرسة سوق الفلقة وفى 18 شوال 850 ولي الامامة والخطابة بجامع الزيتونة وفي ليلة الاثنين 17 جمادى 851 توفى بتونس بعد العشاء وصلى عليه بالزيتونة ودفن بجبل المرسى قريبا من ابي سعيد الباجي 246 شجرة النور - 37 - 35 - 36 - 43 - من تاريخ الدولتين للزركشي طبع بتونس

(2) فى نخ العبدلية (الرائي)

ابن عرفة اسكنه الله دار السلام وكان مجلس الشيخ في ذلك اليوم يوم بطالة وجرت عادة الطلبة أن ينظروا أحسن المجالس فيحضرون فيها فلما رجعت من مجلس الشيخ المذكور اجتمعت بشيخنا الامام فسلمت عليه فقال لي : يا عبد الله اين حضرت اليوم؟ فقلت له : عند تلميذك الشيخ القاضي سيدي عيسى فقال لي : اين وجدته يفسر؟ فقلت له كان عشرة (1) الاية المذكورة فقال لي : أي شيء ذكر وقال ؟ قلت له : قال : كذا وكذا فقال لي : وهل تكلمت معه ؟ قلت له : ذكرت له سؤالا فاجابني فراجعته وذكرت له الامر كما وقع قال لي : الصواب معك والفقيه عيسى كذا وذكر كلمة لولا ان الشيخ نطق بها ما انطق بها عن الشيخ الامام في الشيخ سيدي عيسى واللفظة قال فيها : الفقيه عيسى حسدك لصغر سنك ولم اتجاسر على الشيخ في البحث عن هذه اللفظة وعن السؤال في امرها لان الحسد معلوم ما فيه وكيف صح للشيخ رضي الله عنه ان يقول ذلك في الشيخ الصالح وكان يظهر لي في الجواب ان الحسد (2) المراد به الغبطة (3) كما ورد في الحديث لا حسد الا في اثنين والشارع حث على ذلك في الغبطة في العلم بلفظ حسد فذكر الشيخ رضي الله عنه في تلميذه تمام الغبطة حرصا منه على العلم فكأنه قال : غبطك في ذلك وطلب ان يكون مثلك وتحرجت نفسه على نفسه في تقصيره على فائدة حصلت لمن هو اصغر منه فان قيل - كيف يصح للشيخ رحمه الله ان يزدريه ولا ينصفه اذا ظهر له انصاف فلعل زجره لما رآه لم يؤد للشيخ حقه واكثر في اغلاظه عليه والله اعلم بذلك كله والذي يحقق في اعتقادي ان قلوب العلماء طاهرة مطهرة من وسواس (4) الشيطان (5) والزيغ (6) والحسد والبهتان (7) والله يوفق الجميع بمنه.

---

(1) كذا في نخ (ن) وفي (نخ) (ع) عشرة والصواب فيما يظهر كان عند الاية المذكورة

(2) تمني زوال حالة النعيم عن شخص

(3) تمني حصول حالة شخص دون زوالها عمن هي له

(4) اسم من وسوس له الشيطان حدثه بالشر

(5) روح خبيث متمرد لا يرى نعم يدرك بانه اقبح المخلوقات - ويطلق على كل عات متمرد من انس وجن او دابة قال جرير:

ايام يدعونني الشيطان من غزل   وهن يهوينني اذ كنت شيطانا

(6) الميل عن الحق

(7) الكذب والباطل الذي يحير

واول المشائخ الذين فتحنا عليهم الكتاب في قراءة علم العربية وعلم القراءة بالشاطبية والفرائض وعروض الشعر

اما الشاطبية الكبرى فقرأت كثيرا منها بشرحها للشارح الفاسي ففهمنا معاني رمزها واعربنا ذلك منها على الشيخ الفقيه الصالح الاعدل ابي عبد الله محمد بن ابي بكر رحمه الله تعالى ونفع به وكان ممن نزل الحضرة العلية واقام بها وتوفي بها وقدم للعدالة والامامة بالجامع الاعظم وقدمه للعدالة الشيخ الامام العالم العلم القاضي قاضي الجماعة الشيخ عيسى رحمه الله وكان يعظمه ويعتقده لما راى منه من ديانته ومعرفته وورعه ولما كلم سيدي عيسى السلطان الامام الملك الهمام المواوي المرتضى لايالة الاسلام ابا فارس عبد العزيز رحمه الله على تقديمه للعدالة قال الملك المذكور : لا اعرفه فقال سيدي عيسى رحمه الله : خموله يعد له ولا اعرف عليه الا ما يعرف الصائغ على الابريز الاحمر فقدمه وبقي ازيد من خمسين عاما عدلا وكان قد ورد على الحضرة العلية في حياة الشيخ الامام علم الاعلام ابن عرفة رحمه الله ورأى مشائخ المغرب وادرك مشائخ شيوخنا اخذ عنهم - أدرك الشيخ الفقيه النحوي المكودي (1) شارح الالفية والشيخ الامام الصالح الولي ابن عباد شارح الحكم والشيخ الفقيه الصالح سيدي عيسى بن علال فقيه فاس وعالمها وادرك من العلماء العبادسته بها واخذ عن علماء تلمسان وادرك بها الشيخ سيدي سعيد العقباني (2) وكان عالما بالعربية وبعروض الشعر والحساب وبالفرائض وقد اخذنا عنه وحضرنا مجلسه وقرأت عليه بلفظي كتاب ابن البنا (3) مرتين بشرحه وحضرت عليه الحوفي (4) في الفرائض سماعا مرارا وحضرت عليه الحصار (5) حتى ختم مرارا فقرأت عليه الاطرابلسي في الفرائض وقرأت عليه ابن بدر والياسمينة (6) في الجبر والمقابلة ولازمته سنين في هذه العلوم وكانت بين يديه مشائخ في هذه العلوم وقيدنا عنه على الحوفي مسائل في الوصايا بالنصيب وفي الاقرار

---

(1) عبد الرحمن ابن صالح المكودي الفاسي ولد سنة 726 من بيت علم وصلاح وفضل وكان اماما فقيها نحويا متفننا فاضلا عالما عاملا اخذ عن عبد الله المغيلي واخذ عند الحفيد ابن مرزوق وعبد الرحمن ابن عطية المديوني والكاواني وغيرهم وهو آخر من درس كتاب سيبويه له تآليف جيدة وهي المقصورة قالها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عاب على ابن دريد وحازم في ان مقصورتيهما

وكذلك قيدنا عنه خشبة الوادي في الحوفي وقيدت عنه مسألة مشكلة في الحصار وكذلك على ابن البنا فى الجدود كل ذلك املاء من صدره واجازنى في ذلك كله بلفظه وخطه واذن لي في التحدث عنه وعن اشياخه وأن اشياخه حدثوه بذلك عن اشياخهم واجازوه في الكتب المذكورة واكبر اشياخه الذين اخذ عنهم سيدي عيسى رحمه الله وكان ورعا كثير الصمت قايل الضحك ملازما للنظر فى الكتب طويل الفكرة كثير العبرة والكتب المقروءة عليه لا يحتاج الى نظرها بل يحفظ شرحها في صدره من القديم وتعاد الدولة عليه مرارا كما يقول للمبتدي يقول للمنتهي ولا يخل بشيء مما اقرأه اولا - وكنت ذات يوم اقرأ عليه ابن البنا وحضر معي جماعة فكنت ربما اسبق في العمل الحاضرين فيقول لي : يا ولدي اشياخنا الذين اخذنا عنهم يقولون عند اقرائهم لتلامذتهم : قال النبيء صلى الله عليه وسلم : سروا بسير الضعفاء وقرأت عليه الخزرجية من

في مدح اهل الدنيا وله شرح على منظومة ابن مالك في المقصور والممدود ورجز في التصريف وشرح الاجرومية وشرح الالفية وله نظم المعرب من الالفاظ الاعجمية واقرأ بمدرسة العطارين بفاس وبمدرسة الصهريج توفي سنة 807 والمشهور تخفيف الكاف والتشديد هو المناسب نسبة لبني مكود من قبائل هوارة مستقرين بين فاس وتازة واشتهر آل المكودي بالفقه والعدالة والكتابة والثروة ولهم زقاق يعرف بعقبة المكودي - شجرة النور الزكية 249

(2) ابو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني التوجيبي التلمساني ولد بتلمسان سنة 720 وتوفي سنة 811 والعقباني نسبة لقرية من قرى الاندلس تسمى عقبان كذا فى البستان وفى شجرة النور الزكية ، نسبة لعقاب اسم قرية ، وقد تحدر من هذا البيت اعلام اليهم انتهت رياسة العلم والتحقيق ، اخذ سعيد الاصول عن الابلي والفرائض عن الحافظ السطي وسمع ابني الامام وبهما تفقه وروى البخاري والمدونة عن السلطان ابي عنان المريني عن عز الدين ابن جماعة وغيره ووصفه ابن فرحون بانه فقيه في مذهب مالك متفنن في العلوم وكان يقال له : رئيس العلماء والعقلاء وتخرج عليه كثيرون مثل ولد قاسم وابي الفضل بن الامام والحفيد ابن مرزوق وابراهيم المصمودي وابي يحي الشريف واحمد بن زاغو واجاز المحقق النظار محمد بن عقاب وولي قضاء تلمسان وبجاية وسلا ومراكش ، ومكث في القضاء مدة تنيف على الاربعين حولا قال ابن صعد : هو خاتمة قضاة العدل وتميز فى التحرير والتحقيق فكان من ابدع ما الف شرح الحوفي الذي لم يؤلف مثله وتفسير سورة الفاتحة وسورة الانعام وسورة الفتح اتى فيهما بفوائد جليلة وشرح جمل الخونجي والتلخيص لابن البنا وقصيدة ابن الياسمين

في الجبر والمقابلة والعقيدة البرهانية في اصول الدين وشرح البردة وشرح المختصر الحاجبي في الاصول - البستان 106 - شجرة النور الزكية ج 1 ص 250 - الديباج المذهب 1124

(3) هو احمد بن محمد المراكشي الازدي من ابرز علماء الجبر والهندسة ولتبرزه في علم العدد عرف بالعددي وهو العلم الذي امتاز فيه والف في ذلك كتبا خالدة ولم تكن ولادته بغرناطة كما قال طرقان بل ولد بحومة قاعة ابن ناهض بمراكش في ذي الحجة سنة 654 في عائلة متواضعة يعمل والده بناءا وبعد حفظ القرآن اخذ العربية عن القاضي محمد بن علي الشريف وكذلك الهندسة وذاكره في كتاب الاركان لاقليدس وقرأ على العطار كتاب سيبويه ومقدمة الجزولي والعروض والفرائض على القاوسي والفقه عن ابى عمران الزناتي والمغيلي وابن حجاج والحديث على ابى عبد الله بن سعيد الانصاري ثم انتقل الى فاس واخذ عن التجيبي والفشتالي واخذ الهيئة والحساب والفلك عن ابن حجلة وابن مخلوف والطب على الحكيم المعروف بالمريخ.

ولم يصل الى درجته في الرياضة احد قبله غير ابن الياسمين وابى الحسن المراكشي وبلغ الى مثل ذلك في التنجيم وابرز تلاميذه ابو زيد ابن ابي الربيع اللجائي والابلي والبلفيقي وابنا الامام وابن النجار

كان ولوعا بفاخر اللباس ورفيع المآكل ومن عادته اذا مر بمكان إلّا ويسلم على من لقيه، محبوبا عند الناس والعلماء والصلحاء شديد الحرص على افادة العموم لا يتكلم بما يكون خارجا عن العلم وعندما يتكلم يسكت من بحضرته من العلماء محققا لكلامه، واوقاته يشغلها بالتدريس او التأليف وقد عرف بالفضل والعقل والنباهة

وفي سنة 699 هجرية خرج لصلاة الجمعة في يوم اغبرت سماؤه واشتدت عواصفه فاصابه يبس في دماغه وعكف بعد ذلك على التأليف فترك كتبا عديدة ذكرها الدكتور (رونو) بمقال نشره بمجلة معهد الدراسات المغربية وانها اثنين وثمانين تأليفا منها حاشية على الكشاف، والاقتضاب، والتقريب للطالب اللبيب في التوحيد، والكليات في المنطق، ورسالة في الرد على مسائل فقهية وفلكية، والكليات في العربية والروض المريع في صناعة البديع، ومقالة في عيوب الشعر، وقانون في الفرق بين الحكمة والشعر وتلخيص اعمال الحساب نقلسه المستشرق (ماري) (MARRÉ) ونشر في مجلة ايطالية سنة 1864 ميلادية وقد شرحه القلصادي ونقل الاستاذ (WOPKE) نبذا منه الى الفرنسية نشرها بالمجلة الاسيوية سنة 1863 م وأشاد بأهميته ابن خلدون وقد شرحه ابن البنا نفسه بشرح سماه رفع الحجاب، والاصل العربي غير مطبوع وتوجد منه نسخة بالمتحف البريطاني وبمكتبة الاسكوريال وبالقاهرة وبالجزائر وبالرباط

وله مقدمة في اقليدس وجزء في المساحات توجد منه نسخة بمكتبة برلين،

وله في الجبر الاصول والمقدمات وضعه لابي علي المليانى ، ومنهاج الطـالب في تعديل الكواكب بمكـتبات الجزائر واكسفورد والاسكوريال واد السيارة في تعديل الكواكب السيارة بالرباط والمتحف البريطاني . ورسالة في الانواء نشرها الاستـاذ رينو مع ترجمة فرنسية ومقدمة ضمن مجموعات مطبوعات معهد الدراسات المغربية سنة 1948 م وله تآليف في الفلاحة والفرائض وعلوم الكهانة.

ومن اهم تآليفه القيمة نظرا لما قدمه من تاريخ الافـكار الفلسفية الصوفية في آخر عصور الازدهار الفكري العربي . كتابه مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخلقية . قال صاحب نيل الابتهاج: لم يسبق بمثله وتوجـد منه ثلاث نسخ بالاسكوريال ونسخة بالرباط.

ولاحظ الاستاذ روط.ر. والبحاثة ابن ابي الشنب في دائرة المعـارف الاسلامية تفوقه على علماء الحساب العربي المشارقة خصوصا في الحساب في الكسور واليه يرجع الفضل في ترقية العلوم الرياضية في العهد المريني.

توفي رحمه الله بمراكش في سنة 721 وقيل 723 ودفن بالبرج الركني بها - جذوة المقتبس 74 - 75 - الدرر الكامنة ج 1 ص 279 - نيل الابتهـاج 66 الاستقصاء ج 2 ص 88

(4) ابو القاسم احمد بن محمد بن خلف فقيه حـافظ امام في الفرائض من بيت علم أخذ عن ابن العربي والسلفي وابي المظفر الطبري وروى عنه ابو سليمـان بن حوط الله واخوه ابو محمد له في الفرائض تعاليق كبير ووسط وصغير واليه انتهت الاجادة في ذلك الى الغاية توفي في شعبان سنة 588 هـ ولي قضاء اشبيليـة مرتين وعرف بالنزاهة والعدل وقد اشتد بأسه على اهل الفساد ولم يأخذ على القضاء اجرا ويعيش من كد يمينه بما يصيده من البحر مخصصا لذلك يوما من الاسبوع اه الديباج المذهب ص 53 - والحوفي بفتح الحاء المهملة نسبة الى حوف من قـرى عمان كما قاله البخاري في تاريخه.

(5) ابو الحسن علي بن محمـد بن محمـد بن ابراهيم بن موسـى الخزرجي الاشبيلي الاصل الفاسي المولد السبتي المستقر المعروف بالحصار حـلاه في شجرة النور الزكية بالفقيه العالم المحصل المتقن المؤلف المتقن . دخل الاندلس ومصر وحج وجاور بمكة وانتقل الى المدينة وبها كانت وفاته سنة 611 هـ وممن تخرج عليه ابو القاسم بن حبيش وحدث عنه ابو محمد المنذري سمع منه كتابه (الناسخ والمنسوخ) وله من الكتب اصول الفقه . والبيان في تنقيح البرهان . والعقيدة في اصول الدين وشرحها في اجزاء اربعة . والمدارك وهو كتاب وصل به مقطـوع حديث مالك في الموطا . وله ارجوزة في اصول الدين - جذوة الاقتباس - التكملة لابن الابار - شجرة النور الزكية .

(6) ارجوزة في الجبر والمقابلة لابي محمد عبد الله بن محمد بن حجـاج

عرف بابن الياسمين بربري الاصل من اهل مراكش له اتصال وثيق بسلطان المغرب ممن تميزوا في الحساب مع مشاركة تامة في غيره توفي ذبيحا بمنزله بمراكش سنة 601 هـ 1204 م وقيل في آخر سنة 600 وله ارجوزة اخرى في اعمال الجذور - جذوة الاقتباس - لسان الميزان ج 3 ص 313 - التكملة لابن الابار 686 - شجرة النور الزكية ج 1 ص 173

صدري بشرحها للشريف (1) وكان يحفظه ويذكر لفظه من صدره ويذكر شواهدها ويحفظ ابياتا زائدة على قوله وسمعت منه طرفا (2) وشعرا ونكتا يطول جلبها وقد حضرت ايضا الفرائض على الشيخ الفقيه الحيسوبي الفرضي ابي العباس احمد القطروالي المصري وكان اماما عالما بهذا الفن له منزلة علمية وقوة ملكة راسخة وله في علم الحساب تأليف يدل على قوته ومكانته وانه لا يجارى في زمنه واخذ رحمه الله عن مشائخ جلة من اهل المشرق ومازال يذكرهم واجازة اهل وقته ومن اشياخه بالحضرة العلية الشيخ الامام قاضي الاسلام عيسى رحمه الله وكان يعظمه ويعلم منزلته - ومن اشياخه الشيخ الفقيه العالم ابو العباس احمد المعلقي قرأ عليه كثيرا ولازمه في علومه واجازه في الحوفي وغيره على طريق المشائخ - ومن المشائخ الذين قرأت عليهم علم العربية الشيخ الامام ابو عبد الله محمد الرملي قرأت عليه الفية ابن مالك بلفظي وختمتها وكنت اقرأ عليه بعد العشاء الآخرة لكثرة ما كان عليه من الاشتغال في القراءة وغيرها وكان رجل من رجاله يوصلني الى داري نصف الليل وبعده وكان يحضر جماعة منهم الرجل الصالح ابو عبد الله (4) محمد المشتهر بابي المواهب بالديار المصرية وكان مشهورا هنا بالفقيه رغدان (5) وكان يقرأ عليه ايضا وقد الف لي الشيخ المذكور مقدمة في علم العربية برسمي لانه كان بيني وبينه نسب صاهرته وعقدت النكاح على ابنته وختمت عليه الالفية في زمن قريب وختمها ايضا غيري وحضرها عليه الفقيه ابو عبد الله محمد الهنتاتي رحمه الله ثم بعد ذلك حضرت على الشيخ المذكور علم اصول الفقه واصول الدين وعلم البيان وكان يقرأ عليه جماعة من خيار الطلبة في حياة الشيخ سيدي ابي القاسم البرزلي في المسجد الذي بازاء دار الشيخ وكان الشيخ المذكور شيخنا فصيحا مشاركا في العلوم له آداب واشعار ودراية بالعلوم العقلية وله يد في علم التفسير وقرأ عليه بعض اشياخنا الكبار منهم الشيخ الامام العالم شيخنا ابو حفص (6) عمر القلشاني رحمه الله قرأ عليه كثيرا في العربية وغيرها

---

(1) محمد بن احمد الشريف الحسيني السبتي ولد سنة 697 تميز بالتبحر في العلوم وتبرز في البلاغة نثرا وشعرا اخذ عن القاضي ابن رشيد وابن جابر وتخرج عليه ابناه واللسان ابن الخطيب وابن زمرك وابن خلدون - وهو اول من حل مشكلات الخزرجية وله شرح لمقصورة حازم أبدع فيه كل الابداع وله تقييد على التسهيل وآخر على درر السمط في خبر السبط ولي قضاء غرناطة وتوفي وهو قاض بها

سنة 760 أو 771 شجرة النور الزكية ج 1 ص 233

(2) ج طرفة بالضم : الملحة والحديث الجديد المستحسن.

(3) جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني المالكي الشافعي ولد بجيان الحرير قيل سنة 593 وقيل سنة 600 او في التي بعدها وتوفي بدمشق سنة 672 اخذ بجيان عن ثابت بن خيار وابي رزين الكلاعي واحمد بن نوار ورحل الى القاهرة ودمشق وتصدر لاقراء العربية بحلب وانصرف اهتمامه البالغ الى اللغة فبلغ في ذلك الغاية واربى على المتقدمين وذكر في حديث جرى بينه وبين من حضر عنده ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة قال الصفدي : وهذا امر معجز لانه يحتاج الى معرفة جميع ما في الكتابين وكان ابن خلكان وهو قاضي القضاة يشيع ابن مالك امام المدرسة العادلية الى بيته بعد الصلاة تعظيما له .

وقد كان في النحو والصرف بحرا لا يشق لجه وله اطلاع واسع جدا على اشعار العرب التي ياتي بها للاستشهاد وقد تحير الايمة الاعلام في امره وهو آية بالغة في الاطلاع على الحديث ودأبه في الكثير الاستشهاد بالقرآن فان لم يكن فيه شيء عدل الى الشعر ويجمع الى علمه الواسع الدين والعبادة مع صدق اللهجة وكمال العقل وحسن السمت وعكف مدة اقامته بدمشق على التأليف ودرس بالجامع وبالتربة العادلية وكان اسهل شيء لديه وايسره عليه الشعر على اختلاف انواعه والف كتاب الفوائد وكتاب المقاصد وخصهما في كتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد وله الموصل في نظم المفصل وحله هو وسماه سبك المنظوم وفك المختوم وله الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهي مختصر الشافية - واكمال الاعلام بمثلث الكلام في مجلد كبير كثير الفوائد ولامية الافعال وشرحها وفعل وافعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة اللافظ وعمدة الحافظ والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد في الظاء والضاد واعراب مشكل البخاري وتحفة المودود في المقصور والممدود وشرح التسهيل.

وكان كثير المطالعة سريع المراجعة لايكتب من محفوظه شيئا إلّا بعد مراجعته في محله ولا يرى إلّا وهو يصلي أو يتلو او يصنف او يدرس ومن اغرب ما روى عنه انه حفظ يوم موته ثمانية ابيات شواهد لقنه اياها ابنه

وتخرج عليه جمهور عظيم كالنوري والعلم الفارقي والشمس البعلي والزين المزي ومن احسن ما قيل في رثاء نحوي مرثية الشرف الحصيني فيه وهي قوله.

يا شتات الاسماء والافعال	بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط	منه في الانفصال والاتصال
مصدر للعلوم كان باذن الله	من غير شبهة ومحال
عدم النحو والتعطف والتو	كيد مستبدلا من الابدال
الـيم اعتراه اسكن منه	حركات كانت بغير اعتلال

يا لها سكتة لهمز قضاء   اورثت طول مدة الانفصال
رفعوه في نعشه فانتصبنا   نصب تمييز كيف سير الجبال
فخموه عند الصلاة بدل   واميلت اسواره للدلال
صرفوه يا عظم ما فعلوه   وهو عدل معرف بالجمال
ادغموه في الترب من غير مثل   سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الد   فن وقوفا ضرورة الامتثال
ومددنا الاكف نطلب قصرا   مسكنا للنزيل من ذي الجلال
آخر الآي من سبا الحظ منه   حظه جاء اول الانفال
يا بيان الاعراب يا جامع الا   راب يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان في النظم والنث   ر وفي نقل مسندات العوالي
كم علوم بثثتها في أناس   علموا ما بثت عند الزوال

والشيخ المذكور اخذ المشيخة عن الشيخ الامام علم الاعلام ابن عرفة رحمه الله وكان يذكر عنه دررا وفوائد كثيرة وكان الشيخ المذكور اول تدريسه بمسجد المشرف (1) وهناك حضرت عليه اول مجالسه من ميعاد الشتاء وقرأت عليه الرسالة ونقات عليها (2) واقمت معه سنين من عام ستة وثلاثين الى عام اربعين وكان اذا اراد المشي الى الميعاد يركب على بغلته ويامر خديمه ينبه علي ثم يجوز الى (3) داري وامشي معه مع ركابه في الطين على رجلي فلما رأى مني محبة العلم في صغري قال لي - ذات يوم وقد مررنا بسوق السفاجين (4) بالغداة فوجدناهم وقد تحركوا من نومهم فقال لي : يا ولدي كنت احضر عند الشيخ الامام شيخنا ابن عرفة وامشي الى المدرسة التوفيقية «5» من هذه الطريق وكنت اكثر السهر بالليل حتى كنت اذا جزت على هذه السوق وأراهم نائمين اتمنى ان انام ساعة كذلك يا ولدي ما ينال العلم الا بالجد والكد والسهر والتعب والنصب وحضرت على الشيخ المذكور دولا في الفقه ورواية البخاري مرارا وسمعت عليه قراءة البردة والشقراطسية «6» وحدثني عن اشياخ كثيرة واعظم الشيوخ عنده الشيخ الامام العالم العلم ابن عرفة رحمه الله وذكرانه اجازه ولما حصل لي بعض المشاركة في علم العربية وجلست مع جماعة من الاقران وتذاكرنا وجدت عندهم زوائد بحث «7» وغرائب نكت فسألت عن ذلك اشدهم مشاركة فدلني على الحضور عند الشيخ الفقيه الاعدل المشارك الافضل ابي العباس احمد «8» السلامي فحضرت عنده ورايت مجالسه في علم العربية وكان يجلس ثلاث مرات - يجلس بالغداة ويجلس عند آذان الظهر ويجلس بعد العصر «9» وكان يجلس دولا في العربية وناس فضلاء من خيار الطلاب وكان بالعشية يقرىء المقرب «10» وعلم التصريف وكان له حفظ واطلاع على علم العربية وقوة في تفسير كلام المرادي وحفظ لابن عصفور واستحضار لابن هشام وقيام بكلام ابي حيان في الارتشاف «11» وله قوة بالممتع بالتصريف وباللامية وله عليها شرح وله رجز رجز به ابن هشام وله في هذا العلم قدم عظيم بقي يقريه بتونس المحروسة بعد قدومه من المغرب ازيد من خمسين عاما واخذ عن مشائخ اعظمهم الشيخ الامام العالم العام سيدي

---

(1) المشهور بين العموم سيدي المشرف بكسر السين المهملة واسكان الياء وكسر الميم وسكون السين المعجمة وكسر الراء مع التخفيف يليها فاء معجمة

من اسفل وصواب التعبير ما ذكره الرصاع واصل التغيير جار على استعمال المغاربة ولهجتهم بتغيير كلمة مسجد الى مسيجيد ولثقل الجيم بعد السين اسقطوها فصارت مسيد وقد وردت هذه العبارة في الخلاصة النقية عند حديثه عن مآثر مصطفى باي ولكثرة الاستعمال حذفت الميم وابقيت الياء فصارت سيد بكسر السين وهذا المسجد للمجذوب الشيخ حسن مسكة وكان من الاولياء المتعبدين.

(2) كذا في نخ (ن) واما نخ (ع) فبياض في مكانها.

(3) في نخ (ع) على ' (4) صوابه السكاجين على ان لفظ السكاجين مصحف عن الشكازين جمع شكاز وهو صانع الاشكز وهو كالاديم الابيض تؤكد به السروج كما في القاموس وهذا السوق مجاور لسوق السراجين

(5) هي المسماة اليوم بمدرسة جامع الهواء من آثار الاميرة عطف زوجة ابي زكرياء بن عبد الواحد الحفصي بنيت سنة 650 واحدثت معها جامع التوفيق: جامع الهواء ' ونظمت بها دروسا وجعلت لاقامة ذلك اوقافا واسعة اه ملخصا من نفح الطيب ج 1 ص 427 طبع الازهرية

(3) محمد بن احمد بن محمد بن الحاج التونسي ثم القاهري ويعرف بابن زغدان بمعجمتين فمهملة اليزليتني صوفي خير كلامه مسموع وحديث قدره مرفوع امام الورعين علم الزاهدين وكنز العارفين ولد بتونس سنة 820 فحفظ القرآن وكتبا واخذ العربية عن الرملي والفقه عن البرزلي والمنطق عن الموصلي والاصلين والفقه عن الاخضري ثم قدم مصر فاخذ الحديث عن ابن حجر والتصوف عن يحيي ابن ابي الوفاء وصار آية في فهم كلام الصوفية وله اقتدار تام على التقرير وبلاغة في التعبير جميل الصورة والملبس والتعطر واغلب اوقاته مستغرق مع الله سكن درب الاتراك ' وكان بنو الوفاء لا يقيمون له وزنا حيث صار كلامه ينشد في الموالد والمساجد والزوايا ويطرب الناس لسماعه وهو مع ذلك في غاية الادب معهم رغم تعرضهم له واذا يتهم له وقد ادموا رأسه يوما فكان يبتسم ويقول ، انتم اسيادي وانا عبدكم ومن تآليفه مراتب الكمال في التصوف وشرح الحكم ولم يتمه وله فوائد الاشراق الى صوفية جميع الافاق ومواهب المعارف وتأليف في حل سماع العود

وكان شديد المناضلة عن ابن عربي والانتصار له ' ومن كلامه لاتصلح العزلة إلّا لمن تفقه في دينه توفي سنة 882 ودفن بمقبرة الشاذلية بالقرافة مع اصحاب ابي الحسن الشاذلي اه من طبقات المناوي قلم ص 321 من المكتبة الاحمدية رقم 5039 شذرات الذهب ج 8 ص 10

(4) في نخ العبدلية (رغدان)

(5) ابو حفص بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي الباجي الاصل نسبة الى قلشانة بالفتح ثم السكون وبشين معجمة وبعد الالف نون من قرى

باجة ولد سنة 773 واخذ عن والده وعن ابن عرفة والغبريني والابي وابن مرزوق الحفيد وغيرهم واخذ الطب عن الشريف الصقلي ، وتخرج عليه ابنه محمد وابراهيم الاخضري وحلولو والرصاع وابن زغدان وعبد المعطي بن خصيب وغيرهم ، اشتهر بالبحث والتحقيق في الفاظ ما يدرسه من الكتب افرادا وتركيبا مع سعة علم وقوة ادراك وجودة فهم ودقة نظر وإجادة في التحرير اله شرح الطوالع وصل فيه الى الالهيات في اكثر من مجلد وله شرح عظيم على المختصر الفرعي لابن الحاجب غاية في الحسن والاستفاء والتحقيق وقد اعتمده في النقل عليه المازري في فتاويه وكذلك الونشريسي.

ولي قضاء الانكحة ببلده كابيه ثم قضاء الجماعة بعد موت ابي القاسم القسنطيني وكذلك ولي الامامة والخطابة بالجامع الاعظم بتونس توفي بتونس في رمضان سنة 1347 ه ملخصا من الحلل السندسية ج 1 محول ص 110 خط - شجرة النور الزكية ج 1 ص 245 - الاعلاق النفيسة لابن رستة . معجم البلدان ج 4 ص 389

(6) ابو محمد عبد الله بن يحيي بن علي بن زكرياء التوزري الشقراطسي نسبة الى شقراطس قصر من قصور الروم قريب من قفصة توفي بتوزر لثمانية ايام خلت من ربيع الاول سنة 466 ونشأ بتوزر وتعلم بالقيروان وكان من النبغاء النابهين حج ورجع لتوزر وتوفي على الدرس وبث العلم والادب وتميز في العربية والحديث والفقه وكان عمدة في الفتوى ونبغ في الادب والف كتاب الاعلام في معجزات خير الانام والف في فضائل الصحابة وله تعليق على مسائل من المدونة وتخرج عليه جماعة من العلماء كابي الفضل النحوي وله قصيدة ابدع فيها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر الصحابة واعمالهم وفتوحهم وقد شرحها هو بشرح كما شرحها ابن الشباط بشروح ثلاثة بعد تخميسها - كشف الظنون 1339 - عنوان الاريب ج 1 ص 42 - شجرة النور الزكية ج 1 ص 117

(7) كذا في نخ (ع) وفي نخ (ن) ابحاث

(8) ابو العباس احمد السلاوي ثم التونسي المغربي المالكي تقدم في العربية والفقه وشارك في غيرها وانتفع به الفضلاء اخذ عنه عمر القلشاني كما اخذ عنه العربية الشهاب ابن حاتم المغربي ولقي ابن عرفة مات بالطاعون بتونس سنة 73 والسلاوي نسبة الى سلا: فرضة حصينة تقع على المحيط الاتلنتيكي عند مصب نهر بورغرب على الضفة الشمالية تجاه مدينة الرباط واكثر اهلها من الاندلسيين النازحين واهم صادراتها الصوف وكانت بها في عهد الموحدين دار صناعة عظيمة ه الضوء اللامع ج 2 ص 263

(9) كذا في (ن) وفي (ع) وكل مجلس فيه دول في العربية وناس فضلاء .

(10) لابن عصفور وهو ابو الحسن علي بن موسى الحضرمي الاشبيلي المشهور بابن عصفور ولد سنة 597 كان من اكبر ايمة النحو في عصره اخذ عن الشلوبيين

بالاندلس وقدم على تونس فقربه اليه ملكها الحفصي واتصـــل به اتصالا وثيقا واخذ عنه بها جماعة من الافاضل وله عدا المقرب الممتع في التصريف وكان محـل الثناء الكبير من ابي حيان لا يفارقه في حله وترحاله وهو من امثل المتوسطات قاما يخلو من مسائله كتاب من كتب النحو , اما كتابه المقرب فقد انتقـده جماعة من الاندلسيين وغيرهم كابن الصائغ وابن هشام الجزيري فقد كتب المنهج المعرب في الرد على المقرب قال المقري وفيه تخليط وكثير تعسف

وفي تعب من يحسد الشمس نورها   ويأمل أن يأتي لها بضـريب

كما انتقده ابن الحاج وحازم القرطاجني وسمي تأليفه شد الزيار على جحفلة الحمار وكذلك ابن موسى القابسي والبهاء ابن النحاس ، وسبب وفاته انه دخل على السلطان ذات يوم وهو جالس برياض ابي فهر في القبة التي على الجـابية الكبيرة , فقال السلطان متفخرا ، قد اصبح ملكنا عظيما فاجابه ابن عصفور بقـوله : بنا و بامثالنا فوجد المنتصر في نفسه ولما اراد ابن عصفور الخروج امر السلطان بعض رجاله بالقائه بثيابه في الجابية الكبيرة وكان البرد شديدا في ذلك اليوم واوصـــاه بان لا يتركه يصعد متظاهرا باللعب معه ووقع فعلا قذفه بها ومنع من الصعـــود مرة وبعد صعوده اصابه برد وحمى مدة ثلاثة ايام وقضى نحبه وذلك في سنة 669 ودفن بمقبرة ابن مهنا قرب جبانة ابن نفيس شرقي باب ينتجمي وهو الموجـــود الآن بسوق القماش اهـ ـ ملخصا من نزهة الانظار ج 1 ص 218 ـ شجرة النور الزكية ج 1 ص 197 ـ معجم المطبوعات لسركيس ص 1063 ـ كشف الظنون ص 1822 نفح الطيب

والملاحظ هنا ان ذكر المقرب هو ما ذكر في النخ (ن) اما نخ (ع) فيوجد بها بعد قوله يقري ، التسهيل والالفية بالمرادي والجمل للزجاجي وعند الظهر يقري كتاب المغني و بالغداة يقري المقـــرب

ولا شك أن هذه اوفى بالافادة من النسخة الاولى

(11) ارتشاف الضرب في لسان العرب في النحو في مجلدين لابي حيـان ذكر السيوطي في الطبقات انه لم يؤلف في العربية اعظم من هذين الكـــتابين ولا اجمع ولا احصى للخلاف والاقوال وعليها كان اعتماده في جمع الجوامع كما ذكر صاحب كشف الظنون ص 61 وقد تقدم الكلام على ابي حيان سابقا .

ابو عبد الله محمد ابن مرزوق وكان يحبه ويعظمه واجازه اجازة عامة وخاصة فيما حضره عليه وقد كان يجلس عن يساره ويجلس الشيخ سيدي عمر رحمه الله عن يمينه ولازمته حتى ختمت عليه المرادي بلفظي وحصل لي من علم العربية ما يكفي وهو من افضل الشيوخ واكثرهم تواضعا قرأ عليه كبار العلماء مثل الشيخ العالم سيدي ابي عبد الله محمد الواصلي (1) رحمه الله وحصل له منه عربية قوية وكان يشهد له بالمعرفة التامة في هذا العلم وكذلك ذكر الشيخ الفقيه الصالح سيدي ابراهيم الاخضري (2) انه حضر مجلسه مدة طويلة ويشهد له بالمعرفة ثم لما طال الامر في العربية تخوفت ان استحلي امرها ويكون ذالك مانعا من غيرها فتركت القراءة فيها وقرأت علم البيان وحضرت فيه على الشيخ الامام الفقيه العالم ابي القاسم الغرناطي وكان هذا العلم قليلا ظهوره وكان الشيخ من انداد (3) سيدي عمر رحمه الله وله مشاركة وحفظ ورواية على المشائخ فلازمته في علم البيان وغيره ثم قرأت علم المنطق وكان هذا العلم قليلا شيوخه وكان سيدي ابو عبد الله محمد بن عقاب يقريه الا اني لم احضر عنده وكان الشيخ سيدي عمر يقريه ولم احضر عنده فمازلت اطلب الله تعالى على شيخ أنقطع اليه فيه حتى قدم علينا عام ثلاثة واربعين او اثنتين واربعين رجل من المصامدة (4) قدم في ركب مع اهله وولده ونزل بالمسجد المشرف وسكن هناك فاشتهر عند الطلبة ان رجلا من المصامدة اسمه الشيخ الفقيه (5) ابو يوسف يعقوب المصمودي قدم من ارض المغرب وله مشاركة تامة لاسيما في علم المنطق وكان الشيخ الفقيه القاضي قاضي الجماعة شيخنا ابو القاسم القسنطيني (6) رحمه الله سمع به وبعث له لاقراء ولده الشيخ الفقيه القاضي ابي «7» العباس احمد رحمه الله فجعل له جعلا وكان يأتي للقراءة عليه ولا يحضر معه الا الفقيه الاجل الماهر النحوي ابو الطيب ابن الشيخ سيدي ابي عبد الله محمد بن ابي بكر فشق ذلك علي فكلمت الوالد رحمه الله فمازال بالشيخ سيدي يعقوب

(1) كان اماما في الفقه وصدرا في العلوم ومبرزا في القراءات اشتهر بالدين والصيانة اخذ عنه القلصادي واثنى عليه في رحلته حضر عليه سنة 851 - نيل الابتهاج 315

(2) في نخ (ن) الاخذري وفي نخ (ع) وكذلك بطرتها بخط العلامة

المحقق شيخنا سيدي البشير النيفر الاخضري وهو ابن محمد التونسي من اكبر علماء تونس ولي بها الافتاء وكانت له شهرة ذائعة اخذ عن الاخرين القلشانيين وقاسم العقباني والزعبي ولما بنى القائد نبيل ابو قطاية مدرسة قرب باب ينتجمي احد ابواب القصبة وتم بناؤها في ذي الحجة 850 عين بها مدرسا وقد استفاد منه الشيخ عبد الباسط بن خليـــل وأنس به وجلس بدروسه بين الظهر والعصـــر في الزيتونة وحصل منه على تحقيقات فائقة كما حكاه في رحلته المطبوعة بباريس بتحقيق الاستاذ م. روبار برنسفيك ، سنة 1936 وذكر عبد الباسط انه كان اماما وراسا في الفنون ولاسيما في الاصلين ومما حكاه عنه ان امرأة ولدت بضاحية من ضواحي تونس مولودا نصفه صفة آدمي ونصفه الاخر صفة حية وماتت اثر الولادة وبقـــي المولود حيا وتحققت حياته ثم مات وترك والده ولامه ولد آخر من غير ابيه فهل يرث الولد الغريب الشكل من امه ويزاحم الولد الاخر من غير ابيه وينتقل ميراثه لابيه ام لا ؟ فكثر الكلام في القضية وبعرضها على الاخضري افتـــى بالتفصيل الاتي : ان كان نصفه الاعلى بصفة حية فلا ميراث له وان كان نصفه الاسفل بصفة الحية والاعلى بصفة الادمي فله الميراث ووافقه على ذلك جمهور العلماء منهم قاضي الانكحة بتونس محمد الزنديوي ـ شجرة النور الزكية 259 ـ رحلة عبد الباسط ص 18 الضوء اللامع ج 1 ص 169

(3) جمع ند بكسر النون : النظير ومثله النديد

(4) قسم من اقسام الشعب البربري فالبربر ينقسمون الى برانس وبتـــر وملثمين ، فالبرانس ابناء برنس بن بر بن مازيغ وهم المصامدة وتتفرع الى حاحة رجراجة ، وريكة ، هزميرة ، جدميوة ، هنتيسة ، هزرجة ، دكالة ، هنتـــاتة ، بنـــو ماغـــوس ، وهناك قبـــائل لا تحصى كثرة وعـــددا وبلادهم غير منفصلـــة يقطنون بجبل (دارن) وما حوله وببلاد السوس وما يليها وقد ظهرت فيهم مشاهير وفرسان وكبراء وملوك قبل الاسلام وبعده وسموا بالبرانس للبسهم البرنس الاسود المشتمل على غطاء الرأس ، (الطربوشة) والبتر ابناء ماداغيس الابتـــر بن بر بن مازيغ وهم :

زواغة ـ زناتة ـ زواوة ـ نفزة ـ لواتة ـ مزاتة ـ نفوسة ـ مغيلة ـ مطماطة ـ مطغرة مديونة ـ صدينة.

ولكل منهم شعب وقبائل وبطون وافخاذ لا تحصى ينسب جميعهم الى جدهم الابتر وهو ماغوس ، والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهـــذا الاسم لانهم يتلثمون بلثام ازرق ومنهم طوائف التوارق ، ولمتة ، ولمتونة ، والتوات والملثمون من صنهاجة الصحراء الجنوبية من المغرب الاقصى هم غير المنتسبين للبرانس.

وهذا التقسيم منظور فيه الى نوع المـــلابس اذ كلهم يرجع الى مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح ولذلك ادلة صادقة يرجع اليها في مظانها.

والبربر ينظر الناس اليهم بعين محقرة ويحسبون ان اقليمهم أدون الاقاليم

وانهم اخسر الامم واجهلها وابعدها عن الفضائل وقد بلغ ببعضهم ان شبه الدنيا بطائر رأسه المشرق وجناحاه الشام واليمن وصدره العراق وذنبه المغرب ولكن الحكم المنصف وهو رجل مغربي يصادقه على ذلك ويعقب على قوله، صدقت والطائر الذي تعنيه طاووس لان احسن ما في الطاوس ذنبه مبعث الفخر والاعتزاز وقيمة الانسان ما يحسنه والمرؤ باصغريه قلبه ولسانه ان قال فبلسان وان ثبت فبجنان

والتاريخ يسفه ذلك الرأي الافن فمن البربر ظهر العلماء النوابغ مثل يحيى ابن يحيى المصمودي وعباس بن ناصح المصمودي ومنذر بن سعيد البلوطي الزهاصي وابن ابي زيد الفزاري ومحمد بن ياسين الرجراجي ومنذر بن عياش الاوربي وابن القطان الكتامي وعبد الله الجزولي وابو محمد صالح بن ينصارن الماجري وابن دراج القسطلي ومحمد بن دليم ومحمد بن خطاب، ولو لم يكن من البربر إلّا هؤلاء العلماء الاعلام لكفاهم فخرا وشرفا أضف الى ذلك ما نبغ منهم في الملك والامارة مثل المهدي ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي وزيري بن مناد الصنهاجي وخزرون بن فلفول الزناتي ويوسف بن تاشفين والاشراف من البربر يعرفون بالامازيغ اي الاحرار الارستقراطيون.

وهذا العنصر العظيم هو العنصر الاصلي عندما عرف التاريخ البلاد الافريقية ويرجع باصله منذ عهد سحيق جدا كما حققه ابن خلدون من القدماء والجنرال دوماس من المحدثين. الى آسيا من جهة ما بين النهرين وينتسبون الى نوح.

وقد اختلف العلماء في وجه التسمية بالبربر فقيل كما يقول به ابن خلدون من بربر الرجل اذا أكثر الكلام بلا منفعة ولا افادة ومن ثم قال افريقش عندما تعجب من رطانتهم وتنوعهم: ما اكثر بربرتكم فسموا بذلك.

وقيل ان الرومان كانوا يطلقون لفظ روماني على كل تبعتهم من اي طائفة ويطلقون كلمة البربر في القديم على من كان غير مثقف ولايحسن النطق باللاتينية سواء كان افريقيا او من الجرمان او الغال حتى انهم انفوا بعد استعمارهم لشمال افريقية من مخالطة السكان الاصليين (البربر) ومن معاملتهم كأفراد لهم الحق في الحياة فكانت لهم الخيبة والخسران المبين ورغم ذلك فقد حافظ اولئك السكان على لغتهم وعاداتهم واخلاقهم وكانت عواطفهم الوطنية تتقد في خفاء فقامت الثورات ضدهم واشتعلت نيرانها ولم تستقر قدم الرومان كما لم تستقر اقدام الوندال ثم الروم من بعدهم وقد علق ذلك الاسم « البربر » بسكان البلاد حتى دخل العرب فأبقوا اللفظ مصروفا الى السكان الاصليين.

وما ذكرناه من ان اصل البربر يرجع الى نوح دخل الى افريقية نازحا مما بين النهرين هو القول الفصل ولا التفات لما يدعيه بعض اعداء التاريخ من نزقة الفرنسيين ومن تقيل طريقهم من ان اصلهم من الغاليين قدامى سكان فرنسا نزح الى افريقية فتلك شنشنة سياسية عرفناها ممن ران على قلوبهم حب الاستعمار ففهم لا يفقهون اذ لا دليل عليها عند المحققين من علماء التاريخ بل ان غايتها ايهام

وجود فريقين متقابلين عرب ـ وبربر ـ ولكل عوائد وتقاليد ـ ونفسيات تخصه الف غيره لما وراء هذه التفرقة المزعومة من فوائد يستغلها المستعمر ويستثمر القاعدة الاساسية ـ (فرق تسد) وهي التي قامت عليها حركة التجنيس بتونس والظهير البربري بالمغرب الاقصى وسياسة الاندماج بالجزائر وقد خابت تلك المساعي التي اوحى بها الرأي الافن واصبحت مبعثا للهزء والسخرية من قوم لا يعقلون ـ اه ـ ملخصا من تاريخ البربر لابن خلدون وتاريخ الطبري ـ وبخب تاريخية من اخبار البربر ص 64 ـ 76 ـ طبع باريس والعرب والعروبة لدروزة ج 3 ص 317

(5) التلمساني نعته في شجرة النور الزكية بالشيخ الامام العلامة الفقيه المحقق الفهامة رئيس الصلحاء والزهاد والايمة العباد صاحب الكرامات المشهورة والديانة الماثورة الولي المجاب الدعوة ـ اخذ عن اعلام كموسى العبدوسي والابلي وابي عبد الله الشريف التلمساني وسعيد العقباني ـ واخذ عنه عدد عظيم عرف به تلميذه ابن مرزوق الحفيد في جزء خاص كما عرف به ابن صعد توفي رحمه الله سنة 805 اه من الشجرة ص 219 ـ ج 1

(6) ابو القاسم بن سالم الوشتاتي القسنطيني كنيته ابو الفضل نعته في نيل الابتهاج بالامام العالم العلامة مفتي الانام ورئيس الفقهاء الاعلام فريد دهره وحجة عصره جامع اشتات العلوم معقولها ومنقولها اخذ عن الغبريني والزغبي وتخرج عليه ابن ناجي ولي قضاء الجماعة بتونس والامامة بالزيتونة في رمضان عام 834 وكانت لا تأخذه في الله لومة لائم وقام في ايام قضائه على العلامة احمد ابن عمر القلشاني شارح الرسالة ورام قتله فلم يمكن منه لكنه عزر بالسجن وقد مات ابو القاسم مقتولا بمحراب جامع الزيتونة عند صلاة الصبح يوم الخميس تاسع صفر سنة 847 ـ ويقال ان ذلك من جهة حكمه اه ملخصا من نيل الابتهاج 222 ـ اخبار الدولتين للزركشي .

(7) ولي قضاء الانكحة والتدريس بالمدرسة المنتصرية في غرة شعبان سنة 858 ـ وتوفي يوم الاحد في الثاني عشر لشوال سنة 861 وعمره واحد واربعون عاما .

حتى اتى به لمسجد حرز الله واعطاه جعلا في الشهر اضعف الرجل وفقره وقصده للحج فلازمته في علم المنطق فختمت عليه الجمل بشرحه وقرأت عليه مقدمة ابن الحاجب بشرحها مرتين او ثلاثا وقرأت عليه اصول الفقه لابن الحاجب بعد ذلك وكان الرجل خيرا صالحا قليل الفضول «1» على طريق الورع مع قوة الحفظ والمشاركة وكان الشيخ الامام رضي الله عنه سيدي عمر رحمه الله يقرأ عليه الناس في تلك المدة بالعشي فيحضر عنده في قراءة ابن الحاجب الاصلي والعضد وقرأت الارشاد «2» وشرحه للمقترح «3» وقرأت البيضاوي بشرح الشيخ عليه «4» فينقضي النهار في اوله في قراءة الحساب والفرائض عند الشيخ ابي عبد الله محمد بن ابي بكر وفي وسطه على الشيخ سيدي يعقوب المصمودي وفي آخره على الشيخ سيدي عمر رحم الله الجميع وصير ذلك لوجهه الكريم نافعا في جنات النعيم. وكنت مع بعض الطلبة اذا حضرنا مجلس الشيخ سيدي عمر رحمه الله نحقر قراءتنا على الشيخ سيدي يعقوب لما نراه من قوة البحث من الشيخ وفصاحته وايراد الاسئلة والاجوبة والشيخ سيدى يعقوب يحل اللفظ بشرحه ويتعبد الالفاظ عن شيوخه بسكون وهدوء وورع في العبارة وفي النقل واذا تشكك يقول : لا تنقلوا عني هذا فذكرنا له طريق الشيخ سيدى عمر رحمه الله ذات يوم فقال : لابد ان نحضر عنده ونراه فحضر يوما فى اخريات الناس حتى فرغ المجلس فلما كان بالغداة «5» سألناه عن الشيخ وحاله فقال : اما انا فما ادركت المشائخ على هذه الحالة من كثرة الكلام واظهار الفصاحة والزيادة على القصد فى الفهم وقل ان يسلم الانسان مع الله في ذلك ولا ادركت مشائخي يستندون «6» الى حائط بل يستقبلون القبلة في المسجد وتجلس الطلبة معهم يمينا وشمالا ويقتصرون على اقل موضع في المسجد وانا لا اعود للحضور عنده لاني ما رأيت ذلك يخلص مع الله تعالى ، وقد شاهدت شيوخنا من المصامدة اهل الورع والحفظ والفقه والتحفظ في اعمالهم يتادبون بآداب العلم ولا يرفعون اصواتهم على اصحابهم فضلا عن شيوخهم ولايراجعون الشيخ الا تفهما لا اعتراضا عليه قال : وذكر لي بعض شيوخ المغاربة انه حضر مجلس الابلي في علم اقليدس «7» فحضر

(1) كذا نخ (ن) ونخ (ع) قليل الكلام قليل الفضول

(2) لامام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف

الجويني ضياء الدين وقد اشتهر بامام الحرمين ولد في 18 من شهر المحرم سنة 419 اخذ عن ابي القاسم الاسكافي وعن والده وكان يعجب بطبعه وتحصيله وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخائل الاقبال وقد اتى على مصنفات والده وتصرف فيها وزاد عليه بالتحقيق والتدقيق وسافر الى بغداد ولقي بها الكثير من العلماء ودخل الحجاز وجاور بمكة وبالمدينة وكان يفتي ويجمع طرق المذهب فلهذا قيل له امام الحرمين ورجع لنيسابور وبنى له الوزير نظام الملك بها المدرسة النظامية فتولى بها الخطابة والوعظ والتدريس والمناظرة وظهرت تصانيفه واجمع على امامته لغزارة علمه وتفننه في الاصول والفروع والادب وكان يذكر دروسا كل منها في اوراق كثيرة ولا يتلعثم وحضر دروسه اكابر العلماء واليه انتهت الرياسة العلمية وفوض اليه في امور الاوقاف ودام على ذلك ثلاثين سنة وكان اذا شرع في علوم الصوفية وشرح اقوالهم ابكى الحاضرين وصنف في كل فن كتبا قيمة وهي نهاية المطلب في دراية المذهب . والشامل في اصول الدين والبرهان في اصول الفقه . وتلخيص التقريب والارشاد . والعقيدة النظامية . ومدارك العقول لم يتمه . وتلخيص نهاية المطلب ولم يتمه . وغياث الامم في الامامة ومغيث الخلق في اختيار الاحق . وغنية المسترشدين في الخلاف .

ونقل ابن خلكان عن بعضهم ان والده كان في اول الامر ينسخ بالاجرة ومن كسبه منها اشترى جارية موصوفة بالخير والصلاح ولم يطعمها إلّا من كسب يده الى ان حملت بابي المعالي وبعد وضعه اوصاها ان لا تمكن احدا من ارضاعه واتفق انه دخل عليها يوما وهي متألمة وابو المعالي يبكي وقد اخذته إمرأة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منها قليلا فشق عليه ذلك ونكس رأسه ومسح على بطنه وادخل اصبعه في فيه حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول : سهل علي ان يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ويحكى ان ابا المعالي كان يلحقه بعض الاحيان فترة في مجلس المناظرة فيقول هذا من بقايا تلك الرضعة

وتوفي رحمه الله ليلة الاربعاء في الخامس والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة 478 ودفن بنيسابور من الغد في داره ونقل بعد سنين الى مقبرة الحسين بجنب والده وصلى عليه ولده ابو القاسم فاغلقت الاسواق يوم موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه واكثروا فيه المراثي ومما قيل في ذلك :

قلوب العالمين على المقالي	وايام الورى شبه الليالي
ايثمر غصن اهل العلم يوما	وقد مات الامام ابو المعالي

وكان تلامذته يومئذ قريبا من اربعمائة طالب فكسروا محابرهم واقلامهم واقاموا على ذلك عاما كاملا اه ـ ملخصا من وفيات الاعيان ج 1 ص 361 .

(3) المقترح في المصطلح في الجدل للشيخ ابي منصور محمد بن محمد البروي الشافعي المتوفي سنة 567 وشرحه تقي الدين ابو الفتح مظفر بن عبد

الله المصري المعروف بالمقترح لكونه حافظه فلا يقال له إلّا التقـي المقترح ٬ 1793 كشف الظنون.

« 4 » في نخ بشرحه الشيخ عليه.

« 5 » في نخ (ع) بالغدوة.

(6) بهذه المناسبة جدير بنا ان نذكر هنا الـامة مقتضبة في اماكن التـدريس والتعليم وهيئة المدرس وطرق التدريس لما في ذلك من الفائدة.

اما اماكنه فالكتاب والمسجد والمدرسة ، فالكتاب منه ما هو خاص ومنه ما هو عام فالاول لذوي البيوتات من ملوك وامراء ووزراء ، والثاني للعموم وتنحصر اهميته على حفظ القرآن وتعليم الخـط وتحسينه وتجويد القـرآن وتحفيظ اصول القراءات والرسم والحساب ورواية الشعر وشيء من الاخبار وقد اهتم به المسلمون واكثروا منه في المدينة الواحدة بل في القرية الواحدة وقد كان لابي القـاسم البلخي كتاب بلغ من الفسحة الى ان جمع ثلاثة آلاف طالب يحتاج لمراجعتهم ومراقبتهم الى ركوب حمار ليتم له ذلك.

ومعلم الكـتاب ينبغي له كما قاله التاج السبكي ان يكون صحيـح العقيدة ويتحقق من ذلـك قبل البحث عن دينه في الفروع ومن حـق معلم الصغار ان لا يعلمهم شيئا قبل القرآن ثم بعده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتكلم معهم في العقائد بل يدعهم الى ان يتأهلوا حق التاهل ثم ياخـذهم بعقيدة اهل السنة والجماعة وله تمكين الصبي المميز من كتابة القرآن في اللـوح وحمله وحمل المصحف وهو محدث.

واما المسجد فلم يكن محل عبادة فقط بل كان النـواة الاولى للمدرسة تلقن فيه القراءة والكتابة والعلوم الدينية واللغوية والعلوم المختلفة.

واول من حلق للتدريس بالمسجد حماد بن ابي سليمان وقد أخذ عنه ابو حنيفة ودعاهم الى اتخاذ المساجد اماكن للتعليم في الصدر الاول انه لم يكن هناك اماكن خاصة للتدريس فرأى الموفقون من العلماء ان العلم طريق للهداية والنور للوصول الى الحق الاقدس فجدير أن يكون ذلك في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فغدت المساجد مجامع لرواد العلم وانتظمت بين عراصها الحلقـات.

ورغم تاسيس مدارس للتدريس كالنظامية والصـلاحية والمستنصرية ودار العلم وبيت الحكمة فان الاهمية العظمى كانت لمساجد المدينة ومكة وبغداد ودمشق ونيسابور ومصر وقرطبة والقيروان وتونس.

وفي الحق ان اتخاذها مجامع للدرس والاستفادة له اصل يرجع اليه من الدين فمن المساجد نستمع الخطيب يوم الجمعة ومن خطبته نستمد المعرفة وسبل اليقين والنجاة وما ينفع في الحياتين والى المسجد يدعى الناس اذا حزبهم امر

فيسمعون الامير معلما ومرشدا وآمرا وناهيـــا من منبره وهذا سر عنــاية الولاة ببناء المساجد في الاماكن التي يفتحونها.

ومن اعظم واكمل المساجد التي نالت شهرة ذائعـــة وقامت بدور عظيم وبالغ في افريقية جامع الزيتونة فمنذ منتصف القرن الثـــاني للهجرة عرف هذا الجامع كمعهد للدرس والبحث والتفكير فقد درس به علي ابن زيـاد وابن اشرس وتوافد عليه رواد المعرفة وانتظمت به حلقات الدرس ثم اخذت تتسع الى ابعد آماد الاتساع فكان مجمعا عظيما لحفظة الفقه واساطين البحث في التفسير والحديث والاصلين والادب والرياضة والطب والحكمة وقد توارد على البلاط الحفصي رجالات الحركة العلمية والادبية من الاندلس والمغرب، وقد شجع الحفصيون طلاب العلم بما أقاموه لهم من مدارس للسكنى ومطـابخ للاكل كما اوقفوا عقارات وربـاعـــات للمدرسين والقراء والطلبة.

وطريقة جلوس الاستاذ التي جرت بها العـادة في المغرب وفي تونس أن يجلس الاستاذ امام احدى اسطوانات المسجد ويجلس الطلبة امامه في حلقة هو عقد نظامها.

ونجد في نيل الابتهاج والمعالم والمعيار ما يفيدنا أن طريقة جلوس الاستاذ كانت على دكان او كرسي يجلس على احدهما عند القـاء الدرس كما كان يفعله مالك وسحنون وعبد الواحد الونشريسي بل يحكي في المعالم ان القـاري كان يجلس على كرسي ليسمع من بعد من الناس.

ويوضح الونشريسي بيان هيئة الجلوس فيقول : قد كان من هـدي العلماء في قعودهم ان يجتمع أحدهم في قعوده وينصب ركبتيه ومنهم من كان يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه وكذلك كانت شمائل كل من تكلم في هذا العلم قبل ان تظهر الكراسي وكذلك روي عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء ويحتبي بيديه وفي خبر اخر كان يقعد على قدميه ويجعل مرفقيه على ركبتيه واول من قعد على الكرسي يحي ابن معاذ بالري وابو حمزة البغدادي فعاب الاشياخ ذلك عليهما ولم تكن سيرة العارفين الذين يتكلمون في علم المعرفة واليقين وانما كان جلوسهم الاحتباء وكان يجلس متربعا النحويون واهل اللغة وابناء الدنيا من العلماء المفتيين وهي جلسة المتكبرين.

واما المدرسة فقد كانت في العهد السابق اذا قارناها بالمسجد والكـــتاب بمنزلة المدرسة الثانوية ثم اذا توسع الاساتذة حسب مدارك الطلبة في تدريس المواد كانت مدارس عالية، والتعليم في جميع مراحله مجاني لجميع طبقات الامة.

ثم كانت الدراسة ذات قسمين، قسم داخلي للغرباء وهم الذين لا تساعدهم احوالهم المـادية على العيش على نفقات اوليائهم فهؤلاء يتناولون الطعام والنـوم والكتب بالمجان والقسم الثاني قسم خارجي لمن يرجع الى منزله.

وكان يجعل لكل مدرسة من يتولى التدريس فيها ويختار من خيرة العلماء
وقد كان التدريس في الصدر الاول بدون مقابل ولما اتسعت الحضارة واسس المحسنون المدارس واوقفوا عليها الاوقاف وجهوا اهتمامهم الى المدرسين واوقفوا عليهم كما اوقفوا على الطلبة بل ان منهم من اوقف على بغل الاستاذ
وقد كان لرجال التدريس شعار خاص ولازال مستعملا الى الآن بالنسبة لاصحاب الكراسي بالجامعات وقت الدرس أما في الشرق فقد كان لهم في عهد ابي يوسف عمامة سوداء وطيلسان يتميزون به عن غيرهم وابدل اللون بالاخضر في عهد الفاطميين مع كسوة مذهبة من ست قطع من بينها القلنسوة والطيلسان.
والجبة ظهرت كلباس خاص بالعلماء والمدرسين في عهد الامويين وكانت الملابس في الاندلس تختلف قليلا عن ملابس زملائهم في المشرق ويمتازون بالاندلس بصغر العمامة وفي بعض الاحيان لا يلبس العالم العمامة.
واما بتونس فقد كان لباس المدرس يتألف من جبة ذات دوائر بيمين الصدر وشماله يعبر عنها بالشمس بكسر الشين المعجمة مع التشديد وكسر الميم جمع شمسة تتكون من خيوط حريرية متشابكة في هيئة هندسية وفي وسطها شوابة صغيرة في شكل خيوط مدلاة من وسطها تنتهي الى دائرة الشمسة ويلبس معها برنسا ابيض وقد تكون في القليل النادر له شراريب ويعتم بعمامة بيضاء ان كان من غير رجال الافتاء وان كان مفتيا فيضع (ملوسة) وهذا بالنسبة للعهد التركي وما بعده فقط.

اما الحذاء فيختلف شكله باختلاف حالة المدرس فان كان مقتصرا على التدريس فقط فيكون حذاؤه بسيطا مما يلبسه امثاله من سكان البلد وان كانت له خطة شرعية كالافتاء فينتعل بالبشمق وهي كلمة تركية محرفة عن بشماق وهو حذاء يتخذ من جلد اصفر له نعل سميك يلبسه الفقهاء فاذا وصل الى الجامع نزعه واستعاض عنه بالريحية وهي حذاء رخو متخذ من جلد اصفر لين مخيط لا نعل له يوضع عادة بالجيب وهو من اوضاع العرب وكان مستعملا لدى اهل العلم في القرن الثامن وما بعده.

واما طرق التعليم فثلاثة :
الطريقة الحوارية وتنسب الى سقراط وتعتمد على المناقشة وتوليد الافكار في معرفة الحقيقة العامة وتثبيتها في الحياة والمراد بالتوليد استدراج التلميذ شيئا فشيئا الى الافكار الصحيحة بالحوار
وابتكار هذه الطريقة لانماء التفكير بالجدل وهذه الطريقة قليلة الاستعمال وقبل ذلك كانت المعلومات تنتقل الى التلميذ بطريق التقليد والممارسة والتدريب وكانت الطريقة المتبعة في التعليم تتلخص في القاء الدرس على التلاميذ ثم يطلب من احدهم اعادة فحواه بغير صيغته التي اوردها هو ثم يطالب غيره بذلك وهكذا حتى يتأكد من فهمهم لما قاله وكانت عنايتهم متوجهة الى تدريب التلاميذ بضبط

الالفاظ وتنظيم النفس وتكييف الصوت وسرعة الالقاء.

واما طريقة المحاضرات فهي قليلة الجدوى في المدارس الابتدائية وحتى الثانوية رغم سرعتها واقتصادها في الوقت لانها لا تمكن التلاميذ من الاعتماد على النفس في تحصيل المعلومات أضف الى ذلك ما تدخله على النفس من كلل وسآمة ، اه ـ ملخصا من معالم الايمان ج 1 ص 183 - ج 2 ص 157 شرح الابى على مسلم ج 3 ص 247 - النجوم الزاهرة ج 1 ص 284 - المعيار للونشريسي ج 2 ص 372 - مفيد النعم.

(7) اقليدس بن نوقطرس بن برنيفس بضم الهمزة وكسر الدال مركب يوناني من اقلي بمعنى المفتاح ودس بمعنى المقدار وقيل الهندسة اي مفتاح الهندسة قال ابن النديم : المظهر للهندسة المبرز فيها وذكر في كشف الظنون ان احد ملوك اليونان قد استعصى عليه حل كتاب في الهندسة وانه يوجد بمدينة صور رجل يسمى اقليدس تبرز في علمي الهندسة والحساب فطلبه الملك والتمس منه تركيب الكتاب وتهذيبه فاجابه الى ذلك فاشتهر الكتاب باسمه وصار حقيقة عرفية ثم نقله الحجاج ابن يوسف ابن مطر نقلين احدهما يعرف بالهاروني وهو الاول والثاني ويعرف بالمأمون وعليه المعول كما نقله اسحاق بن حنين واصلحه ثابت بن قرة ومنه نقل ابو عثمان الدمشقي مقالات وله المجسطي فسره وحل شكوكه ايرن وتولى جماعة شرح اقليدس كالتبريزي والكرابيسي والجوجزاني وغيرهم ، كما شرحه كثير من المتأخرين كالنظير الطوسي وحشى عليه الشريف الجرجاني وقاضي زادة الرومي واختصره ابن اللبودي الدمشقي محمد ابن عيدان وشرح الماهاني المقالة الخامسة منه وابو جعفر الخازن الخرساني كما شرح البعض منه ابو الوفاء وفسر المقالة العاشرة منه ابن راهوية الارجاني وفسرها ايضا ابو يوسف الرازي وجوده لابن العميد وحكى ابن النديم ما نقله الكندي في رسالته في اغراض كتاب اقليدس ، ان هذا الكتاب الفه رجل يقال له ابلينس النجار ورسمه خمسة عشر قولا فلما تقادم عهد هذا الكتاب وانهمل وتحرك بعض الملوك الاسكندرانيين لطلب علم الهندسة وكان على عهده اقليدس امره باصلاح هذا الكتاب لطلب علم الهندسة فنسب اليه ثم وجد بعد ذلك بسقلاوس تلميذ اقليدس مقالتين الرابعة عشر والخامسة عشر فاهداهما الى الملك وانضافت الى الكتاب وكل ذلك بالاسكندرية ، ومن تآليفه كتاب الظاهرات ، كتاب اختلاف المناظر ، كتاب المعطيات ، كتاب القسمة ، اصلاح ثابت كتاب القانون ، كتاب الثقل والخفة ، كتاب النغم ويعرف بالموسيقى منحول له ، وكتاب الفوائد منحول كتاب الترحيب منحول كتاب التحليل منحول.

عليه جماعة من الطلبة في المقالة الاولى فسألوه عن اشياء استشكلت (1) فيقول لهم الجواب بعد ذلك في المقالة بعدها ثم اتوا الى المقالة الثانية فسألوه عما اشكل فقال : الجواب بعد هذا الى ان ختم الكتاب ، فسالهم الشيخ عن الذي سألوه عنه فقالوا : ذهب الاشكال رضي الله عنكم فقال : ينبغي لطالب العلم ان لا يشتغل بما اشكل حتى يختم الكتاب لان اول الكتاب مرتبط باخره فاذا حقق اول العام واخره حصل فهمه واذا اشتغل بالاشكال وقف وكان مانعا له من الختم وختم الكتاب اصل من اصول العلم ومن لم يختم الكتاب في علم واقتصر على اوله لم يحصل له فهمه ولا يحل له ان يقرئه وكان شيخنا هذا له معرفة باقليدس واقام مدة طويلة بالحضرة العلية ثم ارتحل الى المشرق واقام بالشام مدة باهله وتوفي في حدود خمسين او ما يقاربه رحمه الله ونفع به اذا رايته تذكر الله من حسن تواضعه وادبه واستبشار وجهه للطالب ومحبته فيه وقد ذكر شيوخه وعدد منهم جماعة جلة وان منهم من اخذ عن الشيخ الا بلي رحمه الله في علوم (2) وقد ادخل للمغرب اثني عشر علما وقد حضرت اياما على الشيخ (3) في علم العربية قديم الهجرة له شرح على الالفية يقال له الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الله من المغاربة ونزل بالحضرة العلية وهو من تلامذة الشيخ سيدي عيسى رحمه الله له حفظ غزير في هذا العلم وليس له تصرف فيه مثل الشيخ الذي قرأنا عليه، وكان بالحضرة العلية شيخ يقال له الفقيه ابو عبد الله محمد الصور الجزيري من كبار العلماء (4) في هذا العلم وكان شيخنا ابو حفص عمر رحمه الله يحبه وكان يقرئ بمدرسته والف تأليفا شرحا على الالفيه ويجلس في بيته وترد عليه افواج من الطلبة في نهاره كله، وقدم الى الحضرة العلية رجل من الاندلس يقال له الفقيه الاجل النحوي ابو عبد الله محمد البلنسي له يد كبيرة فى علم العربية يقوم بكتب ابن ابي الربيع قياما عظيما ويذكر سيبويه وجلس للاقراء بمجلس القطانية ن (5) واقام

---

(1) في نخ (ع) اشكلت

(2) فى ن ن خ (ن) بياض وفى نخ (ع) علوم الابلي ولا معنى له ولعل الاصل في علوم كثيرة

(3) كذا فى نخ (ع) ولعله على شيخ فى العربية قديم الهجرة الى آخره

(4) في نخ (ع) العماد والصواب العلماء

(5) كذا بالاصلين ولعله بمدرسة القطانين كما يدل عليه الضمير فى قوله (من طلبتها)

واقام مدة وحضرنا مجالسه وكان يؤنس من طلبتها وخيارها وقد حاز قصب السبق في علم العربية اخونا الفقيه الاجل ابو الطيب ابن شيخنا ابي عبد الله محمد ابن ابي بكر توفي عام 48 وكان يحضر بمجلس الشيخ المذكور ويورد عليه اسئلة في علم العربية وفى التصريف ويوقف الشيخ ثم ان الشيخ يحتفل بالغداة وياتي باجوبة يذكرها فيبحث معه صاحبنا مرة اخرى ويراجعه ويوقفه ويذكر عنه انه قال: ما رأيت مثله في قوة عارضته وكان يذكر الارتشاف على ظاهر قلبه وكان شيخنا ولده (1) رحمه الله صنع طعاما لضيافة الشيخ الاندلسي المذكور وجمع اناسا من اهل العلم فيهم شيخنا ابو عبد الله محمد الزنديوي (2) والشيخ ابو العباس احمد السلاوي وعلماء وطلبة غيرهم فلما اجتمعوا وحضرنا معهم وجاءوا بكل فضلة وازداد بعض القوم من بعضهم علما وحصلوا فيه فهما وكان المبتدي بالسؤال الشيخ الفقيه الاندلسي قال لابد في هذا المجلس من الكلام في الفقه والعربية فاورد ثلاثة اسئلة فقهية وثلاثة اسئلة نحوية ، اما الفقه فكان له فيه يد عظيمة يذكر نص ابن رشد بلفظه في مواضع يستحضرها وله ملكة فيه فذكر مسائل ايضا فاجابه من حضر فقطعهم بالبحث على اصول القوم فقال الشيخ الفقيه شيخنا ابو عبد الله محمد الزنديوي لاخينا ابي الطيب رحمه الله وكان تلميذا له يا فقيه ابا الطيب تكلم فاني اعتقد انك ابو علي الفارسي فتكلم وبحث مع الشيخ ابحاثا وخرج الى مسائل نحوية ومازال معه مرة عليه ومرة له ثم لما فرغ البحث قام شيخنا ابو العباس احمد السلاوي فالقى على الشيخ في مسائل عربية في المرادي وفي ابي حيان منها في صرف سحر ومنها مسائل في الترخيم في تحاج ومنها مسائل في آخر الجمع ومنها في آخر التصريف فتعجب الشيخ الاندلسي من حضرة اهل تونس لما رأى من اهلها في علم العربية لان اهل الاندلس يعتقدون ان العربية قاصرة عليهم في زمنهم ولاشك انهم اقعد

---

(1) كذا فى نخ (ن) وفي نخ (ع) والده .

(2) ابن محمد بن عيسى العقدي التونسي نعته مخلوف بالعلامة المتقن الفهامة المحقق المتفنن كان من اصحاب ابن عرفة واخذ عنه احمد ابن يونس وفى اوائل جمادى الاولى 839 اسند اليه قضاء قسنطينة ثم صرف عنه بعد 17 سنة في جمادي الاولى 855 وفى اواخر هذا الشهر قدم فى جميع الخطط التي كانت

للغافقي وهي التدريس بمدرسة المعرض والخطابة والفتيا بجامع باب الجزيرة والقضاء بباجة ومما شغله الزنديوي التدريس بمدرسة صولة وفي اواسط جمادى الثانية سنة 856 اسند اليه قضاء المحلة وفي ليلة السبت اول ليلة من جمادى الثانية 857 صرف عنه وفي صبح ليلة 19 شعبان 863 سمي خطيبا ومفتيا بجامع التوفيق ومدرسا بالمدرسة الشماعية وفي 864 قدم لقضاء الانكحة وكانت وفاته في 5 جمادى الاولى 874 ودفن بجبل المرسى وقد عمر فالحق الاحفاد بالاجداد ومن تآليفه تفسير وشرح المختصر ورسالة في الفرائض وفتاوي نقلها صاحب المازونية وصاحب المعيار، ونقل السخاوي ان عمر الزنديوي زاد على المائة ومات بتونس 882 - 315 نيل الابتهاج - 259 شجرة النور - 118 - 119 - 120 - 128 - 129 - 131 - 135 - 136 - 143 - من تاريخ الدولتين للزركشي.

(3) ابو الوليد محمد ابن احمد ابن رشد الاندلسي القرطبي العالم الفيلسوف الطبيب المشهور احد احاد عصره ذكاء وعلما واجتهادا ولد سنة 514 وقيل 520 الموافقة لسنة 1120 أو سنة 1126 في بيت فقه وقضاء قديم ونشأ فيه على ادب ورياسة وعفة وصيانة ، دأب على الفقه والعربية وقرأ الطب ونبغ فيه ثم ارتاحت نفسه الى الحكمة فورد على معينها الفياض ابن باجة ولزم ابن العربي الى ان صار ابن بجدتها وابا عذرتها ، وكان اشغله على الدرس والمطالعة والبحث شاغل تشهد بذلك آثاره التي تركها وقد قال ابن الابار : انه سود في التآليف عشرة آلاف طبق ورقا ولم يصرف ليلة بلا درس او تصنيف إلّا ليلة عرسه وليلة وفاة ابيه وكان واسع العفو متلافا للمال للاصدقاء والاعداء ويقول في ذلك : اني اذا اعطيت العدو فقد تبعت احكام الفضيلة ولم يتعمد مدة قضائه الحكم بالموت على احد فقد كان كثير الرفق بالناس واذا دعت الحاجة الى ذلك يحوله عنه الى احد نوابه.

مال في صغره الى الشعر والحكم وقال في الغزل والحكم فاحرقها في شيخوخته وكان يقرىء العلم جهارا شان غير الفلاسفة واكثر تلامذته من اليهود والنصارى وقل من كان يقرأ عليه من المسلمين لرميه بضعف المعتقد وقد انتشر ذكره باروبا وكثر اشياعه فيها ولي قضاء اشبيلية ثم قرطبة فوفاه حقه وحضر لدى الموحدين بعد غلبتهم وكانوا يحبون العلم ويكرمون الصلة وقد جعله عبد المؤمن من خاصته مع ابقائه على القضاء وقد ولي قضاء المغرب مع قضاء الاندلس وهو ابن سبع وعشرين سنة اوثلاث وثلاثين وقد مال اليه ابن الطفيل وعرف السلطان يوسف بمكانته العلمية وكان السلطان محبا للعلماء وله رغبة في الوقوف على حكمة العلماء فطلب من ابن رشد ان يشرح تاليف ارسطو شرحا يجمع بين الاجازة والصراحة فاجابه الى ذلك وولي القضا باشبيلية عام 565 وكان لا يستقر به قرار لما تقضي عليه خدمته في الدولة بالتجول في المملكة الموحدية فتارة يكون بقرطبة وطورا باشبيلية ومرة بمراكش وآونة في غيرها.

وفي سنة 578 استدعاه يوسف بن عبد المؤمن الى مراكش وولاه مكان

طبيبه ابن الطفيل لوفاته واجزل له العطايا وأولاه قضاء قرطبة واستمرت منزلته كذلك لدى ابنه المنصور بالله وبعد ان شاخ الجأه الكبر الى التفرغ من المناصب فاعتزلها وعكف على الدرس والتاليف والافادة والاستفادة وتعاظمت منزلته الى الغاية فكثر حساده وسعوا به وبغيره من علماء الاندلس الى المنصور بالله واتهموهم بتفضيل فلسفة القدماء على الاسلام فجرده من وظائفه ونفاه الى (لوسنا) قرب قرطبة وامره ان لا يخرج منها وقد قيل ان سبب نكبته انه خاطب المنصور في مجلسه بقوله يا اخي فعظم ذلك عليه فنكبه وقيل انه نمى الى المنصور ان ابن رشد ذكر في شرحه لكتاب الحيوان انه راى زرافة عند ملك البربر يعني سلطان مراكش فساءت المنصور تلك التسمية وفي الحق انهما لا يقومان سببين على النكبة بل ان السبب ما اتهم به من الضلال في العقيدة وقيل ان اصله يهودي يظهر الاسلام ويكتم اليهودية وعمل على نشرها بمراكش وهذا ضعيف . وقيل ان المنصور نفاه كرها رغبة في ارضاء الفقهاء والعامة وانه نكب معه جماعة من الحكماء وقد عفا المنصور عنه وآنسه واعاده الى خدمته لما صار اليه حاله من المذلة والهوان شارطا عليه ان يدحض ما اتهم به من فساد الاعتقاد جهرة على باب المسجد ففعل وأقام بعد ذلك بمسكنه الى ان ثارت العامة ضد قاضي قرطبة لسوء سيرته فطلبوا خلعه وتولية ابن رشد مكانه فولاه السلطان ولا يستغرب أن يكون للسلطان يد في ذلك وبقي على القضاء الى ان نزل به القضاء في فاتح سنة 595 الموافق لسنة 1198 ودفن بمراكش ونقل الى قرطبة بعد ثلاثة اشهر ودفن بتربة آل بيته وشاهد ابن العربي نقل جسده .

تآليفه : التحصيل جمع فيه اختلاف اهل العلم من الصحابة والتابعين وتابع التابعين . المقدمات في الفقه . الكليات في الطب وترجم الى اللاتينية وطبع . شرح ارجوزة ابن سينا في الطب . كتاب الحيوان ـ جوامع كتب ارسطو في الطبيعيات والالهيات . كتاب الضروري في المنطق كتاب الالهيات لنقولاوس تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو وتلخيص . كتاب البرهان وله شرح كتاب السماء العلم وله . شرح كتاب النفس وله . تلخيص كتاب الاستقصاءات لجالينوس . تلخيص كتاب المجاز وتلخيص كتاب القوى الطبيعية . تلخيص كتاب العلل والاعراض . تلخيص كتاب الادوية المفردة ـ تلخيص كتاب حيلة البرء لجالينوس . مختصر المجسطي وترجم مختصره للعبرانية ـ التهافت رد به على تهافت الغزالي قال في آخره : (ان ما ذكره الغزالي بمعزل عن رتبة اليقين والبرهان ... ولا شك ان هذا الرجل اخطأ على الشريعة كما اخطأ على الحكمة) وله كتاب منهاج الادلة في علم الاحوال ـ وفصل المقال فيما بين الشريعة والطبيعة من الاتصال ـ وله تلخيص كتاب الحسن والقبيح في الكلام لمحمد الحسيني المشهور بالحكيمي ـ وتخص كتاب الكون والفساد لارسطو وله رحلة ـ وله غير ذلك من المقالات في القياس والعلم الالهي والهندسة والحكمة وقد اوصل الفلسفة العربية الى غاية بعيدة بحيث لم يترك

بكتاب سيبويه وشراحه وما ادركنا بتونس من يقرىء سيبويه بوجه من اشياخنا ولا يذكرون ذلك عن اشياخهم ومدونة العربية الكتاب المذكور ، ويقال: آخر من كان يقرأه بالحضرة الشيخ ابو العباس احمد القصار (1) شارح البردة وذكر شيخنا ابو عبد الله محمد الزنديوي انه كان يحضر الكتاب المذكور على الشيخ الفقيه ابي العباس احمد المدغري من تلامذة الشيخ ابن عرفة رحمه الله واول من حضرت عليه من المشايخ الميعاد الشتوي الشيخ العلم الفقيه ابو عبد الله محمد الرملي ثم حضرت بالمدرسة العثمانيه المولوية في ابتداء بنائها على الشيخ شيخنا الفقيه القاضي العالم العلم ابي عبد الله محمد الزنديوي وكنت صاهرته بعد موت ابنة الشيخ قبله وكان الشيخ رحمه الله قاضيا بالمحلة المظفرة في عسكرها فاقام شهورا ثم انتقل الى قضاء قسنطينة فاخذ المدرسة المذكورة الشيخ الفقيه القاضي ابو العباس احمد القلشاني واقمت معه مدة ثم انتقلت الى الشيخ الامام علم الاعلام سيدي محمد ابن عقاب الى المدرسة المنتصرية (2) باول مجلس جلس بها وكان مدرسا بالمدرسة

لغيره سبيلا الى الزيادة عليه ولعلماء اليهود فضل في حفظهم اكثر مؤلفاته لعنايتهم بها في اسبانيا وبروفنسا وترجمتها الى العبرانية .

(1) ابن محمد عبد الرحمان الازدي التونسي كان حيا بعد 790 اخذ عن الحفيد بن مرزوق والبسيلي تميز في النحو شرح البردة وشواهد المقرب وله حاشية على الكشاف والقصار بفتح القاف والصاد المشددة وبعد الالف راء مهملة نسبة الى قصارة الثياب واشتهر به جماعه ـ اما كتاب سيبويه فقال البغدادي : خرج الى الناس والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه اكيدة وما طعن احد من المتقدمين عليه ولتعظيم قدره كان المبرد يقول لمن اراد ان يقرأه عليه هل ركبت البحر؟

استصعابا بالالفاظ ومعانيه ولهذا سماه الناس (قرءان النحو)

(2) ابتدأ تاسيسها المنتصر الحفصي ومات قبل اتمامها سنة 839 واتمها اخوه عثمان سنة 841 جعل بها دروسا وأوقافا عظيمة كما اوقف عليها الشيخ عبد الملك القفال اراضي ومعدات حرث في سنة 1089 .

السيجومية المباركة (1) رحم الله من اسسها وصير البركة في عقبها (2) واقمت عند الشيخ المذكور ثلاثة عشر عاما أو ما قاربها ثم توفي الشيخ رحمه الله وقدم لموضعه شيخنا ابو العباس احمد القلشاني رحمه الله واقمت معه مدة تزيد على عشرة اعوام ثم انتقل الى المدرسة الشماعية (3) واقمت معه الى ان توفي رحمه الله ثم قدم لموضعه شيخنا الفقيه ابو عبد الله محمد الزنديوي فلا إله الا الله كيف تنقلب الاحوال بالرجال وهم غافلون عن الاهوال عجبا لمن أيقن بالموت كيف يضحك عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها الله يوقظنا من غفلتنا ولا يؤاخذنا على غرتنا .

دخل بعض المشائخ الصالحين على شيخه في مرضه فقال له: كيف انت؟ فقال له : حال من عاش غافلا ومرض غافلا ويقدم على الله غافلا أما ينتبه لقوله صلى الله عليه وسلم: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فمن أشياخنا رحمهم الله المقتدى بهم الشيخ الامام العلامة البركة الصالح القاضي قاضي الجماعة والمفتي بالحضرة العلية شيخنا وبركتنا ابوعبدالله محمد بن عقاب قدس الله روحه وبرد ضريحه وكان شيخنا اماما عالما مشاركا متفننا (4) في العلوم (5) وكتابا للرسوم دراكا للفهوم « 6 » صبارا شكار اقواما اماما ورعا خاشعا شعاله يد طائلة « 7 » في علم الفرائض والحساب عارفا بالاعمال فيها محققا لا صلها وفرعها عارفا بالاحكام والوثائق له فهم سابق واد راك فائق محقق لعلم المنطق والاصلين عارفا بالعربية والفقه والطب له فيه شرح على ابن سينا « 8 » وله مشاركة تامة في كل العلوم وقد اطلعت على خزانته رحمه الله بعد موته فما رايت كتابا فيها في غالب امرها الا وعليه كتب بطرته فيه فائدة حتى في علم النجامة « 9 » وفي علم التصوف « 10 » وقد لازمته رحمه الله واول ماوجدته يفسر كتاب الله تعالى في اول يوم جلس في سورة ابراهيم وكان له جمع عظيم حضر فيه الشيخ الامام ابوالفضل « 11 » المغيلي والشيخ الامام ابو اسحاق ابراهيم الاخضري والشيخ الفقية الغرناطي وجماعة عظيمة من اهل العلم ففسر الشيخ رحمه الله تعالى وذكر كلام العلماء ونزله على

---

(1) بناها ابوعبد الله محمد ابن ابي فارس الحفصي وقد مات وهو ولي للعهد لابيه عرف بالفضل والدين والخير وانشأ معها الزاوية التي بسيجوم وأقام بها

جامعا للخطبة وسماطا للمقيمين بها والواردين عليها توفي المؤسس سنـــة 832 ودفن بالتربة القريبة من ضريح سيدي محرز ابن خلف وبالـــزاوية المذكورة ضريح الشيخ حسن بن عطية بن ابراهيم بن عبد الله السيجومي احد تلامذة ابي الحسن الشاذلي قيل انه بقي ببطن امه تسعة اعوام وسبعة اشهر وثلاثة ايـام وتوفي اوائل ربيع الاول عند طلوع الفجر سنة 681 ومدافن آله بشرق المـركاض ولهم مشاهد من الرخام ذكر احمد القصار انه كان يعرفه وهو شاب صالح منذ صغره الى كبـره ما رآه قط يلعب مع صبي أو غيره وكان مولعا بالمساجد وطلب العلم بعد قراءة القرآن كثير التواضع للناس لا ينطق الا بالحق والصدق ولا تأخذه في الله لومة لائم وقـال في حقه الشيخ عطية الرادسي: انه كان دينـا تقيا زاهدا متواضعا حليما ورعا لاسبابـا ولا حسودا ولا جافيا ولا باغيا ولا فضولا غليظا ولا متكبرا ولا ظالما ولا شتاما ولا نماما ولا لعانا لخلق الله واقفا عند آيات الله وتابعا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الشيخ ابراهيم المسلاتي: لسيدي حسين كلام في النظام عزيز يحتاج الى العقل الرجيح يفتت القلوب وكان مجاب الدعوة ، وقال الشيخ سيدي سفيان: كان في صغره يصوم الصوم الكثير ويقوم الليل عاش خمسا وستين سنة مارأيته قط ياكل فيها بنهار ولا ينـام بليل وكان يقـول: المحب اذا نـام عن محبوبه فقد كـذب في حبه ومن احب مولاه نصب في محبته الاقدام وحرم على نفسه المنام وكان يجلس بمسجد الصفصافة ويقضي حاجة الفقير ويحب المساكين وكان يفيد في اتباعه علم الديانات كما قاله الشيخ احمد الشريف الغرناطي احد تلامذته وقال الشيخ سالم العرشي: كان السيجومي شيخ الفوائد بكتـاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وطريق القوم ، وزاويته كانت عامرة بقراءة القرءان واطعام الطعام وتوجد ادعية الشيخ السيجومي بآخر مناقبه بالاحمدية رقم 3875 وابن دينار 138 (2) كذاب بنسخـة (ع) والصواب في عقبه

(3) اسسها ابو زكريـاء ابن عبد الواحد بن ابي حفص سنـــة 633 وسميت بذلك لوقوعها بسوق الشمـاعين المسمى في العهد المـــرادي بســوق السبابطين والمعروف اليوم بسوق البلاغجية وهي اعرق المدارس المعـــدة لسكـنى الطلبـــة ولالقاء الدروس بها ممن يتولى النظر فيها مثل ابن عرفة والبرزلي والابي وكان لطلبتها جراية ولمدرسها مرتب شهري قدره عشرة دنانير جعلها له ابو العبـــاس الغرناطي (4) منفهما (5) موثق ومحرر للعقود (6) شديد الصبر (7) له قدرة وتوسع فيه (8) ابو علي الحسين بن عبد الله البخاري الحكيم الطبيب ارسطو الاسلام وابقـــراطه نادرة العصر في الذكاء والفطنة والعلم تفرد بالقوى العقلية من الكتاب المجيدين له ضلع في الادب ولد في صفر سنة 370 فحذق القرءان وكثيرا من الادب وعمره عشرة اعوام ثم اخذ الفقه والمنطق وقرأ كتاب اقليدس من اوله الى خمسة اشكال او ستة على استاذه ثم تولى حل باقيه بنفسه وانتقل الى المجسطي فتطلع من دقائق المنطق

والهندسة والطبيعيات والالهيات ، والطب ونبغ فيه فصار المرجع للاطباء يأخذون عنه وهو حدث السن والى ذلك يباحث في الفقه ويناظر فيه وعمره ستة عشر عاما ثم انقطع الى دراسة الفلسفة وحل مشاكلها وكان ولوعا بالاشتغال بالليل وحكى انه لازم العلم سنة ونصفا لم ينم ليلة واحدة بطولها ولا اشتغل في النهار بغيره وكلما اشكل عليه حل يتردد الى الجامع ويسأل الله فتح المغلق فيتيسر له ذلك وكان اذا غلبه النوم أو شعر بضعف شرب قدحا من الشراب حتى تعود له قوته فيرجع الى الى القراءة فاذا غلبه النوم حلم بالمسائل التي كان يعالجها وكثيرا منها يتضح له مناما وبعد تفوقه في ذلك عدل الى الالهيات الى ان صار عديم القرين فيها ولما مرض نوح ابن منصور سلطان بخارى احضره فعالجه فبرأ فاستأذنه في دخول مكتبته فاذن له وكانت عديمة النظير فعثر على كتب لم تقع للكثير من العلماء اسماؤها فتفرد بما استفاده وقيل انه احرقها ليكون الوحيد في معرفتها وينسب ما عثر عليه فيها لنفسه ومثل هذا ينسب الى سقراط وكتب المجلدات المتعة في الطبيعيات والرياضيات والالهيات والطب منها كتابه (المجموع) احتوى على جميع العلوم إلّا الرياضيات والفه وعمره احدى وعشرون عاما ثم صنف كتاب الحاصل والمحصول وكتاب البرء والاثم وبعد وفاة والده تقلد شيئا من اعمال السلطان وعمره 22 سنة ثم انتقل الى جهات عدة مثل كركانج ونساء وابيورد وطوس وجاجرم وجرجان ودهستان ثم رجع لجرجان والف بها الكتاب المعروف بالاوسط الجرجاني وهناك اتصل بابي محمد الشيرازي وكان محبا للعلوم فاشترى له دارا ففتحها للطلبة وصنف له كتاب المبتدأ والميعاد وكتاب الارصاد الكلية ثم تحول الى مدينة الري وداوى صاحبها ثم خرج الى قزوين ثم همذان واتصل بشمس الدولة وصار من ندمائه وتقلد الوزارة ثم وقع له تشويش من الجند فكبسوا منزله وسالوا الامير قتله فامتنع وارضاهم بنفيه فتوارى اربعين يوما وعاود المرض شمس الدولة فاعتذر اليه فداواه واعاده الى الوزارة

وسئل شرح كتاب ارسطا طليس فتعلل عنه بعدم الفراغ وقال للطالب ان رضيت مني بتصنيف اورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة ولا رد ، فعلت فرضي الراغب فبدأ بالطبيعيات من كتاب الشفاء وكان يكتب كل يوم خمسين ورقة منه وكان طلبة العلم يجتمعون كل ليلة بمنزله للدرس والبحث وبعد الفراغ يحضر المغنين بمجلس الشراب فيشتغل به.

جلس يوما لدى علاء الدين وجرى حديث في مسالة لغوية بمحضر ابي منصور الجبائي فتكلم فيها ابن سينا بما حضره فقال له الجبائي انك حكيم وفيلسوف ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها . فاستنكف منه وتوفر على درسها ثلاث سنين واستهدى كتاب التهذيب للازهري من خراسان فبلغ في الاجادة فيها

الى منزلة قلما تتفق لغيره وانشأ قصائد ثلاث ضمنها غـريب اللغة وكتب ثلاثة كتب احدها على طريقة الصابي والثاني على طريقة ابن العميد والثـالث على طريقة الصاحب وجلدت بجلد خلق ثم عمد الامير علاء الدين بعرضها على الجبائي ذاكرا بانه ظفر بهذه المجلدة في الصحراء في اثناء صيد وطلب منه الاطـلاع عليها والابانة عما فيها فنظر فيها واشكل عليه حالها فقال له ابن سينا ان ما جهلته مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيرا من اسمائها وكان الجبائي مجازفا فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها فعلم ان الرسائل المذكورة من تصنيف ابن سينـا وان الباعث له على هذا العمل ما جبهه به فتنصل واعتذر ثم صنف ابن سينا كتابا في اللغة سماه لسان العرب وقد قيل انه لم يصنف في اللغة مثله وتركه مسودة حتى توفي ولم يهتد احد الى ترتيبه ونكب بالسجن مدة اربعة اشهر فالف فيها كتـاب الهداية وكتاب القولنج وشيئا من القانون وكان قوي القوى وطـالما تغلبت عليه قواه الشهوانية فيخضع لها واثر ذلك بمزاجه فاصيب بالقـولنج وتقـرحت امعاؤه فعالج نفسه وامر الطبيب بجعل دانقين من بزر الكرفس ضمن ما يحتقن به فوضع خمسة دراهم فازداد الم ويقال ان بعض غلمانه وضع له فيه كثيرا من الافيـون لانهم سرقوا منه اموالا كثيرة فتمنوا هلاكه ثم عالج نفسه واستطاع النهوض ولما وصل همذان عاوده المرض وعلم ان قوته سقطت اهمل مداواة نفسه وقال : ان المـدبر الذي كان يدبرني في بدني عجز عن التدبير فلا تنفع المعالجة ومات بعد ايام وعمره سبعـة وخمسون عاما وكانت وفاته في رمضان سنة 428 وقبره تحت سور همـذان وقيل انه نقل الى اصبهان ، وترك من التاليف مائة ونيفا واكثرها محفوظ وترجم كتـابه المسمى بالقانون الى اكثر اللغات الاوربية في اربعة عشر جزءا كان المعمول عليه مدة ستة قرون وله كتاب الشفاء في 18 جزءا يوجد بمكتبة اكسفورد وشرحه لكتاب سماه اللواحق وكتاب النجاة في 3 مجلدات وكتاب الارصاد الكلية في مجلـد وكتاب الهداية وكتاب الارشادات وكتاب العلائي وكتاب القولنج وكتـاب لسان العرب في اللغة في عشر مجلدات والادوية القلبية والموجز الصغير والحكمة المشرقية وهو مفقود وكتاب بيان ذوات الجهة وكتاب المعاد وكتاب فصول الهيئة في اثبات الاول وكتاب الملح في النجوم والموجز الكبير في المنطق والتـدارك لانواع خطـا التدبير ومعتصم الشعراء في العروض والحكمة الشرعية في الالهيات وتدبير الجنـد والممالك في الارزاق والخراج والمدخل الى صنـاعة الموسيقى وعيون الحكمة ومفـاتيح الخزائن في المنطق ورسالة في القضاء والقدر ورسالة في الآلة الرصدية ورسالة في عرض قاطيغورياس ومقالة في النفس ومقالة في ابطال احكام النجوم واخـرى في الكيمياء ومقالة في الارثماطيقي واخرى في تعقب المواضيع الجدلية ورجز في المنطق ورسالة في النهاية واللا نهاية واخرى في الحروف واخرى في خط الاستواء ورسالة في الحدود ورسالة في الاجرام السماوية واخـرى في هيئة الارض من السماء وكونها

في الوسط واخرى في الخط التوحيدي وله ملخص اقليدس وعهد كتبه لنفسه ومقالة في تقسيم الحكمة والعلوم وتعرف بالحجج الغرو رسالة في العشق ومقالة في القوى الطبيعية ومقالة في الحزن واسبابه ومقاله في الاخلاق ورسالة في الزهد ونسبت اليه خطأ رسالة حي ابن يقظان وهي لابن الطفيل وشرح كتاب النفس لارسطو.

وكتبه بالعربية كلها عدا اليسير منها وهو فارسي وله اشغال كثيرة في الزهد ومن اشهر قصائده قصيدة في النفس شرحها كثير من العلماء وله وصية بديعة لابي سعيد ابن ابي الخير الصوفي وفلسفته مستخرجة من فلسفة ارسطو وقد اضاف اليه شيئا من آرائه وكتاباته تدل على حرية تصوره واستقلال فكره وكان كثير الاستعانة بكلام الفرابي ومذهبه في الوجود تبع فيه القائلين بالتمييز بين الممكن والواجب وقد رد عليه ابن رشد وناقضه في كثير من كتبه، وقد كفره جماعة من العلماء كالغزالي اه ملخصة من آثار الادهار ج 2 ص 261

وقد كانت مشيخة الازهر في جانفي سنة 1553 وجهت الاستاذ محمود الخضيري المراقب المساعد للبحوث والثقافة الاسلامية الى مكتبة الفاتيكان لدراسة المخطوطات اللاتينية الخاصة بابن سينا وكذلك في دور الكتب الاوروبية.

(9) علم يعرف به الاستدلال على حوادث علم الكون والفساد بالتشكلات الفلكية وهي اوضاع الافلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتدريس والتربيع وينقسم الى حسابيات وهي يقينية في علمها، وطبيعيات كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج على تغيير الفصول وليست هذه بمردودة شرعا، ووهميات كالاستدلال على الحوادث السفلية خيرها وشرها من اتصالات الكواكب بطريق العموم والخصوص فهذه مردودة لانه لا استناد لها الى اصل شرعي وقد قال النبيء صلى الله عليه وسلم : اذا ذكر النجوم فامسكوا وقال : تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا الحديث، وقد قسم علي ابن احمد النسوي علم النجوم الى اقسام اربعة.

(1) معرفة الاسطرلاب حسبما هو متركب.

(2) معرفة المدخل الى علم النجوم ومعرفة طبائع الكواكب والبروج ومزاجاتها.

(8) معرفة حساب اعمال النجوم وعمل الزيج والتقويم.

(4) معرفة الهيئة والبراهين الهندسية على صحة اعمال النجوم.

فمن تصور ذلك فهو المنجم التام على التحقيق وأكثر اهل زماننا قد اقتصر من علم التنجيم على الاولين وقليل منهم من يبلغ الطبقة الثالثة اه من كشاف

مصطلحات الفنون ج 2 ص 381 طبع الهند.

(10) التصوف التخلق بالاخلاق الالهية مأخوذة من الصفاء ضد الكدرة لصفاء المعاملة مع الله والتفرغ عن الدنيا وتصفية القلب من موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية والتعلق بالصفات الروحية والنصح لجميع الامة واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة والاياس لما في ايدي الخلق قال ابو الحسن النوري احمد ابن محمد المتوفى سنة 295: من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العالم الشرعي فلا تقربن منه فانه مبتدع لان من لم تشهد الشريعة لافعاله وأقواله بالصحة فهو مبتدع وان جرت عليه الاحوال خارقة للعادة لان ذلك من جملة المكر به ، قال صاحب مصطلحات كشاف الفنون ص 840: وقال السهروردي : سموا صوفية لظاهر زيهم الغالب وهو لباس الصوف لان لباس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم لان حالهم حال المقربين ولما كان الاعتزاء الى القلب وعظم الاشارة الى قرب الله تعالى امر صلف يعسر كشفه والاشارة اليه وقعت الاشارة الى زيهم ستر الحالهم وغيرة على عزيز مقامهم ثم يقول: وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم الى اللبسة ينبيء عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس اليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى ان المبتدي الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في امرهم يوطن نفسه على التقلل والتقشف ويعلم ان المأكول من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة . وقيل منسوبة الى صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والنسبة الى الصفة لاتجيء على نحو الصوفي وقال ابن عطاء الله حكاية لما سمعه من شيخه في تحليل كلمة صوفي: انه منسوب لفعل الله به اي صافاه الله فصوفي فسمي صوفيا وانشد :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... فيه وظنوه من الصوف
ولست امنح هذا الاسم غير فتى ... صافا فصوفي حتى سمي الصوفي

ونقل عنه ان الصوفي مركب من حروف اربعة الصاد والواو والفاء والياء فالصاد صبره وصفاه - والواو وجده ووده - ووفاه والفاء فقده وفقره وفناه - والياء ياء النسبة اذا اكتمل فيه ذلك اضيف الى حضرة مولاه وقال التادلي - المعول عليه ان الصوفي هو في الاصل المنسوب الى صوفي وهم قوم من العرب كانوا في الجاهلية كما ذكره ابن فارس في المجمل يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج قال ابو عبيدة وهم قبائل اجتمعوا وتشكوا كما يتشكك الصوف وقيل هم حي من تميم.

وهذا الاسم لم يكن معروفا في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم وانما عرف في زمن التابعين وقيل لم يعرف إلّا عند المائتين من الهجرة النبوية لما فشا الاقبال على الدنيا وجنح الناس الى مباهجها.

والظاهر ان اصل طريقة الصوفي ترجع الى محاسبة النفس على الافعال

الاية كما يجب فلما تعـرض للقراءة في قوله تعالى الى صراط العزيـز الحميـد الله بالجر ذكـر كلام العلماء في البـدل فقلت له : رضي الله عنكـم

والتروك ويحصل للمريد في مجاهداته احوال تتغير به من مقام الى مقام الى أن يصل الى مقام التوحيد والمعرفة وهو ابعد المقامات المطلوبة الى تحقيق السعـادة وللصوفية آداب مخصوصة بهم والفاظ اصطلاحية تدور بينهـم اذ لا يخفـى ان الاوضاع اللغوية انما قررت للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو غيـر متعارف اصطلح القوم على التعبير عنه بالفاظ يتيسر فهمها منها فلهـذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس يوجد لغيرهم من اهل الشريعـة الكـلام فيـه وصار علم الشريعة على صنفين : صنف مخصوص بالفقهاء واهـل الفتيـا وهـي احكام العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصـوص بالقـوة في القيـام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام على الاذواق والمـواجـد وكيفية الترقي فيها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات الدائرة بينهم .

وقد كتب رجـال هذه الطريقـة في طريقتهـم فمنهـم من كتب في احكام الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء بالاخذ والترك . ومنهـم من كتب في آداب الطريقة واذواق اهلها . كالقشيري والسهـروردي ومنهـم مـن جمـع بين الامرين كالغزالي وصار علم التصوف علما مدونـا بعـد ان كان طريقـة عبادة فقط وكانت احكامها انما تتلقى من صدور الرجال كمـا وقـع في سائـر العلوم التي دونت بالكتابة من تفسير وحديث وفقه واصول .

ويقابل المتصوفين الصادقين المتصوفون المغرورون وقد تعرض لذكرهـم ابن قدامة المقدسي في منهاج القاصدين ص 270 وعدد فرقهم وبين حالاتهـم ومخاتلاتهم وكشف عن مزاعمهم وترهاتهم

انتهى ملخصا من سفينة الراغب 396 سمط اللئال للشيخ قويسم ج 2 ص 69 ـ 147 بالمكتبة الاحمدية رقم 1325 معيد النعم ومبيد النقم لاسلام الهنري ماسـه ـ حليـة الاولياء ـ التذكرة التيمورية كشاف مصطلحات الفنون 840

اعترض ابن مالك قولهم : بدل الكل من الكل في اسماء الله تعالى والصواب ان يقال : بدل الشيء من الشيء ، لاستحالة البعض من الكل في ذاته فسكت ساعة وكذلك كان حاله في الجواب ثم قال : يا ولدي الكلية هنا والبعضية انما هي اللفظ الذي وقع به البيان فقلت رضي الله عنكم : اذا قلت : جاء زيد اخوك انما ابدلت معنى كل مدلول زيد من كل مدلول الاخ لا لفظ الدليل فسكت وقال : لابد من مسامحة ثم كمل العشر والحديث ثم قام فانطلقت مع الوالد الى داره فعرفه الوالد باني ولده فسألني عن أي شي قرأته فذكرت له اني قرأت العربية والبيان والمنطق والفرائض والحساب والاصول وبعض كتب في الفقه فقال للوالد : لا تتركه ينقطع للمعقول أعنه على الجد في كتب الفقه ، وقال : قد كان شيخنا سيدي عيسى رحمه الله يقول له : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لكانت مدة قراءتي في المعقول كلها في الفقه وذكر عنه انه بقي يقرأ المعقول اثنى عشر عاما فسأله الوالد عن اي كتاب الازمه في الفقه فقال : المدونة (1) بشرحها لابن يونس لان صاحب هذه الدار يعني الشيخ القاضي ابن حيدرة (2) وكان ساكنا بداره كان يقول : عليكم بابن يونس فانه عجوز الدار وهو مروي كله ولذا يقول فيما لم يروه : وهذا لم اروه فلما خرجنا من عند الشيخ كان اشد ما كان على الوالد من الحرص فيه شراء ابن يونس فلم يجده ثم سهل الله ان وجد مركبا معدا للسفر لبلاد الاندلس وكان مسافرا فيه الحاج ابو عبد الله محمد رقي من اصحاب الوالد فاعطاه متاعا لشراء الكتاب وأكد عليه في شراء ابن يونس فغاب المركب مدة قريبة وأتى بخزانة من الاندلس وفيها كتاب ابن يونس رحمه الله فرفعناه الى شيخنا رحمه الله فاستحسنه ودعى لي بخير في تحصيله فرأيت بعد ذلك انما هو مكاشفة وفراسة منه لاني لما قدمت لقضاء المحلة المنصورة المولوية العثمانية الاعدلية أيدها الله ونصرها كنت اذ اوقعت نازلة ربما اعتقد انها في المدونة

---

(1) اجل كتب المذهب المالكي واعظمها جمعها ابن القاسم صاحب الامام مالك رضي الله عنه وهو ابو عبد الله عبد الرحمن بن القسم العتقي ولد سنة 133 وقيل سنة 128 وتوفي ليلة الجمعة لسبع مضين من صفر سنة 191 بمصر ودفن خارج باب القرافة الصغرى

لازم مالكا عشرين سنة وروى عن الليث وابن الماجشون ومسلم بن

خالد وروى عنه اصبغ واسد بن الفرات وسحنون وعيسى بن دينار والحارث ابن مسكين ويحي ابن يحي وابو زيد ابن الغمروابن عبد الحكيم وخرج عنه البخاري في صحيحه

وكان رحمه الله يجمع مع الصلاح والثقة الاتقان وحسن الضبط وكمال الاحاطة قال النسائي : سبحان الله ما احسن حديثه واصحه عن مالك ليس يختلف في كلمة ولم يرو احد الموطا عن مالك اثبت من ابن القاسم قال : وهو عجب من العجب الفضل والزهد وصحة الرواية وحسن الحديث حديثه يشهد له ، وقال ابن الحارث : هو اقعد الناس بمذهب مالك وكان رحمه الله لا يقبل جوائز السلطان ويقول : ليس في قرب الولاة ولا الدنو منهم خير ، ومن اقواله المأثورة عنه قوله : اياك ورق الاحرار فسئل عنه فقال : كثرة الاخوان

والمدونة المشار اليها والتي عليها المعول في مذهب مالك هي رواية سحنون عن ابن القاسم لا ما سمعه اسد ابن الفرات عنه وهي المعروفة لدى الفقهاء بالاسدية فهذه غير معتمدة لديهم وذلك لان أسدا سمع في رحلته من ابن القاسم سماعاته عن مالك فدونها عنه سنين كتابا وسمى مجموعها الاسدية

وقد سأل اهل مصر اسدا في كتبها حتى تكون لهم نسخة منها فامتنع فرفعوه الى القاضي ، فقال لهم وأي سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل رجلا فاجابه وهو بين اظهركم فسلوه كما سأله ، فرغبوا الى القاضي في سؤاله ليقضي حاجتهم فسأله القاضي في ذلك فاجابه فنسخوها ولما رجع الى افريقية اظهر ما معه من الكتب وبثها بين الناس فانتشرت بها وذاعت شهرته لرسوخ قدمه في الفقه وكان سحنون يكتبها فسمع اسد بذلك فشح ولم يعطها لاحد ولم يبق على سحنون منها إلّا (كتاب القسم) فورد رجل من الجزيرة على اسد وسأله في كتاب القسم فأبى حتى حلفه ان لا يعطيه لسحنون ولما حصل عليه الرجل قدمه الى سحنون وكفر عن يمينه فكملت الكتب عند سحنون وعند خروجه لمصر خرج معه مشائخ المذهب وفيهم اسد فقال لسحنون : اما انه لو كان معك هذا الديوان لسمعته على ابن القاسم ، فقال له سحنون : (اما انه في وعائي)

وباجتماع سحنون بابن القاسم حل من نفسه بالمكان الارفع وطلب منه سماع المدونة فاجابه واستمع الى تمامها واسقط منها ابن القاسم (واظن مالكا قال في هذه المسألة كذا وكذا ، واخال مالكا قال كذا وكذا وقال لابن القاسم ، (ماوقفت عليه من قول مالك كتبته وما لم تقف عليه تركته فتكلمت فيه بما يظهر لك من ذلك والله يعينك ، فاجابه ابن القاسم الى ذلك وتمم له ما اراد وبعد فراغه كتب له كتابا الى اسد ليرد مدونته على مدونة سحنون واراد اسد ان يفعل ذلك فعارضه فريق من تلامذته بدعوى (انه يصير تلميذا لسحنون وانت قد ادركت مالكا واخذت عنه واخذت عن ابي يوسف ومحمد ابن الحسن) فلم يقبل ما قاله ابن

القاسم وتمسك بالاسدية ونشر مذهب اهل العـراق وتمسك سحنون بمـدونته فانتشرت في آفاق المغرب الكبير وعليها المعول. والملاحظ هنـا ان الاسدية توجد منها نسخة بالمكتبة العتيقة لجامع القيروان وقد كتب عنها البحـاثة المدقق صديقنـا (RIZZITANO) ريزيتانو الاستاذ بجامعة بلرم بحثا ممتعا بالمجلـة الشرقية الايطالية

وقد اصطلح الفقهاء المالكية على اطلاق الصقلي وقصره على ابن يونس كما اصطلحوا على اطلاق الفاظ معينة وارادة اشخاص معينين بها وهي :

الشيخ لعبد الله بن ابي زيد القيرواني والامام للمازري والقاضي للقاضي عبد الوهاب ومحمد اذا اطلق فهو ابن المواز والاستاذ لابي بكر الطـرطوشـي وابو الحسن لابن القصار البغدادي احد القضاة وابو الفرج للقاضي - ابو الفـرج مؤلف كتاب الحاوي - والقاضيان - لابي الحسن القصار - وعبد الوهـاب والقرينـان - لاشهب وابن نافع - والاخوان - لمطرف وابن الماجشون والقضاة - لابن القصـار - وعبد الوهاب المذكورين سابقا - وابي الوليد الباجي - والمدنيون - لابن كنانة - وابن الماجشون وابن وهب واصبغ ابن الفرج وابن عبد الحكم ونظرائهم والعراقيون كالقاضي سهل وابن القصار - وعبد الوهاب - والمغاربة - اللخمي - وابي محمـد - والباجي - وابن عبد البر - والمحمدون لمحمد ابن عبد الحكم - ومحمد ابن المـواز - وهما مصريان - ومحمد ابن عبدوس - ومحمد بن سحنون - وهما قرويان.

وابن يونس المشار اليه في الاصل هو ابو بكر محمد بن عبد الله ابن يونس التميمي الصقلي من حفظة الايمة النظار المبرزين في الترجيح فقيه فرضـي ملازم للجهاد اخذ عن القاضي الحصايري وعتيق بن عبد الحميد وابي بكـر بن عبـاس من علماء صقلية كما اخذ عن شيوخ القيروان واكثر النقـل عنهم ومن بينهم ابو عمران الفاسي وحدث عن الفاسي والف كتابا في الفرائض وكتـابا حافلا في شرح المدونة واضاف اليها غيرها من الامهات وهو مرجع لاهل العلم والتحقيق والفتـوى ودفن بالمنستير حذو باب القصر الكبير ويعرف بسيدي الامام وكانت وفاته في ربيع الاول في عشر بقين منه سنة 451 وقيل في العشر الاواخر من ربيع الثـاني - شجرة النور 111 - الديباج المذهب 274 وفيات الاعيان ج 2 ص 311 طبـع السعادة ج 2 ص 1944 كشف الظنون

(2) المراد به احمد بن محمـد بن قاسم بن حـيدرة التونسي لا محمد لانه هو الذي ولي قضاء الجماعة بتونس سنة 775 بعد محمد ابن خلف الله نعتـه ابن علوان بالامام العلامة قاضي الجمـاعة بالحضرة العلية الحـافظ لمذهب مالك من التحريف والتبديل ومارس علم التجريح والتعديل القـائم على الاحكام المحـررة سيدنا ابو العباس احمد ابن حيدرة ولد سنة 682 وتوفي في ربيع الاول 778 نقل عنه البرزلي في مواضع من نوازله وهو معاصر لابن عرفة وقد وقع بينهما نزاع في مسائل اخذ عن ابن عبد السلام واخذ عنه الغبريني والبرزلي وابو عبد الله القلشاني وقد كان قدوة فهامة صالحا اثنى عليه ابن خلدون - شجرة النور الزكية 211 - 225

ولا اعين محلها من الكتاب الا بتعب فكان عندي في السفر ابن يونس فافتح الكتاب من الموضع الذي اعتقد ان النازلة به فانظر ذلك في ترجمة فنجدها فنتذكر الشيخ وفراسته ونصحه وندعوا له رحمه الله ورضي عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم : اتقوا (1) فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهي من المكاشفات عند القوم وكان الشيخ رضي الله عنه اذا فسر كتاب الله تعالى يظهر عليه السكون والوقار والهيبة واكثر نظره الى ابن عطية (2) وابي حيان وينقل من كلام السلاوي مما قيد عن الشيخ ابن عرفة رحمه الله تعالى واذا اورد سؤالا يذكر جوابه بتلطف او اذا اورد عليه سؤال يسكت ساعة ثم يجيب واذا كان الكلام واردا واستحسنه يقول : صواب وان كان وروده بعيدا يقول : هذا ممكن وان كان متوسطا يقول : هذا محتمل فالعارف للاصطلاح يفهم ما اشار اليه الشيخ من المقامات (3) لان الممكن هو الاقرب الى البعيد من المحتمل وقد لازمته رحمه الله في تفسيره من سورة ابراهيم الى قريب من الحزب الاخير من القرآن وكان كثير البطالة والتعجز لكبر سنه وكثرة اشتغاله بالحبس وغيره ولم يكن عنده رحمه الله كثرة طلبة فلما ولي القضاء اتت اليه كبار الطلبة اصحاب الشيخ سيدي عمر رضي الله عنه وجد الشيخ رضي الله عنه في الفقه واكثر من النظر والبحث لكثرة الفقهاء والطلبة وقيدنا عنه ابحاثا جرت عنده في تفسير كتاب الله تعالى وحضرنا عليه اكثر كتاب مسلم وكان يعتني بالقاضي عياض وشرح الشيخ الابي رحمه الله وربما كان يذكر نكتا عن الشيخ شيخه الفقيه ابن عرفة رحمه الله وكان رحمه الله من فضله ودينه وانصافه ذات يوم يقرأ عليه الحديث في الفرائض فنقل كلاما في الوصايا بالنصيب واجرى في ذلك عمل الفرائض فذكرت له رحمه الله مذهب الفرائض يجري على مذهب الحنفية لا على مذهب المالكية فانكر ذلك علي فاكثرت الكلام فنهرني نهرة شديدة وقال لا تخلط علينا مع ان عادته قليل الحرج فسكت واعدت النظر على الحوفي فوجدته كما قلته فلما كان بالغداة نظر المسألة ونظر الي وقال: ما قلته بالامس الصواب معك والخطأ معي غرني كلام الشيخ الابي والحوفي (4)

---

(1) الفراسة في فروع العلم الطبيعي ويعرف بهذا العلم اخلاق الناس من احوالهم الظاهرة من الالوان والاشكال والاعضاء فهو استدلال بالخلق الظاهر على

الخالق الباطن فموضوعه ومنفعته ظاهران واقدم من الف فيه فيلمون الحكيم المعاصر لبقراط وقد ترجم كتابه من اليونانية الى العربية وطبع وقد تقبله في ذلك كثير من العلماء في جميع الامم وتبرز من بينهم ثلة من المسلمين كابي بكر الرازي فله خلاصة لكتاب ارسطو في الفراسة مع زيادات عليه وممن نبغ في علم الفراسة محمد بن الصوفي المعروف بشيخ الربوة وقد تميز العرب في هذا العلم وكاد ان يكون لهم التخصص فيه ونجد في القرآن ما يدل عليه ويوضح لنا شرف المكانة التي له في قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعرفهم بسيماهم وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن

ومدار هذا العلم على الافعال والظواهر التي تدور على وجهين الغريزة والتصنع ولكل منهما شواهد تدل عليه قبل ظهوره وتمام المعرفة بذلك حسن القياس والمعتبر في النجاح في هذا العلم والبراعة فيه هو تطبيق ماتعرف به الحيوانات من الغرائز والطباع والاخلاق مع التأمل واثبات التوسم وحفظ الصورة على خلقتها والشمائل على هيئاتها والحركات على نظمها ولذا يتحتم عليه معرفة اشكالها وصورها وطباعها ويجتهد في حسن تطبيقها مع كمال نباهة وتيقظ

ولا يخفى ان لكل نوع من الحيوانات طبيعته وميوله واخلاقه وقد ذكرها الكتاب وبينوها كما بينوا ما تدل عليه حالات الاعضاء المختلفة في العين والاذنين والافواه والشفاه والانف والجباه والوجنات واللحي والاذقان والرؤوس والاعناق والاكتاف والبطون والصدور والضلوع والسواعد والاكف والظهور والاوراك والافخاذ والركب والشعور والالوان والانفاس والاصوات والكلام والمشي وحركة الاوصال

وكل نوع من الحيوان انما تكون احواله على قدر ما فيه من الادوات الثلاث التي فيها علة كل الافعال وهي الشهوة والغضب والعقل ، فمدار كل فعل على هذه الوجوه الثلاثة وعن علتها يبدو العقل وتظهر الحركة

وقد ادعى المنجمون ان الاخلاق والصور انما وقعت في الناس من مواليدهم وطوالعهم من ابرجة الفلك والانجم السبعة السائرة فيه ومواضيعها ونظرها واتصالها ونحوسها وسعودها وتشريقها وتغريبها واستقامتها ورجوعها والوانها وهيئاتها ومزاجها وطبائعها فادار والقياس على مدار هذا الفلك وما فيه من نجومه وخلقه وصوره ، كما زعم الاطباء أن الاخلاق والصور انما كانت على مزاج الاخلاط الاربعة من المرتين الصفراء والسوداء والدم والبلغم في مزاجها وقليلها وكثيرها وزيادة بعضها على بعض ونقصان بعضها على بعض في كمياتها وشدتها وضعفها وعلتها فاعل هذا لهذا وهذا لهذا وخلوا القياس في ذلك على ما دام عليه المزاج في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واشباه ذلك

وكما وقع التفرس في الانسان تفرس قوم في الخيل والغنم والكلاب وضروب من

الدواب فادركوا بفراستهم علم اسرارها واخبارها كما تفرس آخرون في الاراضي والمنابت والاشجار فعرفوا جودتها وطيبها ورقتها وعذوبة طعمها وخامتها ولطافتها وما يصلح في كل ارض وكل بقعة بالاعلام التي فيها والامارات التي تدل عليها كما تفرس فريق في نبات الارض من دغلها وشعرائها وفي الجبال والكهوف والشعاب والفيافي والبقاع والاكواخ والصخور والمدن والسباخ والترب فعرفوا من ذلك مساكن الماء في بطون تلك المواضع وبعدها وقربها من وجه الارض وكثرتها وقلتها وعذوبتها وملوحتها بتجارب ودلالات . ونجد آخرين تفرسوا في الغيوم والوانها وتنسم الرياح ومجاريها وهبوبها من الاوقات فعرفوا منها الحوامل والمواطر والعواصف واللوافح واوقات ذلك وهناك من تفرسوا في الجواهر فعرفوها على تشابه الوانها واتفاق هيئاتها باعلامها واياتها وشواهد تدل عليها.

واصل القياس في علم الفراسة على وجهين احدهما يدل على ظهور الغريزة والاخر يدل على التصنع فاما قياس الغريسة فالفراسة في الخلقة قبل ظهور الفعال واما قياس التصنع فوزن العقل وظهور الصورة وتأمل الهيئة فالمباشر لذلك لا يضيع التحفظ ولا يقضي إلَّا بعد تثبت ولتكن الفطنة والحذر منه على بال فالتصنع ستر صنعة العقل فالفاه دون الغريزة ليخفي بها فعاله ولولا ذلك لظهر فعل كل امرىء على غريزته وعرفت حالاته قبل طبيعته ورؤيته كما عرفت اخلاق البهائم وافعالها برؤيتها وهيئتها اذ لم يكن معها تصنع تستر به اخلاقها ولا تواري به عما في انفسها.

(2) ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي ولد سنة 481 روى عن ابيه وعن ابي علي الصدفي وابي علي الغساني ومحمد بن الطلاع وصفه المقري بالحافظ ونعته في الاحاطة بالفقيه العالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب وحسن التقييد وهو من الشعراء المجيدين كان غاية في الذكاء والدهاء والنهمم بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب وقد اثنى عليه الفتح وابدع في وصفه وتحليته وتخرج عليه ابن حمزة وابو جعفر بن مضاء وجماعة وله الوجيز في التفسير احسن فيه الاحسان كله وله برنامج في مروياته وشيوخه وفي سنة 529 في شهر المحرم ولي قضاء المرية فتوخى الحق وعدل في الحكم ثم اسند اليه قضاء ميورقة ولما قصد صدعنها الى لورقة اعتداء عليه فتوفي بها في 25 رمضان 546 كذا في نفح الطيب وفي شجرة النور سنة 542.

(3) في نخ العبدلية ـ المقالات (4) ابو القاسم احمد بن محمد بن خلف الحوفي الكلاعي ممن له اليد الطولى في الفرائض وما الف في الفرائض شاهد جمعا وتحصيلا وعلما وعملا ـ توفي في سنة 585 ه 1189 م وقيل 588 ه 1193 م بروكلمان ملحق 1 ص 663 وكتابه كان هو المعتبر في التدريس بالزيتونة في عهد ابن عرفة وقد درسه هو

ذكر كما ذكرت وهذا من انصافه فوالله اني استحييت ثانيا اكثر من نهرة علي اولا فرحمه الله تعالى ورضي عنه وسمعت عليه رحمه الله كثيرا من الموطا وحضرت عليه سماعا كثيرا من الرسالة والجلاب وكثيرا من ابن الحاجب الفرعي وكثيرا من المدونة وقرأت عليه بلفظي كتبا عديدة شتاء وصيفا وسمعت عليه كتاب الشفاء رواية عليه رواه عليه الشيخ الفقيه المفتي المدرس الامام ابو عبد الله (1) محمد نجل الشيخ الامام العلامة الصالح ابو عبد الله محمد بن مرزوق الامام الان بالجامع الاعظم بتلمسان وقيدت عليه فيه فوائد جمعتها عنه ولما ذكر له ان ابن تيمية (2) قال في صاحب الشفاء انه غلا قال الشيخ ابن عرفة يتمه الله تعالى مازال يقدح في العلماء والاولياء ويقدح في احزاب الشيخ الولي العارف بالله ابي الحسن الشاذلي رحمه الله وينكر عليه طلب العصمة في حزبه ، وتمالى في ذلك حتى ذكر عنه انه كان يقول ينزل ربنا الى سماء الدنيا كنزولي هذا وهذا قول بالتجسيم نعوذ بالله منه قال شيخنا رحمه الله : لعل قوله رحمه الله في كلام صاحب الشفا غلا هذا المغربي انما انكاره على تسميته في قوله وسميته كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى لان قوله التعريف فيه مناقشة لان الذي يعرف هو الامر الخفي واما ما كان وجوده في الاذهان اشهر من نار على علم فلا يصح فيه ذكر ذلك ولما بلغ ذلك بعض الشيوخ قال : انما يصح تاويله عنه لو صححنا اعتقاده واعتقاده فاسد لانه يقول هذا واشد منه ألا ترى الى ما ذكر عنه في حديث النزول ، وكان بعض اصحابنا الفقهاء يحث معنا في عدالته ونظرنا الى التعريف بابن يتمية فوجدنا من الناس من عدله وذكر علمه وتواليفه الا أنه يقف عند الظواهر ويميل اليها (3) ومنهم من جرحه وذكر عنه مقالات لا تليق شرعا وبالجملة فلحوم العلماء مسمومة وعادة الله فيمن تنقصهم معلومة وكان مجلس شيخنا رحمه الله مجلس وقار وادب كثير الصمت واظهار الخشوع كثير الفائدة حسن الاجوبة يذكر نكتا عن اشياخه ويذكر مجالس مشائخه انهم كانوا كذلك وكان يفسر كتاب مسلم ذات يوم حين تكلم على الرقي (4) بكتاب الله تعالى فذكر رحمه الله ان الشيخ الامام شيخنا

---

(1) المعروف بالكفيف ولد ليلة الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة 824 كان اماما علامة مسندا راوية ناقدا نحريرا مرجعا في التحقيق وله تآليف عديدة أخذ عن

والده الصحيحين والموطا وكثيرا من تآليفه وتآليف غيره وعن ابي الفضل ابن الامام وقاسم العقباني واحمد اللجائي وعبد الرحمان الثعالبي ومحمد المشذالي والقاضي محمد بن عقاب والبحيري التونسي كما اخذ بالاجازة عن الحافظ ابن حجر بالمكاتبة من مصر واخذ عنه ابن اخته الخطيب ابن مرزوق وابن العباس الصغير الصحيحين ومختصري ابن الحاجب الاصلي والفرعي والتهذيب والخونجي وكانت وفاته سنة 901 - ملخصا من نيل الابتهاج ص 330

(2) ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن الخضر بن محمد بن الخضر بن تيمية الحراني الملقب بتقي الدين نزيل دمشق ولد في 10 ربيع الاول سنة 661 وقيل في 12 ربيع قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في التفسير وافتى ودرس وله نحو عشرين سنة وصنف واكثر وله نحو اربعة آلاف كراسة وفسر القرآن وكان شعلة في الذكاء وشيوخه اكثر من مأتي شيخ ودرجته في نقل الفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الاربعة لا يجارى فيها وله معرفة قل ان توجد في غيره في الملل والنحل لا يمل من المطالعة مع معرفة قوية للعربية والتاريخ واللغة وهو من اهل الاستقراء التام في نقد الرجال وقد كانت السنة بين عينيه وطرف لسانه وكان قوي البادرة جيد المناظرة برا بوالديه افتى وعمره سبعة عشر عاما وترك تآليف قيمة وهي - بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح رد فيه على بولس الراهب - وبيان الفرقان بين اولياء الشيطان واولياء الرحمان وتنبيه الرجل الغافل على تمويه الجدل الباطل وكتاب التخجيل لمن بدل كتاب التوراة والانجيل - التعارض في المعقول والمنقول في مجلدات - ودفع الملام عن الايمة الاعلام - وله تآليف في التاريخ ورسالة في انكار الكيميا - وكتاب بيان تلبيس الجهمية في تاسيس بدعهم الكلامية وكتاب السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية وكتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية في مجلدات رد فيه على كتاب منهاج الاستقامة في اثبات الاقامة لابي منصور الحلي الشيعي وله كتاب اقتفاء الصراط المستقيم في الرد على اهل الجحيم وقواعد التفسير وكتاب العرش وصفته وكتاب الكلم الطيب والمذهب في القراءات ونصحية اهل الايمان في الرد على منطق اليونان وتفضيل الصالحين وشرح العقيدة الاصفهانية ومجموعة فتاوي.

وقد رمي بامور لم تكن به - رمي بها حسدا ورفع امره الى حاكم مصر فاعتقل ونجا ثم اعتقل سنة 726 الى ان توفي في 20 ذي القعدة سنة 728 الموافقة لسنة 1327 ميلادية وكان في سجنه يعكف عن المطالعة والتآليف ومنعوه في آخر الامر من الكتب وادوات الكتابة فقال (ان اخراج الكتب من عندي من

اعظم النقم) وكان الحاضرون بجنازته من الرجال (ما يربو عن الخمسماية الف و (بما حزر بخمسة عشر الفا) من النساء وتنافس النـاس في مـاء غسله و بقايا ثيابه وصلى عليه مرات وسبب تسميته ان جده حج فلما كان بتيماء قرب تبوك رأى جارية حسنة الوجه قد خرجت من خباء فلما عاد الى بلده وجد امرأته قد وضعت فلما قدموا له مولودتها قال (ياتيمية ياتيمية) يعني انها تشبه التي رآها بتيماء فسمي بها وتيمية على هذا بتشديد الاخيرة كما يفهـم من الحكاية وكما يدل عليه البيت الذي قيل في رثائه.

ان ابن تيمية لمـا قضـى ضاق باهل الارض رحب الفضا

ملخصا من ص 201 من الكـواكب الدرية وص 10 ومن اعجام الاعلام.

(3) بطرة نسخة العبدلية ومن الناس.

(4) بظم الراء مقصورا جمع رقية مثل مدية ومدى يقال رقيته ارقيه رقيا عوذته بالله اي دعوت له بالحفظ فالاسم الرقيا بالضم على فعـل والمرة رقية وقد اشتهرت عند العرب في الجاهلية وطريقتهم في ذلك بشرب اشياء او تعليقهـا او استعمال امور لتحقيق السلو عن المكشوف او اجتلاب الرجـل او التحبب الى النساء او منع الحبل او الرجوع بعد الفرار او العطف بعد البغظ او لـدفع العين او لامراض العدو وقتله او للرجوع من السفر وقد ابطل الشارع ذلك كله اذ لا مانع ولا دافع غير الله عزوجل.

نعم لا يدخل في هذا التعوذ بالقرآن والتبرك به للاشفـاء به لان ذلك راجع الى الاستعاذة بالله جل جلاله فقد جاء في البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان ينفث اي ينفخ نفخا لطيفا على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات قالت عائشة ولما ثقـل في مرضه كنت انفث عليـه بالمعوذات وامسح عليه بيده كبركته وطريقة نفثه صلى الله عليه وسلـم انه ينفث على يده ثم يمسه بهـا وجهه.

وهذا فيه دليل على جوازها بشرط ان تكون بكلام الله او باسمائه وصفاته وان يعتقد الراقي ان الرقية غير مؤثرة بنفسها بل بتقدير الله سبحانه.

وقد روى ابن وهب عن مالـك كـراهية الرقية بالحديد والملح وعقد الخيط والذى يكتب خاتم سليمان و يجوز اخذ الاجر على الرقية كما في حديث ابي سعيد الخدرى الذى اورده البخارى في هذا الباب وفي باب الاجارة.

وقد كان النبيء صلى الله عليه وسلم يعوذ بعض اهله فيمسح بيـده اليمنى على موضع الوجع و يقول : اللهم رب الناس اذهب البأس . واشفه وانت الشافي لا شفـاء إلّا شفاؤك شفاء لايغادر سقما اه ملخصا من بلوغ الارب للالوسي ج 3 ص 5 القسطلاني على البخارى ج 5 ص 310 طبع بولاق

ابن عرفة رحمه الله قال بعث الي ذات يوم فدخلت عليه فوجدت معه انسانا فاشارلي ان انصرف عنه في تلك الساعة وان نلتقي معه في غير ذلك الوقت فانصرفت واجتمعت به بعدها فاخرج لي نسخة من ابن الحاجب الفرعي وعلى ظاهرها مكتوب رقوة نافعة للضرس مشهورة بتونس وما كتب عليه :

بسم الله الرحمان الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ثم ذكر اسماء اعجمية نوهي (1) ذومي سربطري كنا سندام ، ممنوا بنطاس ، ثم دخلنا دويرية وراء داره وعمل كساء بيني وبينه وقال لي : اجلها خمسة عشر عاما فغلطت وقلت : خمسة اعوام فزجرني وقال : بل خمسة عشر عاما ثم امرني فسمرت مسمارا في الحائط واظنه به دواء ضرسه ورقاه بذلك وسمعنا منه نكتا يطول ذكرها وكان يذكر ان الشيخ كان يحبه ويكرمه وكان يقرأ عليه مختصره الفقهي بلفظه واجلسه في موضع الشيخ الامام الوانوغي (2) حين سافر الى المشرق وكان الشيخ من فضله يحبني ويدعو الي ويسألني عن حالي بعد موت الوالد رحمه الله ويأمرني برفع الهمة وباستعمال السبب لكي نستعف عن الطلب ويقول لي : يا ولدي ما قدر لك تناله ، فتلقاه بالعز لا بالذل فان الذل يذهب مائية الوجه وكان رحمه الله فيه جبر القلوب ومراعاة العهود ولما قدم لقضاء الجماعة دخلت عليه فوجدته يبكي ويقول : في هذا السن تبتلى ووضع يده على شيبته واتت اليه كبار الطلبة كالشيخ الامام شيخنا سيدي ابي حفص والشيخ العالم العام ابي اسحاق ابراهيم الاخضري والشيخ الفقيه العالم ابي عبد الله محمد الواصلي والشيخ الفقيه ابي عبد الله محمد الشريف (3) العواني وغيرهم ودخلت عليه ذات يوم فقال لي : قدمتك معيدا (4) بالمدرسة المنتصرية فقلت له : يا سيدي قدم علينا ضيوف فقهاء اقدم مني في طلب العلم فقال : انا أمرتك أو استشرتك ؟ ونهرني نهرة عظيمة فاجتمع معه بعض الفقهاء وسألوه عن سبب تقديمي وتخصيصي فقال : لوجهين الاول انه لازمني في الحضور قبل الواردين وتحققت نبل مشاركته مشاهدة بخلاف غيره الثاني اني كنت قد وعدت والده قبل موته وليس لي والله معرفة بالوعد غير اني صدقت كلامه (5) برؤيا

---

(1) في نخ (ع) د وهي

(2) ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن عمر التونسي المالكي الوانوغي بتشديد النون المضمومة وسكون الواو وبعدها معجمة ولد بتونس سنة 759 وسمع بها من مسندها ابي الحسن ابن ابي العباس البواني ومن ابن عرفة اخذ عنه الفقه والتفسير والاصلين والمنطق وعن ابن خلدون الحساب والهندسة والاصلين والمنطق واخذ النحو عن القصار وكان شديد الذكاء سريع الفهم حسن الاداء للتدريس والفتوى واذا رأى شيئا وعاه وقرره وان لم يعتن به وله تأليف على قواعد ابن عبد السلام وله عشرون سؤالا في فنون من العلم تشهد بفضله بعث بها الى الجلال البلقيني قال العماد : وقد وقفت على الاسئلة وجوابها ولم اقف على الرد وكان يعاب على الوانوغي اطلاق لسانه في العلماء ومراءاة السائلين في الافتاء وقد اجاز لغير واحد من شيوخ العماد المكيين وقد مات بمكة المشرفة سحر يوم الجمعة في 19 ربيع الثاني سنة 819 وله حاشية على التهذيب اه - الضوء اللامع . الجزء السابع ص 3 - 4 بغية الوعاة ، 13 نيل الابتهاج 286 كشف الظنون . 92

(3) كان فقيها خيرا فاضلا وجيها متحليا بالوقار والسكينة له مكانة مكينة وتقدير كامل من الناس لما حواه من شرفي النسب والعلم وبيتهم ابرز بيوت الشرف بافريقية كانت تسند نقابة الاشراف بالقيروان اليهم.

(4) المعيد : العالم بالامور والمجرب لها والحاذق وقد اطلقت لدى اهل العلم على من يعيد على الطلبة ما القاه المدرس عليهم ليحسنوا فهمه ولفظ المعيد هو المستعمل بالاندلس وبالمغرب ويطلق عليه بالمشرق لفظ المكرر

وهناك المسمع وهو الذي يعيد كلام الاستاذ بمحضره لمن لم يسمعه كما يوجد من يسمى بالمدون وهو الذي يدون كلام الاستاذ وقد اطلق عندنا على من يقرأ الدرس من الكتاب الذي يدرسه الاستاذ بعد تقريره

(5) الرؤيا من قبل الفتيا قال تعالى في قصة ملك مصر : يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : اعبر امتي ابو بكر واسماء بنت عميس

وعلم تعبير الرؤيا يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسانية والامور الغيبية اذا بالانتقال من الاولى الى الثانية يمكن الاستدلال على الاحوال النفسانية في الخارج او الاحوال الخارجية في الآفاق وتتردد منفعته بين البشرى او الانذار .

وقد عرف الراغب (الرؤيا) بانها انطباع الصورة المتحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك . والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالمكون لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور لما فيها ، مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس

المشترك فتصير مشاهدة ، ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلّا بالكلية والجزئية ، استغنت عن التغيير وإلّا احتاجت اليه.

ومما يحدثنا به صاحب الكشف تلمس عناية اليونانيين بهذا العلم حيث ترك ارسطو وافلاطون واقليدس وبطليموس وجالينوس كتبا في التعبير.

والمنامات منها الكاذب ومنها الصادق فالاولى تتسبب عن امور احـدها ان في الدماغ قوة تحفظ فيها صور المحسوسات بعد الغيبوبة ، ويقال لها الخيـال فاذا ادرك الحس المشترك صور المحسوسات وبقيت في الخيـال فعند النوم ترد على الحس المشترك فتصير مشاهدة . وثانيها ان المتخيلة اذا ألفت صورة انطبعت في الخيال فعند النوم ترد على الحس المشترك فتصير مشاهدة وثالثها ان مزاج الدماغ اذا تغير لزم تغير افعال القوة المتخيلة بحسب تلك التغيرات فمن مال مزاجه الى الحرارة يرى النيران ومن مال مزاجه الى السـوداء يرى صورا سوداء هائلـة وعلى هذا القياس.

واما المنامات الصادقة فسببها ان النفس الناطقة من شأنها الاتصال بالعقول المجردة والنفوس السماوية اتصالا عقليا وانما يمنعها عن ذلك استغراقها في تدبيـر البدن فاذا حصل لها ادنى فراغ من ذلك اتصلت بطبعها بالمجـودات التي ارتسمت فيها صور الجزئيات على نحو كلي فينطبع فيها من الصور الحاصلة لها ما يناسب تلك النفس من احوالها واحوال ما يقرب منها ، ثم ان المتخيلة التي من شأنها المحاكاة تملك تلك المعاني الكلية المنطبعة في النفس بصور جزئيـة ثم تنطبع تلك الصور في الحس المشترك فتصير مشاهدة

اهـ - ملخصا من كشف الظنون ج 1 ص 223 تخريج الولالات السمعية 60 - سفينة الراغب 116 - 118 - زبدة الصحائف 2020 -

رأيتها قبل التقديم رأيت الوالد بعد موته فكأنه جالس عند قبره والشيخ الامام رحمه الله جالس قريبا منه فسلمت عليهما فقال الوالد للشيخ : يا سيدي اعط ابنتك اولدي كما وعدتني فقال له : نعم اعطيتها فشكره الوالد رحمه الله فخرجت الرؤيا كما ذكر فأولتها بذلك وقد كان الشيخ رحمه الله كثيرا ما اراه في النوم في مرائي كثيرة يطول ذكرها لشدة محبتي فيه واعتقادي فيه وقد سار في قضاء الجماعة سيرة عظيمة في تركيب احكامها والجد في خلاص المسلمين فيها واقامة الحرمة والتسوية بين الخصوم والهروب عن التهمة وخوف الله تعالى والهيبة والبكاء والخشوع والتقشف في اكله وشربه ولبسه وعدم التجارة والهروب عن الدنيا ومحبتها والزهد فيها رأيت لباسه وداره ومصحفه ظاهر عليه آثار الصالحين المراقبين لرب العالمين ودلائل الخوف من الله لاتخفى على احد وقد عد له بعض اصحابه ممن كان يلازمه الكرامات وكان كثير التلاوة كثير العبرة وقدم لامامة الجامع الاعظم فزاد في الخير والجد وقام بخططه كما يجب على طريق شيخه الامام الصالح القاضي قاضي الجماعة ابي مهدي عيسى الغبريني توفي رحمه الله عام اثنين وخمسين وتوفي عنه شيخه الشيخ الامام وهو قريب من ثلاثين سنة وقد حضرت عليه ولازمته السنين فما رأيت منه اكثر خشية ولا ادبا وقد كنت مرضت فسألني عن الوالد رحمه الله وكنت وجدت نفسي فخرجت للجامع ولا علم عنده فأتى الى الدار ليزورني فوجدني خرجت فكان من قضائه ان جلس في السقيف وبعث لي حتى جئته وما ذهب عني حتى اخذ بقلبي وقد كنت ايضا قد مرضت قبل ذلك ودخل علي وجلس عند رأسي وسألني بالحال وكان عارفا بالطب فعلم بالداء ووصف الدواء وكان قرأ الطب على الشيخ الفقيه الشريف ابي العباس احمد الصقلي (1) وكان ماهرا بالطب وسمعت منه او من غيره أنه كان يقول الشيخ ابن عرفة رحمه الله : بلد لا يسكن بها الصقلي لا تحل السكنى بها لما كان يتقن من علم الطب

---

(1) احمد ابن عبد السلام الشريف الصقلي التونسي الحكيم المشهور قال السخاوي (بقيتهم وصاحب التصانيف في الفن مات في حدود سنة وعشرين وثمانمئة او بعدها بقليل) ألف مختصرا لابي فارس وبوبه ثمانين بابا اه الضوء اللامع ' ج 1 ص 347 كشف الظنون ص 1412 المكتبة العربية الصقلية ج 1 ص 23 -

ومن اشياخنا شيخنا رحمه الله الشيخ الامام العالم المعلم البركة ابو عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله ورضي عنه قرأ عليه كتاب الله تعالى وحضر مجالسه وسمع عليه تفسير كتاب الله وتفسير كتاب مسلم ورواية البخاري عليه وحضر المدونة وابن الحاجب والجلاب وقرأ عليه بلفظه كثيرا من ذلك وقرأ عليه من المختصر تآليف لشيخه وكان الشيخ يكرمه واجازه وحدث عن شيوخه وكان شيخنا يقول : ما رأينا مثل مجلس شيخنا رحمه الله في تحقيقه وفي تفسيره وفصاحة لسانه وحلاو منطقه وكان يقول : مجلس الشيخ ابن عرفة نهر عذب يرده العصفور والجمل كل يرد على قدره وكنت نقلت له ذات يوم من تقييد السلاوي عن الشيخ رحمه الله فاستشكاه من جهة المنطق والعربية فقال الشيخ : يا ولدي لا تعتقد ان الذي نقله الناقل كلام شيخنا كلام شيخنا دقيق ربما نقل ذلك الناقل على قدر فهمه وربما كان يسأل بعض من حضر فما كان جاريا على قواعد العلم فاقبله عن الشيخ وما لا فلا لان قدره عظيم وكان يذكر ان الشيخ رحمه الله جد في العلم اكثر من اشياخه وكان يقول : ان الشيخ كان يحدثه عن شيخه ابن عبد السلام انه اذا وقع عليه امر مؤلم يرى في نومه شيخه فيفرج الله تعالى عنه قال الشيخ ابن عرفة : وانا كذلك اذا رأيت شيخنا الامام فرج الله عني واريد انه يذكر لي امورا تخرج كفلق الصبح وربما كنت ابتليت بمحنة القضاء في المحلة كان يشق علي السفر والتعب كثيرا فتعتريني بعض امراض الا اني على قدر ما احمد من فضل الله فاشتد ذات يوم الامر فرأيت في النوم أني عند باب القيروان (1) وكان خارج البلد جمع عظيم ذكر لي أن شيخ المجلس شيخنا رحمه الله فرأيته فتقدمت وخافت الناس حتى جلست بين يديه فوجدته يفسر البخاري وكأن الحاضرين لم يفهموا عنه وكأنه اهتم من ذلك فنظر الي فقلت له :

---

(1) بفتح القاف وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وواو والف وفي آخرها نون كلمة معربة عن (كاروان) بالفارسية اي محل النزول او الاجتماع سميت به لنزول عقبة بن نافع بها مع جيشه واتخاذها قيروانا له بناها سنة 50 هجرية ولها واد يسمى واد السراويل في قبلة المدينة يأتي فيه ماء مالح لانه من سباخ والي غربيها جبل الباطن وكان فيها اخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب

من مضر و ربيعة وقحطان و بها اصناف من العجم من اهل خراسان ومن كان وردها من عمال بني هاشم من الجند وبها من عجم البلاد البربر والروم واشباه ذلك .

وكان شرب اهلها من الآبار والمواجل التي يجمع بها ماء المطر وهي برك عظيمة اذ ليس لها ماء جار وهي في الوطأة وبعد تمام بنائها صارت معقلا للاسلام ونشر دعوته فكانت تصدر عنها الجيوش العربية للفتح وترجع مظفرة غانمة وقد اصبحت حالة البلاد منظمة سالكة سبيل الاطراد في التقدم والنمو وادرك البربر القيمون في السهول قوة الجيش المبشر الفاتح واجتذبتهم مباهج المدينة الجديدة فاسلم منهم الكثير وسرعان ما امتدت دعوة الحق بينهم فكانوا من المفلحين وازداد اتصالهم الوثيق بالمسلمين بعد انضمامهم الى الجيش الفاتح وقد بلغت في العهد الاغلبي درجة من الحضارة والعزة والمنعة حارت لها بغداد وقد بلغت سطوة ملوكها الى الحرمين واسبغ عليها العبيديون مطارف الحضارة وبابهة الحياة في ذلك العصر وكانت دار علم وادب واليها كانت الرحلة وألفت في تاريخها واخبار علمائها كثير من الكتب وقد سئل احد الوافدين منها عن عدد العلماء المدرسين بجامعها فقال هم مائتان وخمسون فقيل له : وكم منهم من يحق له لبس الطيلسان ؟ فقال : ثلاثون والطيلسان لباس خاص بكبار العلماء الراسخين فتأوه السائل وقال : الله اكبر ذهب العلم منها ولو سئل اليوم اقتلته الخيبة وحز في نفسه الالم.

وقد اصابتها النكبة العظمى بهجوم الاعراب عليها سنة 440 هـ وانتشرت الفوضى بين ربوعها وعم الاضطراب جميع جهاتها فتفرق من بها بين مصر وصقلية والاندلس والمغرب الاقصى وفي هذه النكبة يقول ابن شرف :

ترى سيئات القيروان وان تعاظمت ... فجلت عن الغفران والله غافر
تراها اصيبت بالكبائر وحدها ... الم تك قدما في البلاد الكبائر

مآثرها

ورغم ما نالها من عدوان الدهر ونكبات الانقلابات الدينية والسياسية في العصر المتقدم فلازالت تحتفظ بمعلمين فخمين أثريين يشهدان بعظمتها كعاصمة من عواصم الحضارة الاسلامية الافريقية وهما جامع عقبة وفسقية الاغالبة والاول يحتل من قلوب المسلمين مكانا عظيما ودرجة في القداسة والتكريم اذ هو اول بناء اسس بها على تقوى من الله ورضوان وقد مرت عليه اطوار في التوسعة والعناية به طبق ما تقتضيه سنة النشوء والارتقاء وقد بلغ الغاية القصوى مدة المعز بن باديس الذي زاد في زخرفه وتنميقه وهو الذي أمر بصنع المنبر الحالي واقامة مقصورة له للصلاة بها مخصصة له مصنوعة من الساج وهي في الحقيقة حاجز له ولرجال دولته المقربين وقد كتب على دائر الحاجز من الخارج والداخل كتابة كوفية نصها :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما مما امر بعمله ابو تميم المعز بن باديس بن منصور سلام الله عليه) وبداخل هذه المقصورة باب يفضي الى بيت كانت به مكتبة الجامع وبه اسلحة قديمة من دروع وخود ورماح ويقال انه لما ارادوا تغيير رخامه وضعوا به 8000 رخامة فلم تكف إلّا ثلثي الصحن

واما المعلم الثاني ففسقية الاغالبة القريبة من ضريح الصحابي الجليل ابي زمعة رضي الله عنه وهي تشكل حوضا كبيرا مستديرا من المرمر تراه فتظنه بحيرة لاتساعه يصب فيه الماء من عين الشريشيرة ثم يجري منه الى المدينة وكثيرا ما يغرق من ينزل الى الاغتسال فيه وقد كان مردوما غطته الاتربة وحرث الناس فوقه قرونا وبذروا فيه زروعهم ثم تفطنوا له فوقع الكشف عنه.

ولما دخل البلوي الرحالة اليها وجدها على غير ما يرضيه كما يقول.

(لم اجد إلّا رسوما محتها يد الزمان وآثارا يقال عنها كان وكان - والاحياء من اهلها جفاة الطباع - مالهم في رقة الحضارة باع - ولا في معنى من المعاني الانسانية انطباع - خبت نفس العلم بينهم فلم يبق به ومق - وكسدت سوق المعارف لديهم فيا سخنة عين من رمق - والمدينة ليس لها بر ولا بحر - ولا سحر ولا نحر وضعت في سبخة قرعى - لا ماء فيها ولا مرعى ولا تنبت اصلا ولا تقل فرعا - وما كان حالها في القديم إلّا آية من آيات هذا الدين القويم - اذ اسسها المخلصون من اهله - المتمسكون بحبله السالكون لحزنه وسهله - اهل العزائم النافذة الماضية والصوارم القابضة القاضية - والهمم العالية الغالية - فرسان الحراب - وليوث الطعان والضراب رضي الله عنهم.... وقد كانت في غابر الزمان مأوى العلماء والصلحاء - واذا ذكروا فليس إلّا التسليم ولكنها الايام اذا اعطت اخذت) اه ملخصا من معجم البلدان ج 4 ص 420 طبع صادر - كتاب البلدان لليعقوبي طبع ليدن 1891 ص 347 - تقويم البلدان لابي الفداء طبع باريس ص 144 - 145 - المعجب 355 - 356 - تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 277 - 284 - المقتطف غرة افريل عام 1897 - رحلة البلوي خ - رحلة العبدري خ ص 95 -

يا سيدي وانا فهمتك كأنك تقول المؤمن لا يزال يترقى من مقام الى مقام حتى يترقى الى مقام الصديقية فاذا وصل اليها فليس بعدها الا مقام النبوة والنبوة متعذرة بعد موت نبينا صلى الله عليه وسلم فانشرح وقال لي : صدقت هذا المراد فافقت من نومي وخفف الله عني وانشرح صدري وأولت ذلك وخرج الامر كما ذكرته وأولته وفهمته وكان الشيخ يذكر عن الشيخ شيخه الامام انه يعظم امر الشيخ سيدي عثمان القرنبالي (1) وسلم له حاله ويذكر عنه أمورا وان الشيخ قرأ معه وما ظهر منه من الاحوال له الا بعد قراءة وجد وكان شيخنا قال : سمعت منه ذلك لما ولي قضاء الجماعة قال في مجلسه : وقد رأيت الشيخ سيدي عثمان في حياته وقبلني وانا صغير وقال لي : يا قاضي الجماعة بهذه قال فخرج ما ذكر مما شاهدتم بعد ستين عام قال الشيخ وأجازني شيخنا الامام في جميع مروياته وفيما رواه عن شيوخه مثل الشيخ ابن عبد السلام والشيخ ابن سلامة والشيخ ابن الحباب (2) والشيخ الابلي وغيرهم مما أجازوه فيه كتبا ، من اشياخ المغاربة على السند الذي ذكرنا في سند شيخنا الشيخ ابي القاسم البرزلي رحمه الله .

ومن اشياخ الشيخ رحمه الله الشيخ الامام القاضي قاضي الجماعة العالم الصالح ابو مهدي عيسى الغبريني وكان يحبه ولازمه بعد موت شيخه وأخذ عنه وأجازه قال : وقد حضرت عند شيخنا الامام ابن عرفة وهو يروي عليه البخاري بالجامع الاعظم والراوي سيدي عيسى رحمه الله بلفظه وحدث به عن أشياخه الشيخ الرحال ابو عبد الله محمد بن جابر (3) وحال الشيخ سيدي عيسى رحمه الله في علمه وورعه وشدة خوفه وحرمته قد تواترت به الانقال وسلمت له فحول الرجال .

ومن اشياخه رحمه الله الشيخ الفقيه العالم المتصوف القاضي ابو عبد الله محمد القلشاني قال : قرأت عليه ولازمته وكان يقرأ عليه العشر والحديث ويتحدث عن حسن تفسيره وبلاغة لفظه وحسن وعظه وهو ايضا من تلامذة الشيخ ابن عرفة رحمه الله تعالى ومن كبارهم .

---

(1) عرف بالصلاح وشهد له ابن عرفة والبرزلي بالمكانة العلية والقدم الراسخة في الولاية والكشف لغرائب وعجائب ظهرت منه اه 232 من ابتسام الغروس

(2) محمد بن يحي بن عمر المعافري التونسي اخـــذ عن ابن زيتـــون واضرابه واخذ عنه ابن عرفة الجدل والمنطق والنحو ونقل عنه في مختصره كما اخذ عنه المقري والبلوي وعرف به واثنى على تآليفه وهو احد مفـاخر تونس كان نظـارا محققا له باع في المناظرة والجدل عديم النظير في ذلك وله تفوق في الاصول وعلوم العربية وهو من الشعراء المفلقين والكتاب البليغين يجمع الى ذلك جمال الخلـــق والخلق مع حضور بديهه ولي رياسة التحـــرير بديوان الانشـاء اول امره ثم ولى وجهته شطر التعليم فعكف على التدريس وكان لا يعجب إلّا بمن كان ذا ذهن ثاقب ومشاركة حسنة مغرما بالرحلة لا ينظبط بمكان وجرت بينـه وبين ابن عبد الســـلام مناظرات ومن تآليفه شرح المقرب استقى منه ابن هشام في شرح التسهيل ولـــه اختصار المعالم . دخل يوما على الملك الحفصي فانشده الملك :

لقد فاتك الجدي يا ابن الحباب　　وخبز سميذ كثير اللباب
ولم يبق منه سوى عظمـــه　　فـذاك لعمـــري

فبادره ابن الحباب بقوله : طعام الكلاب ففي كلامه تورية وهو عجيب في بابه لكنه لا يحسن ان يكون مثله مع ملك فقد قيل اذا لاعبت الملـك فاجمل الادب . وفيه حق اللعب وتوفي ابن الحباب بتونس سنـة 749 قـــال ابن عرفة : حضرت جنازته وكنت سادس من حضر لانه توفي في ذلك اليوم السكوتي فضاق الفجاج لمن حضر جنازته لان منزلة ابن الحباب عند العـــامة لا تكون بذلك - اه تاريخ الدولتين للزركشي 73 - درة الحجال 210 ج 1 نيل الابتهاج 239 شجرة النور 209 تاريخ ابن كثير ج 12 ص 251 خريدة القصر ج 1 س 189 - 200 كتاب الروضتـين للعماد ج 1 ص 324 - النكت العصرية 43 - حسن المحاضرة ج 1 ص 321

(3) في نخ (ع) زيادة (وغيره) بعد قوله ابن جابر .

(4) ابو عبد الله محمـــد ابن عبد الله القلشاني البـــاجي ثم التـونسي منسوب الى قلشانة بفتح فسكون وبشين معجمة وبعد الالف نون قال ياقوت : مدينة بافريقية أو ما يقاربها وكذلك ضبطها صاحب الاعلاق النفيسـة وبين انها موضع المحرس لمن خرج من القيروان وقدم اليها يظهر انه اسم لموضعـين احدهما القريب من القيروان والثاني بباجة واليه ينتسب المترجم له وبيتهم ببـــاجة من كبار البيوتات تخرج منها العدول المؤلفون واقطاب مبـرزون في التدريس والقضاء

ولي المترجم له قضاء الانكحة بتونس والتدريس بمدرسة عنق الجمل عـام 813 - وكان تخرجه عن ابن عرفة وابن حيدرة واخذ عنه جماعة منهم ابنـــاه احمد وعمر والثعالبي وقد انتفع به كثير وولي خطة الانشاء للمـولى ابي فارس الحفصي وولادته كانت في ذي القعدة عام 753 ووفاته في ربيع الثاني عام 836 - اه شجرة النور الزكية ج 1 ص 244 - معجم البلدان ج 4 ص 389 - طبع صادر الاعـــلاق النفيسة لابن رستة طبع اروبا .

(5) في نخ (ع) المعلقي بدل المغامي .

ومن اشياخه رحمه الله الشيخ الفقيه العالم العلم ابو العباس احمد المغامي من كبار تلامذة الشيخ ابن عرفة ايضا وكان من خيار العلماء فصيحا خطيبا مشاركا في العلوم ، والشيخ يذكره ويثني عليه وقد ذكر ذات يوم بمجلسه وسئل عنه فعظمه وسئل هل قرأ عليه بلفظه قال : قرأت عليه ورقات من البيضاوي ومن اشياخه الشيخ الفقيه المؤرخ الامام ابن خلدون (1) ذكر انه حضر مجلسه وقرأ عليه ومن اشياخه الشيخ الامام شيخ الشيوخ سيدي ابو القاسم البرزلي وكان يعظمه ويحبه وقد اجازه أشياخه وبعث له كبار شيوخ المشارقة باجازته ومن غريب ما في اجازته ان المجاز اسمه محمد وكذلك من اجازه اسمه محمد بسند متصل الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك في سند رأيته بخطه رحمه الله ودخلت في اجازته كذلك وقد سمعت عليه حديث الرحمة روي عليه في مجالس وعظه بسنده مرارا ونختم به التأليف ان شاء الله وقد اجتمع علماء مشائخ وردت على الحضرة العلية فذكرهم وظهر علمه لهم وعظموا قدره وقد ذكر لي الوالد رحمه الله - قال : قدمت على الحضرة العلية فيما يقرب من عام ثلاثين فلقيت الشيخ الصالح الامام علم الاعلام سيدنا أبا عبد الله محمد بن مرزوق فسأله عمن ادرك من العلماء بالحضرة فذكر جماعة واطال في الشيخ الامام ابي حفص عمر رحمه الله لانه لازمه وأخذ عنه قال : ثم قال : وانقض علي عقاب بمخالبه فما تخلصت منه الا بكد كبير وهو الشيخ الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن عقاب رحمه الله ولم يعين للوالد مسألته معه فبعد ذلك علمت بسبب ذلك من تقييد وبحث فيه شيخنا رحمه الله رأيته بخطه وقد كنت حاضرا عند شيخنا رحمه الله في رواية البخاري عشية وكنت تلك الليلة رويت عليه بلفظي لغيبة ولده الذي كان يرويه فاذا بالامير المكرم الشيخ المحترم الولي ابي عبد الله محمد المسعود نجل امير المؤمنين ابي العباس احمد رحمه الله تعالى (2) وقد قدم على الشيخ في روايته فقام بحقه ثم صار ينظر الى

---

(1) ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر الحضرمي الاشبيلي ولد يوم الاربعاء غرة رمضان سنة 732 بتونس وبها كانت نشأته سمع من الوادي آشي وقرأ القرآن على عبد الله بن نزال افرادا

رجمعا والعربية عن ابيه وابي عبد الله السائري والفقه عن ابن عبد السلام ومن شيوخه عبد المهيمن الحضرمي والابلي شيخ المعقول بالمغرب وبرع في العلوم وتقدم في الفنون ومهر في الادب والكتابة ونبغ في التاريخ والاجتماع وولي كتابة السر بفاس ورحل الى غرناطة سنة 760 وولي العلامة بتونس ثم ولي الكتابة بفاس وسجن سنة 758 نحو عامين ودخل بجاية فراساه صاحبها فدبر اموره وبعد وفاته استدعاه صاحب تلمسان ولم تطل بها اقامته ثم استدعاه عبد العزيز بفاس فمات قبل دخوله اليها فقبض عليه ثم خلص فسار الى مراكش وتنقلت به الاحوال ثم رجع الى تونس سنة 780 فاكرمه سلطانها ووقعت سعاية ضده لديه فتحين الفرصة وفر الى الشرق في شعبان سنة 784 فنزل القاهرة وولي قضاء المالكية بها ثم عزل وولي مشيخة البيبرسية ثم عزل عنها وولي القضاء مرارا آخرها في 26 رمضان سنة 808 فباشره ثمانية ايام وادركه الحمام فجأة يوم الاربعاء ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر وكان ممن رافق العسكر الى تيمورلنك وهو مفصول عن القضاء واجتمع به واعجبه كلامه وبلاغته وحسن ترسله ، وصنف التاريخ الكبير في سبع مجلدات ظهرت فيه فضائله ومقدرته وتجلت بين صفحاته ولاسيما المقدمة براعته وبعد نظره وقوة تفكيره ودقة تحريره .

وكان لا يتزيا بزي القضاة بل استمر على طريقته التي كان عليها في بلاده ونعته ابن الخطيب بقوله : رجل فاضل جم الفضائل ورفيع القدر اصيل المجد ووقور المجلس عالي الهمة قوي الجاش متقدم في فنون عقلية ونقلية كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط حسن المعاشرة فخر من مفاخر المغرب ، وصفه بهذا والمترجم له في حد الكهولة وكان يسلك في اقرائه طريقة المتقدمين ناكبا عن طريقة الاعاجم ويقول : ان اختصار الكتب والتعبد بالالفاظ من محدثات المتأخرين والعلم وراء ذلك كله وقد وقعت بينه وبين ابن عرفة منافرة أوجبتها المعاصرة وكانت فيما يظهر السبب في ارتحاله الى مصر ، ومن تآليفه القيمة شرح البردة وتآليف في المنطق وتلخيص المحصول للرازي ولخص كثيرا من كتب ابن رشد والف في الحساب واصول الفقه .

(2) احمد بن محمد بن ابي يحي بن ابي بكر ولي في 12 ربيع الثاني سنة 772 عرف بالدين والعقل وتميز بالشجاعة والادراك والفضل وأحسن ما صنعه لتوطيد اركان الدولة أن قطع دابر الاعراب وقضى على شوكتهم وانتزع ما بأيديهم من الولايات وعقد لابنائه عليها وعندما نزل النصارى على المهدية وجه اليهم ابنه ابا فارس فكانت له اليد الطولى ودحرهم فرجعوا عنها خائبين وتوفي رحمه الله يوم الاربعاء ثالث شعبان سنة 796 ودفن بالقصبة ، الخلاصة النقية ص 76 طبع المطبعة الرسمية سنة 1283

روايتي وكلامي مع الشيخ رحمه الله فسأله عني هل انا تونسي فقـال له : هذا ولد الحـاج صاحبنا فلان التلمساني فقـال له ، ياسيدي فقهاء تلمسـان رأيتهم في مجلس مولانا المرحوم ابي فـارس رحمه الله فرأينا منهم ناسا فضلاء احدهم الشيخ الفقيه الصالح ابو عبد الله محمد بن مرزوق فاثنى الشيخ عليه كثيرا فقال له : سيدي هل تكلمت معه فقال له : لما بلغني انه عزم على السفر اردت التبرك بالكلام معه فقيدت مسألة من الرهوني فدخلا للفائدة منه فاجابه فراجعته وعلمت ان الرجل من كبار العلمـاء وكنت وقفت على المباحثة ونظرنـاها مع كبار الطلبة فوجدنـا للشيخ كلاما عظيمـا اجراه على قواعـد فقهية ومنطقيـة واصولية في مراجعته للشيـخ رحمه الله وعظمه الشيخ وظهر عليه التسليم له فلما اختصر شيخنـا رحمه الله وعلمت منه انه اخفى نفسه وحقرها تواضعا قلت له ، ياسيدي سمعت من الوالد رحمه الله انه لقي سيدي ابـا عبد الله محمد الشيخ المذكور ببـاجة (1) فسأله عن علماء الحضرة فذكر ماذكرته اولا فاستحيي الشيخ وصار يقول : استغفر الله ما أنا والله أقاربه في علوه (2) وأنا اصغر فقال له الامير المذكور : بل أنت معدود عندنا وعند علماء الحضرة من كبارها دينا وعلما وحال شيخنا يطول ذكره ويصلح تأليفا مستقلا في غرائبه وفضائله وسمعته يقول حين قرأت عليه الرسالة : في تكبير صلاة العيدين في قوله في الاولى يكبر سبعا بتكبيرة الاحرام وفي الثانية يكبر خمسا غير تكبيرة القيام وان الشيخ ابن عرفة ظهر له سؤال وجواب في ذلك وهو في المكتب وكذلك يذكر عن شيخه ابن عبد السلام وكذلك يذكر عن الشيخ نفسه رحمه الله.

ومن أشياخنا بالحضرة العلية الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام ابي النجـاة سالم البطرني حضرت عليه كثيرا في تفسيره وروايته وكان من خيـار اصحاب الشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله واقعد الناس بتاريخه وكان يحبه ويدخلـه لداره ويحب والده لانه تفقه عليه واملى له ما شرح به ابن الحاجب الاصلي وكان شيخنا هذا رحمه الله كثير النقل عن الشيخ والتعبد بالفاظه والتقييد عنه في نكته وقد سكن داره بعد موته ونظر في جسمه باذنه وكان اذا ذكر عنده لا يسكت عن فضله

---

(1) باجة بفتح الباء الموحدة والف وتخفيف الجيم ثم هاء وهي من المشترك اذ تطلق على خمسة مواضع الاول ببلاد الاندلس تتصل ببلاد ماردة الثاني باجة القمح بافريقية الثالث باجة الزيت بافريقية بناحية بلاد الساحـل الرابع قريـة

باصبهان الخامس قرية بجهة الفيوم بالبلاد المصرية و مراد المؤلف هنا باجة القمح التي تبعد عن تونس بمائة و خمس كيلو متر وهي مدينة كبيرة تبعد عن البحر بمسيرة يوم وبينها و بين بونة : عنابة نهر مغيلة قال الادريسي و بها عين في وسطها ينزل اليها بادراج ومنها شرب اهلها و بينها وبين طبرقة مرحلة عليها سور حصين وبينها وبين القيروان خمس مراحل قال في صلة السمط وتفسير باجة في لغة العجم (السلم)

وقال البكري فيها : مدينة كبيرة كثيرة الانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان واشهر عيونها عين الشمس تحت سور المدينة ولازالت الى الآن وهناك باب ينسب اليها فيقولون : باب عين الشمس و بداخل حصنها القديم عين عذبة غزيرة ومياه حماماتها كلها من العيون اذ عيونها كثيرة جدا و لها نهر كبير من جهة المشرق الى القبلة دائم الجريان يسمى (وادي كساب) وارضها جيدة للحبوب وتسمى هري افريقية وهي مجتمع لرواد الابل و البقر و الغنم والخيل و البغال والحمير واذا كثر خير باجة عم الرخاء افريقية اذ هي عمدتها في هذا الامر وقال العبدري في رحلته: مدينة باجة قد جرعها الدهر أجاجه قد هتكتها الايدي العادية وفتكت بها الخطوب المتمادية حتى صارت و هي حاضرة بادية فخشوعها لائح و ضراعتها بادية ثم يقول بعد ان ذكر أنه لم يقم بها الا أصيل نهار : وما رأيت بها من له الى العلم انتماء او لهمته نحو المعارف ارتقاء سوى الاديب النحوي ابي علي حسين بن محمد الطبلي) ملخصا من تقويم البلدان لابي الفداء ص 140 ــ 141 طبعة باريس صلة السمط ـ رحلة العبدري خط ـ الحلل السندسية للوزير السرج ص 194 رقم 4966 من المكتبة الاحمدية .

(2) في نخ العبدلية احضر

ومما وجدته مكتوبا بخطه، ان الفقيه الاجل الشاعر ابن الحبل انشد ابياتا في مدح الشيخ رحمه الله يقول فيها :

اذا فسر التنزيل أعجز أو عزا   حديثا فلا يسأل زهير ولا عبد

ونقل عنه رحمه الله انه كان كثير الرد على المتيطي(1) ورأيت بخطه مكتوبا وسئل سيدي عيسى الغبريني عن رجل اسمه احمد أعمر ولده ابا بكر في ربع مدة حياته ثم يرجع الى عقبه الادنى المذكور بعد موته ثم الى عقب العقب المذكور فقط فقال فتوفي احمد الجد ثم توفي محمد عن غير عقب فهل يرجع الى الجد ويورث عنه او يرجع الى اقرب الناس بالمحبس قال : يرجع الى ورثة المحبس على مذهب مالك وجميع اصحابه يسئل عنها ابن خلف الله وذكر في السؤال ان المتيطي ذكر في كتابه اذا كانت العمرى معقبة على مجهول فلا يجوز شراؤها للمعمر لانها ترجع مراجع الحبس الى اقرب الناس بالمحبس فقال : انها تورث عن احمد قال وسئل عنها ابن عرفة رحمه الله فقال: هي عمرى تورث عن احمد وما ذكره المتيطي لايلتفت اليه ولقد اكثرت يوما النقل عن المتيطي بالمدرسة الشماعية عند شيخنا ابن عبد السلام فقيل لي كان الشيوخ او بعض الشيوخ يقول : لا اضعف من فقه موفق نعوذ بالله من الاقتصار عليه او نعول في الفتوى عليه قال ولقد اخطأ في مسائل منها ما وقع له في التصيرات ورأيت بخط شيخنا

---

(1) ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الانصاري السبتي الفاسي نعته صاحب شجرة النور الزكية بالامام الفقيه العمدة الكامل المحقق المطلع العارف بالشروط وتحرير النوازل، تفقه بفاس بابي الحجاج المتيطي ولازمه كما لازم بسبتة ابا محمد التميمي وكتب للقاضي عمران. الف كتابا كبيرا في الوثائق سماه النهاية والتمام في معرفة الوثائق والاحكام وهو عدة المفتيين والقضاة واختصره ابن هارون ووفاة المتيطي كانت مستهل شعبان عام 570 اه شجرة النور ج 1 ص 163

هذا رحمه الله في خطبه مختصره كل كمال في الحقيقة له وكل نقص ولو بالمجازمنفي عنه قال هذاالكلام وقع لابن سينا في رسالة له نحو الثلاثة اوراق وتعقب الناس عليه ذلك لان النقص لا يتحقق في البري لاحقيقة ولا مجازا فكيف صح للشيخ قوله ورايت لشيخنا هذا رحمه الله تعالى مسائل وفوائد عن شيخه وغرائب وابحاثا ونكتا يصلح لها تقييد وتاليف مستقل(1) وقد ذكرت ان شيخه اجـازه في جميع تواليفه وحضر لقراءة كثير منها وحضر عليه بعضها اصولا ومنطقا وفقها وقرأ بعضها عليه وحضر لقراءة التفسير ختمة كاملة الا بعض آية وحضر لختم مسلم وذكر انه لازمه ثمانية عشر عاما وانه قرأكثيرا من المدونة وغيرها بلفظهوحضر الحديث والمؤطا وابن الحاجب واجازه في ذلك كله وفي جميع مروياته وحدثه بسنده وهو بعض ما اشرنا اليه فيسند الامام البركة ابي القاسم البرزلي رحمه الله وحدثه بالمدونة عن شيخه ابن سلامة عن القاضي ببجاية (2) ابن الشيخ الزواوي اجازه بسنده الى سعيد (3) ورواه عنه من طريق آخر قال حدثني عنه ابن غريون (4) عن ابن صالح وابن الاخضر عن ابي بكر محمد ابن عتيق عبد الله عن عياض (5) عن الطليقي (6) عن جماهير (7) عن ابن سعيد ،

واما البردة فاجاز بها الشيخ الامام اجازة عن الشيخ الرحال الوادي آشي عن الشيخ الراوية المرحوم ابي عبد الله محمد التوزري (8) عن المؤلف (9) - واما البخاري ومسلم فقد مناسنده عن الشيخ المذكور حيث ذكرنا سند الشيخ البركة ابي القاسم البرزلي،

ومن اشياخ شيخنا المذكور العالم ابو عبدالله محمد البطرني واجازه في مروياته وانشده ابياتا فى الشفاء حيث اجازه فيه وذكر فيه سنده عن الشيخ ابى عبد الله محمد بن حيان الا انه انشد لنفسه في سند الشفاء كما نذكره وقد قدمنا ذلك في سند الشيخ الا مام البركة ابي القاسم البرزلي رحمه الله ووجدت بخطه انه قال : اوصاني الشيخ رحمه الله شيخنا ابن عرفة فىمرضه الذي توفي فيه بتاريخ الثامن عشر لشوال عام اثنين وثمانمائة ودخلت الى بيته وانا وحدي قال فتكلم بما نصه ،

يافقيه ابي عبد الله لي عليكم حق ولاتركت معكم اولادا ولا اهلا ولاقرابة اوصيكم بتقوى الله تعالى وبالتحفظ والاجتهاد في الربع الذى حبسته على اهل القرآن قلت له : نعم ياسيدي فقال : نسأل الله ربنا ان يبارك فيك

ويرزقك القبول ويختم لك بالاسلام والله يابني لولا لزوم الادب مع السنة ماكنت اتمني الا الموت ولكن السنة لقوله صلى الله عليه وسلم (اللهم احينا اذا كانت الحياة خيرا لنا وتوفنا اذا كانت الوفاة خيرا لنا)وكان يقول هذا وهو خاشع خشوعا كليا فلما رأيته رقت نفسي وقبلت قدميه وانصرفت عنه وتزايد رحمه الله عام ستة عشر وتوفي عام ثلاثة في هذا القرن وتوفي شيخنا عام ثمانية واربعين من هذا القرن وظهرت فيه اجابة الدعوة من شيخه بلاريب كان له قبول وحرمة قوية وقضاء حاجة واكرام لاهل العلم وقيام بحق الشيخ في حبسه كما يجب وكان الخاتمة خيرا واطال الله عمره وتوفي عن سبعة وثمانين عاما عمر شيخه رحمه الله وكثيرا ماكان يعتكف رحمه الله بمسجد دار الشيخ سيدي محرز ابن خلف (1) نفع الله به في آخر عمره ويروي عليه الشفاء بخلوة الشيخ رحمه الله تعالى وذكر انه انشده شيخه الشيخ الصالح ابو الحسن محمد البطرني عن شيخه ابي عبد الله عن شيخه ابي عبد الله محمد بن احمد بن حيان لنفسه رحمه الله في سند لكتاب الشفاء ،

أأحبابنا هذا الشفا ... بالقرب فى سند الشفا
بيني وبين عياضه ... شيخان من اهل الصفا
شرف الوجود بأسره ... قرب النبيء المصطفى
صلى عليه الله ما ... شفع الحبيب وشرفا

(2) بكسر الباء كما في القاموس وفتحها كما في معجم البلدان مع تخفيف الجيم المفتوحة ثم ياء مفتوحة بعد الف وتسمى الناصرية نسبة لبانيها الناصر بن علناس في حدود سنة 457 وهي من اشهر ثغور الجزائر على البحر الابيض المتوسط عند مصب نهر مسمى باسمها وقد كانت قاعدة المغرب الاوسط في دولة بني حماد وعلى نهرها بساتين ومنازه في شرقيها ـ تاج العروس ج 10 ص 31 كتاب البلدان لابي الفداء ص 136 معجم البلدان ج 2 ص 62

(3) في نخ (ع) ابي سعيد

(4) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن غريون الانصاري البجائي قال في نيل الابتهاج عالمها وخطيبها ـ 232

(5) ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي من اهل سبتة واصله من بسطة ولد بسبتة في منتصف شعبان سنة 476 وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وقيل في رمضان سنة 544 ودفن بباب ايلان وقبره معروف الى الآن كان ثقة ورعا زاهدا عابدا متصلبا في الدين قوي العقيدة بعيدا عن البدع امام وقته في الحديث وعلومه واللغة والنحو وايام العرب وأشعارهم وأنسابهم وكل تآليفه بديعة تبين انه من اهل اليقين في العلم والذكاء والفطنة والفهم وله شعر رائق رائع وقد قال فيه العماد : كبير الشان غزير البيان .

دخل الاندلس لطلب العلم وعنايته بالحديث كبيرة استقضي ببلده مدة كبيرة حمدت فيها سيرته ثم ولي قضاء غرناطة سنة 532 وتفرغ للتآليف فألف كتاب الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى والاكمال وهو شرح لصحيح مسلم أتم به شرح المازري ومشارق الانوار في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاث الموطا والبخاري ومسلم في ثلاثة اجزاء وشرح حديث ام زرع والتنبيهات جمع فيه غرائب الفوائد والمدارك في تراجم اعلام المذهب المالكي ورتبه على طبقات وله فهرست تتضمن التعريف بمائة من اعلام العلماء من مشائخه الذين اخذ عنهم قراءة او سماعا او مناولة او اجازة وله الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع توجد منه نسخة بالمكتبة السندية واخرى بمكتبة آيا صوفيا رقم 433

وعياض بكسر العين المهملة واليحصبي بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرها وبعدها باء موحدة نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة من حمير والسبتي نسبة الى سبتة احدى المدن المشهورة بالمغرب الاقصى سميت بذلك لانقطاعها في البحر من قولهم سبت النعل بتاء مشددة اذا قطعته وقيل نسبة لرجل من ولد سام بن نوح اسمه سبت خرج من الشرق فتوغل في المغرب حتى انتهى الى موضعها فاعجبته فاختط فيها موضعا يعمره وهي مورد البرين بر العدوة وبر الاندلس في دخلة من البحر ومدخلها ضيق من جهة الغرب ولها

اسوار عظيمة من صخر وميناها شرقيها واذا كان هنـاك صخر ابصرت منها الجزيرة الخضراء من بلاد الاندلس وماؤها مجاوب ولها صهاريج وهي تبعد عن جبل طارق 17 كيلومترا ﻫ وفيات الاعيان ج 1 ص 496 كشف الظنون ج 1 ص 44 تذكرة النـوادر المحفوظة بالمكتبة الآصفية بحيـدر اباد الدكن ص 36 معجم البلـدان 5 ص 26 تاج العروس 1 ص 549 - ازهار الرياض 1 ص 29 - 37 تقويم البلدان لابي الفداء طبع باريس

(6) في نخ (ع) الطليطلي

(7) في نخ (ع) عن عتيق عن ابي سعيد

(8) في نخ - ع - التوزي

(9) شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعد بن حمـاد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي الدلاصي البوصيري ولد في هشيم من اعمال البهنساوية بمصر يوم الثلاثاء غرة شوال سنة 608 الموافقة لسنة 1211 ميلادية واصله من قلعة بني حماد

حفظ القرآن في ابوصير ثم انتقل الى الازهر واقبل على التعلم وفـاق غيره في الشعر وصارت له هيبة عظيمة في النفوس وكانت له اول بدايته مكانة وتقريب من السلاطين يمدحهم ويهجو اعداءهم ثم انقطع الى التصوف فسلك على يدي ابي العباس المرسي وظهرت عليه دلائل الرشد والهداية والتوفيق وله تصـانيف وهي : ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد والقصيدة الهمزية في المدائح النبوية المسمـاة بام القرى والكواكب الدرية في مدح خير البرية المشهورة بالبردة والكـلمة الطيبة والديمة الصيبة

وسبب قوله لقصيدة البردة انه اصابه فالج فاستشفع بها الى الله سبحـانه وتعالى وفي النوم راى النبيء صلى الله عليه وسلم فمسح بيده الشريفـة عليه فعوفي وخرج من بيته اول النهار واشتهر ذكر القصيدة ، ولما بلغت الصاحب بهاء الدين وزير الظاهر استحسنها ونذر ان لا يسمعها إلّا حافيا واقفـا مكشوف الراس وراى من بركتها امورا عظيمة وسبب اشتهارها بالبردة ان سعد الدين الفارضي اصابه رمد عظـيم فراى في منامه قائلا يقول له : امض الى الصاحب بهاء الدين وخذ منه البردة واجعلها على عينيك تفق إن شاء الله فطلبها منه فقال له : ليس عندي بردة فما عندي مديح الرسول صلى الله عليه وسلـم للبوصيري فنحـن نستشفـي به فاخرجها ووضعها على عينيه فعـوفي وهي مشهورة يتبـرك بها وجعلت عليها تخميسات وتسبيعات ونظائر وشرحت شروحا كثيرة لا تحصى واحسنها شرح ابن مرزوق اﻫ ملخصا من الوافي بالوفيات شـذرات الذهب ج 5 ص 432 كشف الظنون 1331 - هدية العارفين ج 2 ص 138 - جـامع الكـرامات للكوهن 81 - 82 بروكلمان ج 1 ص 264 - م 1 ص 467 - 472

- ٤ - ابو محفوظ محرز بن خلف بن رزيق بن ابي الظفر يربوع بن ابي الزيادة حنظلة بن ابي العرب اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه القرشي تخرج على شيخه البركة الصالح العابد الزاهد المرحوم المؤدب ابي محمد يونس بن محمد المعروف بسيدي يانس قبره بمسجد بنهج الكفصية من اهل الزهد والورع واجتهد في العبادة المتوفي يوم الثلاثاء 19 من المحرم سنة 500 ودفن بدار سكناه جوفي مدرسة الاندلس وتعرف بتربة الشيخ سيدي يونس مؤدب الشيخ محرز

قال الوزير السراج في حلله ج 1 ص 118 في تحلية سيدي محرز:

هو الشيخ الاستاذ الذي شحن بنفحات عوارفه الالباب وتغذى من مطاعم الاخلاص بخالص اللباب وفتح له بحضرة اللطائف اعرض باب وزين صفحات كاسات وصاله بانجم المناجاة فكانت بأفقها كالحباب جذبته انامل الاعتناء وادخلته في انامل الاسرار من اهم المقتنى الا وهو الحجاب الاحاطي بقصور العرفان والكوكب الذي قصرت عن مشاهدته العيان والمبحث الذي كلت عن وصول غاية غايته الاذهان والميدان الذي تأخرت عن النزول بطرق فيحائه الفرسان والكهف الذي استظل تحت جناح مدده مدد الثقلين زينة الملوين والغنية عن القمرين مالك زمام التوفيق والمتدارك كل منخرم بالتوفيق لا عيب فيه إلّا ان لحظاته تغني عن الاستاذ المربي وكل مطلوب لمراده ملبي المالكي مذهبا الصوفي ادبا البكري نسبا اذ هو على التحقيق ينتهي الى ذروة ابي بكر الصديق ذكر الوزير السراج ان جده للام التقى برجل بمكة ومعه ثلاث نوايات يحتفظ بها كالكنز لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اكل ثمرتها ولفظها ، واظطرت الرجل الحاجة الى بيعها فاشتراها الجد بثلاثمائة دينار وسلم نواة لكل واحدة من بناته وكن متزوجات رجاء ان تلد له ذكرا صالحا موفقا فولدت الاولى ابن ابي زيد والثانية ابا اسحاق الجبنياني والثالثة محرزا

كان رحمه الله دينا ورعا عظيم الخشية سريع الدمعة دائم الصوم كثير الحزن ذا مهابة وجلالة قال ابو زكرياء عبد الرحيم التميمي البخاري وهو من كبار العلماء الرحالين لم يدخل الاندلس من اهل المشرق احفظ منه للحديث قال عند دخوله على محرز بن خلف : لقد هبته يوم لقيته هيبة لم اجدها لاحد في نفسي من الناس .

كان في شبيبته يعلم القرآن بأريانة ثم سكن بعدها بمرسى الروم - المرسى - ثم قدم على تونس واشترى بها دارا بازاء باب السقائين وكان لايميل الا للفقراء والغرباء يتالفهم قال - ابو محمد من الله : كما نراه يلقى من يرد عليه من الزوار في المواسم وغيرها فيكبون عليه ويصافحونه ومن لايصل الى مصافحته يمس ثوبه

بيده ويقبل يد نفسه ومن لا يلحق يرمي طرف عمامته او حرامه ليمس ثوب المؤدب محرز ثم يقبله بعد ذلك ولا يضجر هو لكثرة توافدهم وتزاحمهم عليه وكان يتصبب عرقا ويظهر عليه التعب لذلك ولا يضيق بهم بل يكون اشد اغتباطا منهم به ونقل ابو الطاهر اتفاق الناس انه كان من اطيب الناس كلاما واحسنهم الفاظا وانه كان مطبوعا على الاعراب لاينطق الا بالصواب قال ابو القاسم البزازي النحوي جعلت بالي من المؤدب محرز فما وجدته لحن في كلامه قط.

ولما دخل القاهرة قرأ القرآن حزبي ولكن دلوني على اعلم القراء بالعربية فدلوه على ابن الاذفر فقصده وتردد عليه وقد كان للمؤدب محرز علم واسع بتعبير الرؤيا وهو اول من سن قراءة القرآن بعد صلاة الصبح ولما سأله ابو بكر بن احمد القرشي عن وجه ذلك قال . اشغلهم عن الخوض فيما يأثمون فيه ويحاسبون عليه وإنها من الامور المحدثة المستحسنة التي فيها مصلحة للعامة وقد قرا عليه ابرهيم بن خلف الموطا في يوم واحد الاكتاب الحج فقرا عليه بالغد وقرا عليه المدونة وكان السلطان والعظماء يردون عليه ويحضرون مجلسه ويسالونه الدعاء ومن دعائه قوله : اللهم احيني قبل الموت بالطاعة وحين الموت بالثبات على الاسلام وبعد الموت بالجنة ويقول : المؤمن يأكل ماحضر ويلبس ما ستر ويأخذ ما صفا ويترك ما كدر وكان اذا رأى الناس قد ضاقت صدورهم من جور ظالم او منكر فشا وقد استعدوا له تلى قوله تعالى : حتى اذا استيأس الرسول وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ويتلو ايضا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب)

توفى رضي الله عنه سنة 413 وسبب موته فيما قيل انه عرض له شقي بالليل وقيل سقي سما وقد جاوز السبعين ودفن بداره وترك اربعة ذكور واناثا عدة وكان ابنه محمد يصلي بالناس في مسجده ومات بعده ودفن عند رجلي والده.

وكانت السويقة التي عند داره تسمى باب السويقة وكان اسمها في السابق باب السقائين يباع فيها ويشترى من غير اعتراض سلطان
ومن شعره :

اذا ظالم قد عاهد الظلم مذهبا — وجار غلوا في علو اكتسابه
فكله الى ريب الزمان وجوره — سيبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم ذا راينا ظالما متجبرا — يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فلما تمادى واستطال بجوره — اناخت صروف الحادثات ببابه
وعوقب بالذنب الذي كان يجتني — وصب عليه الله صوت عذابه
فلا فضة تحميه عند انفضاضه — ولا ذهب يثنيه عند ذهابه

ومن غريب فراسة هذا الشيخ اني كنت دخلت عليه في آخر عمره في ليلة جهاز ابنته التي هي ام الاولاد ودخلت مع الوالد فسأل عن حالي هل عندي زوجة ام لا فذكر له الوالد أنها توفيت فتحسر وقال : سبحان الله لاعلم لي ولو كان عندي علم لزوجته هذه البنت لاني احببت ان يكون زوجها رجلا من اهل العلم فاراد الله تعالى ان الزوج توفي وتزوجتها بعد موت ابيها بيسير.

ومن اشياخي الذين اخذت عنهم وقرأت عليهم الشيخ الفقيه العالم ابو العباس (1) احمد البسيلي وكان شيخنا هذا عالما مشاركا عليه وقار وله تواليف عديدة وتصانيف حسنة له شرح على المدونة وعلى الخزرجية وعلى الجمل في المنطق وله تقييد على تفسير شيخه الامام ابن عرفة وكان عارفا بالمنطق حضرت

= وله قصيدة اشتهرت بحرز الاقسام مطلعها :

بدأت ببسم الله في أول السطر ... فاسماؤه حصن منيع من الضر

اه ملخصا من مناقبه لابي الطاهر محمد بن الحسين الفارسي والحلل السندسية للسراج خط قلم ج 1 ص 13 - 148 -

(1) ابن محمد بن احمد من تلاميذ ابن عرفة البرزلي وتخرج على ابي الحسن البطرني وابن خلدون والغبريني وتميز في التفسير له تفسيران جمعهما من شيخه ابن عرفة ويذكر المؤرخون ان الامير الحفصي الحسين بن احمد وكان من العلماء راسله في التفسير فماطله وامتنع فأعاد الامير الطلب وكلف رسله بعدم مفارقة البسيلي حتى يسلمه اليهم فلم يسعه اذاك إلّا أن اخذ منه جانبا من سورة الرعد الى الكهف ودفع لهم الباقي فتوجهوا به الى الامير ثم مات البسيلي ومات الامير وبيع التقييد في تركته وسافر به مشتريه الى السودان ولم يعلم اهل تونس بما وقع فلذلك كان اصل نسخه من نسخة السودان ومنها انتشر وقد كان عنده مطالبته به اختصر منه تقييدا صغيرا جدا هو الموجود بين الناس، وقد ذكر في اول تقييده أنه اول من حضر عند ابن عرفة عام 785 ووفاته كانت سنة 830 كما في الكشف واما ولادته فلم تعرف ـ نيل الابتهاج 77 ـ شجرة النور 251 الحلل السندسية للسراج ص 160 ج 1 بالاحمدية رقم 1966

مجلسه بالمدرسة الحكيمية (1) وقرأت عليه جمل (2) الخونجي بها وكان الرجل

---

(1) نسبة الى محمد بن علي اللخمي المعروف بابن الحكيم اللخمي المنتسب الى بيت العزفي الرؤساء بسبتة وسبب اتصاله بتونس ان اباه عليا كلف بالقراءة واستظهر علم الطب وفي عهد ابي زكريا الحفصي استقر بالثغور الغربية، ولما اصاب السلطان في بعض ايامه وجع عجز الاطباء عن مداواته فجمعهم وكان علي من بينهم لاعادة النظر في حالة الامير ففكر علي في ذلك المرض وتخير دواءا لم تم به الشفاء فوقع من السلطان احسن موقع واستخلصه لنفسه وصارت له في الدولة المكانة البالغة والمقام المحمود الذي لا يجاريه فيه احد حتى صار يدعى بين رجال الدولة بالحكيم وعرف ابنه من بعد وقد نشأ محمد هذا في حجر الدولة وكفالتها ورضع مع الامير ابي بكر ولما بلغ اشده صرف اليه رئيس الدولة يعقوب بن عمر وجه اقباله الامر الذي رشحه للرياسة فيما بعد وقلد قيادة بعض الجند ثم عقد له ابو يحي بعد مهلك ابن عمر على ناحية باجة وكانت من اعظم الولايات في الدولة الحفصية، ولما تغير الامير على ابن سيد الناس دفع محمدا للفتك به فكمن له مع عصبة من بطانته في حجرة من حجرات رياض رأس الطابية ولما مر بهم وثبوا عليه وشدوه وثاقا ووضع بسجن برج القصبة وتولى ابن الحكيم عذابه الى ان هلك فأولاه السلطان مكانه على الحرب والتدبير وفوض اليه فيما وراء الحضرة فاضطلع بمهمته واحسن الخلفاء والولاية ثم مال الى الاستبداد واحتجان اموال السلطان فاضمر له السلطان الانتقام وعندما آل امر الحجابة الى شيخ الموحدين ابي محمد ابن تافراجين وكانت بينه وبين ابن الحكيم منافسة وكان يتربص به ففاوض السلطان في ذلك وكان ابن الحكيم مشتغلا بتدويخ جهات جبل اوراس واقتضاء مغارمه وكذلك ارض الزاب وريغ وتيقرت وامتلأت ايدي جنوده من المغانم وسمع بولاية ابن تافراجين الحجابة فنكر ذلك اذ كان يظن امرها يؤول اليه فاغذ السير نحو العاصمة ولم يدر بخلده ان المؤامرة قد حبكت اطرافها ضده فدخل منتصف ربيع سنة 741 وجلس له السلطان جلوسا فخما فقدم هديته وبعد انتهاء ذلك وتفرق الجمع وصل السلطان الى بابه واذ ذاك اشار الى بطانته فاحدقت بابن الحكيم ووضع بالمحبس وتولوه بالعذاب لاخراج الاموال فاخرجها وقدرها اربعمائة الف من الذهب العين ومثلها من الجوهر والعقار وبعد ذلك خنق بمحبسه في رجب سنة 744 وغرب ولده مع امه الى المشرق . 316 - 2 من آثار الادهار

كثير الصمت قليل الخوض فيما لايعني عليه آداب العلم من وقار وسكينة وكان يقري بسقيف داره كثيرا وتقصده الطلبة تسألـه عن المسائل المشكلة وكان يحدثهم عن شيخه الشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله تعالى، ولازمته شهورا في قراءة المنطق وغيره،

ومن اشياخي من تلامذة الشيخ ابن عرفة شيخنا ابو عبد الله محمد الرملي وقد قدمنا ماقرأنا عليه وقيدناه عنه

ومن اشياخي الذين حضرت مجلسهم من نزل بالحضرة الشيخ سيدنا ابو القاسم العقباني وكتب بخطه وتحت اجازة الشيخ شيخ الشيوخ ابي القاسم البرزلي وكذلك كتب مثله الشيخ العالم المحدث الحاج الرحال سيدي ابو القاسم العبدوسي وسنذكره بعد فيما حضرناه عنده وما رأيناه منه ،

ومن اشياخي من تلامذة الشيخ ابن عرفة رحمه الله ايضا الشيخ الفقيه المحدث الراوية المصنف شيخنا ابو محمد عبد الواحد بن الشيخ الفقيه العالم ابو عبد الله محمد الغرياني (1) حضرت بمجلس تفسيره بمسجده عند داره وله تواليف عديدة وروايات للكتب كثيرة واخذ عن مشائخ فقهاء جلة واجازوه

= (2) قال في كشف الظنون ج 1 ص 602 : الجمل في مختصر نهاية الامل في المنطق لافضل الله محمد بن ناماور (عبد الملك) وشرحه الشهاب ابو جعفر احمد المعروف بابن الاستاذ الندرومي التلمساني ممزوجا سماه ـ كفاية العمل ونظمه محمد بن مرزوق التلمساني المتوفى سنة 842 وهذب الشيخ برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي ذلك المنظوم وحرره وفرغ منه في 13 رجب سنة 861

(1) فقيه محصل من العدول المبرزين ودرس وجرى بينه وبين ابن عرفة خلاف في مسالة القبطان المكاسي ووقع في ذلك بحث لابن عرفة مع الابي وغيره ـ شجرة النور 226 ـ

من الحضرة ومن الاندلس ومن المشرق وله همة علمية في العلوم وله قلم عجيب في مشاركة المنقول والمعقول واجازه الشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله تعالى .

ومن اشياخي بالحضرة العلية الشيخ الفقيه العالم العلم الفياض المفتي ابو محمد عبد الله بن سليمان البحيري حضرت مجلسه في قراءة العربية وقراءة الفقه وقراءة الاصول والتفسير والحديث ورواية البخاري وله رحمه الله مشاركة تامة وفي علم القراءة فائقة وفي العربية قوة ومكنة وفي معرفة الرجال حفظ وغزارة وسمعت منه نكتا عجيبة عن مشايخة وكان يحدث عمن رآه بالاندلس والمغرب والحضرة واخذ عن الشيخ الفقيه العالم الحافظ الشيخ ابن علان والشيخ الفقيه العالم ابن جزي والشيخ المحقق فقيه عصره ابي عثمان سعيد بن لب ويسمى شيخ الشيوخ بالاندلس وعلى فتاويه واحكامه اعتمادهم الى الآن وذكر لهم انهم اجازوه وان بينه وبين الشيخ ابي حيان رجلا واحدا وحضر كتاب سيبويه على مشيخة الاندلس واخذ عن الشيخ الامام القيجاطي رحمه الله وقدم على الحضرة العلية فوجد بها مشائخ جلة واصله من بلد بني (1) زرت وسافر مع ابيه وكان

---

(1) وقيل نبزرت بتقديم النون ضبطها ابن سعيد بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الزاي المعجمة المهملة وفي آخرها تاء مثناة من فوق بالساحل الشمالي كان اسمها اليوناني هيبوزرو بتونس وهي واقعة على نهر يجري في شرقيها وعليه بحيرة حلوة في جنوبها وبحيرة مالحة في شرقيها تصب كل واحدة منهما في الاخرى ستة اشهر فلا الحلوة تفسد بالمالحة ولا المالحة تعذب بالحلوة وذكر العزيزي ان الشتاء اذا جاء كثرت السيول على البحيرة الحلوة فتفيض على المالحة وتمدها واذا جاء الصيف قل المد عنها وغارت واشتغلت عن المالحة الى ايام السيول قال الادريسي وطول المالحة ستة عشر ميلا وعرضها ثمانية والحلوة اربعة اميال في مثلها قال في المعجب : ولها شان غريب وذلك انه يخرج في بحرها كلما طلع هلال نوع من السمك لم يكن في الشهر الذي قبل ذلك هذا متواتر عند اهلها لايختلف فيه منهم احد والمتفطنون من الصيادين يعرفون الشهور باختلاف السمك عليهم وان لم يروا الاهلة . وهذا منسوب الى الطلسمات اعني به من عنى بخدمة القمر . ملخصا من المعجب ص 352 - قاموس الجغرافية القديمة لاحمد زكي 20 - تقويم البلدان لابي الفداء طبع باريس - 142 - 143-

ابوه تاجرا وقرأ وهو كبير السن واتى الحضرة فقيها قال رحمه الله : دخلت على الشيخ الامام القاضي قاضي الجماعة شيخنا ابي مهـدى عيسى الغبريني وسلمت عليـه وذكرت له اني اردت الحضور عنده قال : فقـال لي : ياولدى ان شاورتني فما ادلك ان تحضر الا عند شيخنا الامام البركة ابن عرفة ليحصل لك المشيخة عنه وان افسح الله في الاجل تدرك الحضور عندى وهذا من نصيحته رضي الله عنه قال : ثم اتيت الى الشيخ بالجامع الاعظم وسلمت عليه وسألني عن المشائخ بالمغرب والاندلس وقال : أين عزمت عن الحضور ؟ قلت ياسيدى عـزمت على الحضور عندكم فاني شاورت سيدي عيسى على الحضور فدلني عليكم قال : فظهر سرور على الشيخ الامام ابن عرفة ودعى لسيدى عيسى بخير ، قال : وكنت ادخل عليه بدويرية الجامع واجده ينظر دول الميعاد فدخلت عليه ذات يوم فقال لي : يافقيه عبد الله ذكر لي أنك أتيت بنسخة عظيمة من كتاب سيبويه قلت : نعم قال: اتيت بها الان لان ابا حيان وجدته نقل عن سيبويه كلا ما اعتقد خلافه فيه من حفظي القديم قال : فاتيت بالكتاب ونظرنا فوجدنـاه كما ذكر ابو حيان قال فقلت : ان الشيخ كان يتقن علم العربية من القديم وحضرت له ذات يوم رحمه الله واتى اليه رجل بسفر من تأليفه في اصول الفقه وكان سرق له فلما حصل في يده قام واستقبل القبلة وقال : والله مابعته ولا خرج من ملكي بوجه من الوجوه وقال : هذا الذي يلزمني ، قال ؛ وما رأيت مجلسا مثل مجلسه ولا جمعا من الطلبة مثل طلبته قال ؛ وادركت عنده الشيخ الفقيه الامام ابا عبد الله محمد الوانوغي وكـان هو اكبر تلامذته قال :وكنت احضر عنده بالعشية يقـرأ عليه علم العربية فحضرته فيقول له : نستغفر الله مـن هذا وحضـرت لمحنته رحمـه الله تعالى حتى سافر الى المشرق وكان كثير البحث مـع شيخه الامام في مختصره قوي العارضة في بحثه فلما توفي الشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله تعالى حضرت عـن تلميذه الشيخ الامام العالم قاضي الجماعة ابي مهدي عيسى الغبريني رحمه الله وكان من خيار العلماء قوي المشاركة شديد المناظرة كثير العبرة شديد الهيبة قائما بالسنة مجالسه مجالس علم وورع وزهد وخشية عـارفا بالاحكام والحلال والحرام له مشاركة في العلوم العقلية واللغوية والفقهية ولما امتحن بالقضاء وكثرة الاحكام وكان

يقول : لو استقبلت من امري ما استدبرت ما كنت اقرأ الا الفقه والاحكام وبقي معيدا عند الشيخ ابن عرفة رحمه الله اثني عشر عاما فى كتب المعقول وكان قوي العبادة قواما صواما لا يخاف في الله لومة لائم قال : ولما راجعته في السترة في قدر ما بين المصلي والسترة وخالفته في ذلك واكثرت عليه وذكرت نص الحديث قال : امر علي بالسجن واستحليت ذلك منه لانه كان قريب العهد بموت ولده فما وجدت عليه فلما اتيت اليه قال ياولدي سامحني واستغفرلي وبكى رحمه الله تعالى قال : ولقيته يوما خارجا من المسجد وعلى وجهه اثر صفرة قوية فسلمت عليه وسألته عن حاله فقال لي ياولدي :

محال ان تعيش بغيرهم ... ودار الهم انت بها مقيم

والمرء فى سفر واي مسافر ... لا يعتريه من الطريق غبار (1)

وقال جعفر الصادق : من طلب مالم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق والذي لم يخلق هو الراحة في الدنيا فقلت له : يا سيدي انشدني بعض اشياخ الاندلس ،

عش موسرا ان كنت أو معسرا ... لابد في الدنيا من الهم

وكل ما زادك من نعمة ... زاد الذي زادك في الغم

قال ووجدت مجلس الشيخ فيه علماء أخيارا أبرارا وجميع من كان عند الشيخ الامام رجع اليه بعده قال : وحضرت عليه تفسيرا من كتاب الله تعالى وكتاب مسلم والموطا وكثيرا من المدونة وغيرها ورواية البخاري وحضرت له يروي على الشيخ البخاري لنفسه واجازني في ذلك كله رحمه الله تعالى وفي جميع مروياته ،

(2) ومن اشياخي بالحضرة العلية الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام ابي النجاة سالم البطرني حضرت عليه كثيرا في تفسيره ورواياته وكان

---

(1) فى نخ (ع) غبار

(2) من قوله ومن اشياخي بالحضرة الى قوله ومن اشياخي الموالي له غير موجود في نسخ (ع) والملاحظ ان ما رسم من الزيادة الواردة بالنسخة (ن) هو ما ذكرته هنا على ما هو عليه من النقص .

من خيرة اصحاب الشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله وأقعد الناس بتاريخه وكان يحبه ويدخله لداره ويحب والده لانه تفقه عليه واملى عليه شرح ابن الحاجب الأصلي وكان شيخنا هذا رحمه الله كثير النقل عن الشيخ والتعبد بألفاظه والتقييد عنه في نكته وقد سكن داره بعد موته ونظر في حبسه باذنه وكان اذا ذكر عنده لايسكت عن فضله ووجد مكتوبا بخطه ان الاجل الفقيه الشاعر ابن الحبل ،

ومن اشياخي الشيخ الفقيه العالم العلم القاضي ابو عبدالله محمد الزنديوي رحمه الله تعالى وقد منا قراءتنا عليه في حال الصغر ونذكر الآن حضوري عنده في الكبر وقد حدثني رحمه الله عن رحلته من بلده فى اول قدومه قال وكنت صغير السن قد قرأت العربية وفهمت الا لفية وقدمت مع اخينا الفقيه الاجل الصالح ابي عبد الله محمد بن ابي بكر وكان قدم علينا من المغرب ودخلت الحضرة العلية في حياة الشيخ الامام ابن عرفة رضي الله عنه قال : ولما دخلت الحضرة لم اعرف بها احدا ولم يعرفني احد ولا علمت أين اهتدي ولا على من أقرأ عليه وكان فى علم العربية قال ؛ فصليت بالجامع الاعظم وجلست مع بعض الطلبة وسألته فقال لي :

اذا رأيت الطلبة يخرجون من الجامع بعد صلاة العصر: فاتبعهم فجلست حتى صليت العصر فرأيت جماعة كثيرة خرجوا فخرجت إثرهم فوجدت رجلاعظيما وله هيبة ومع مجلسه جماعة يمينا وشمالا وبين يديه فجلست آخر الطلبة فقرأ عليه رجل ابن الحاجب وقرأ عليه آخر دولة في الاصول ثم ختم القراءة بالالفية فقلت : هذا علمي قال : فما وجدت للالفية لهم بها غاية فقرأ طالب ابياتا من التمييز فكأنه لحن وغير المعنى فتردد الشيخ في فهم المعنى لاجل لحن الطالب وتصحيفه فأردت الكلام فاستحييت وعلاني عرق فتكلمت وقلت : نعم يا سيدي البيت لفظه كذا فتأمل الشيخ ذلك فقلت : معناها ، كذا وكذا ذكر شارحها المكودي واعربها فقام علي اهل مجلسه ونهروني نهرة بأجمعهم قال : فاذا بالشيخ رحمه الله قال لهم : ظلمتوه والله إن الصواب معه والكل غفلنا واخطأنا فسألت من الشيخ ؟ فقيل لي : الشيخ ابو عبد الله الوانوغي كبير

طلبة الشيخ ابن عرفة قال : فلما فرغ الشيخ جلست في المجلس آخر الناس حتى فرغ الباب من الازدحام ثم خرجت وحدي فوجدته واقفا عند باب المسجد فلما رآني رمى بيده على يدي وقال : يا فقيه بارك الله لك من ايـن انت ؟ فقلت له: من بلد قسنطينة فقال لي : واي وقت قدمت ؟ قلت له : لي نحو الجمعة فقال لي الشيخ : قدمت مع الطالب الفرضي الحيسوبي الذى قدم من فـاس ؟ فقلت له : نعم قال لي : على من قرأت ؟ قلت : على السيد الشيخ الفقيه ابن سعيد فقال : أخي قرأ معي على سيدنا الشيخ ابن عرفة كيف حـاله ؟ فقلت له : توفي ومـا قدمت الا لاجل موته فبكى وقال لي : يا ولدى لازم القـراءة والحضور لنـوفي لك حق اخينا فانك ابن اخي فقبلت يده ثم انصرفت فلما كان بالغداة جلست بالجامع مع بعض الطلبة فقالوا : اين حضرت ؟ فذكـرت لهم ذلك فقالوا : انت غرامك بالعربية وما تجد شيخا يطول عليك القراءة فيهـا إلا سيدى ابا عبد الله محمد المدغري يقري المقرب والجمل وسيبويه والشيخ الذى ذكرته عـالي العلم كثير المشاركة لا تحصل لك قوة في العربية عنده فعزمت على ما ذكـروه لي فمررت الى مجلس الشيخ ابي عبد الله محمد المدغـرى فوجدته غدوة يقـري بالجامع بالسبالة وتحضر عنده خلق كـثير في علم العربية فوجدت غرضي فلازمته نحو الشهر وانا استحي ان يلقـاني سيدى ابو عبد الله محمد الوانـوغي فلما كان ذات يوم لقيته راكبا على بغلة له فلما رأيته هربت الى زنقة حياء منه فرآني فتبعني وناداني يا فقيه فـأتيت اليه وانا فى غاية الحشمة فقال لي : يا ولدي وصيتك فهربت إن كانت غيبتك في القراءة فهذا خير فقلت : نعم يـا سيدي انا اقرأ فقـال لي : عند من ؟ فقلت عند سيدى ابي عبـد الله محمد المدغري فاني وجدت مجلسه بسيطا لفهمي عنه فقال لي : الحمد لله هذا أخونا الله يعينك فلماكان من الغداة حضرت عند الشيخ المدغري فناداني وقال لي : يا ولدي وأي شيء يكون منك سيدى ابو عبد الله محمد الوانوغي ؟ فقلت له : ما يكون مني ولا بيني وبينه نسب فقال لي : البارحة قرع علي الباب وقال لي : نوصيك على ابن اخي فانه يحضر عندك وصفته كذا وكذا فعامله بالله فقلت :

يا سيدى كنت اقرأ على اخيه في العلم سيدى محمد بن سعيد فبكى الرجل وقال : جزاك الله خيرا هذه صفة المؤمنين واخلاق الصالحين قلوبهم طاهرة وافعالهم للخير ظاهرة واذا رأيت حالنا في زماننا وتخلقنا بخلق اهل النفاق وصفة اهل الشقاق فى حسدنا وغيرتنا وقلة معرفتنا وقوة جهلنا وبعد خشيتنا تتمنى ان العلم لم تكن حاملا له ولا ناظرا فيه لانه انما زاد عن الله بعدا ولم يرجو طالبه من الله فيه رفدا نستغفره سبحانه من سوء حالنا ونرغب منه ان لا يردنا على اعقابنا وان لا يزيغ قلوبنا بعد هدايتنا قال شيخنا المذكور فلما تمليت (1) من القراءة رجعت الى بلدي ثم اتيت بعد ذلك الى الحضرة العلية وقرأت بها على اشياخ جلة وكذلك ادرك ببلده اشياخا اكبرهم شيخه الفقيه الامام ابو عبد الله محمد الخطيب واجتاز على بلده أشياخ من خيار علماء المغرب قال : كلهم أخذت عنهم ثم طال عمره واستقضي ببلده ثم عزل ثم رجع اليها ثم استقضي بالحضرة ودرس بالشماعية وحضرت عليه مدة روايتنا عليه البخاري سماعا واجازنا عن شيوخه فيه وفي غيره وقيدت عليه نكتا من فوائده رحمه الله

ومن اشياخي الشيخ الفقيه الحافظ العالم القاضي قاضي الجماعة ابو العباس احمد القلشاني (2) رحمه الله وقد ذكرت ابتداء الحضور عليه في تفسير كتاب الله وكتاب مسلم وقرأت المعتمد عليه والرسالة وكثيرا من كتب المدونة ختمناها وابن الحاجب وكان يقرئه بشرحه عليه وهو شرح جامع وقد سمعت عن

---

(1) تملل ، ضجر وسئم ومنه الملال : فتور يعرض للانسان من فرط مزاولة شيء فيوجب الكلال والاعراض عنه .

(2) ابن محمد بن عبد الله بن محمد ولد سنة 757 قرأ على الغبريني وعلى محمد القلشاني وابن عرفة وقرأ عليه القلصادي كان فقيها اماما مفتيا مدرسا صنف تحرير المقالة في شرح الرسالة وشرح مختصر الفقه لابن الحاجب فى سبعة اسفار وله شرح على المدونة ولم يكن اعرف منه بمذهب مالك ولا من يستحضر النوازل والاحكام مثله ودرس التفسير والصحيحين والتهذيب والجلاب والرسالة وابن الحاجب ولي قضاء قسنطينية عام 822 وبقي فيه زمنا طويلا ثم ولي قضاء الجماعة بتونس والتدريس بالمنتصرية يوم الثلاثاء 29 جمادى الثانية سنة 851 كما ولي

شيخنا الامام ابي حفص عمر رحمه الله أنه لما كان قاضيا بالانكحة ووقعت به نازلة فلم يجد ذلك في الكتب التي نظرها فذهب الى دار اخيه الشيخ المذكور وطلبه في تأليفه في النكاح قال : فنظر ساعة فوجد النازلة فذكرها وانها وقعت وافتى المشائخ فيها بذلك قال ؛ فاستبسر (1) الشيخ وقال له : يا سيدي عملت معك قسنطينة خيرا في تأليفك لهذا الكتاب وكان سيدى عمر يقول له : يا سيدى لانه اكبر منه سنا وكان ذات يوم سيدى عمر في مجلس جامعه يقري ونحن حضور بين يديه فاذا بسيدى أحمد اخوه قدم فأجلسه في مجلسه وأخذ يفسر المدونة فاذا نقل شيئا يقول له : ياعمر نص ابن رشد ما اذ كره لك فسلم له ولا يرد عليه ويعظمه قال رحمه الله لي: بعض ايام قدمت الى تونس من باجة في حياة الشيخ الامام ابن عرفة فسلمت عليه فسألني هل وقفت على الوالد فقلت ياسيدي لايمكن ذلك فانك مقدم عليه لانك شيخه فاستبسر ذلك وطلبته في سفر من مختصره فاخرج لي سفرا فيه الاقضية والشهادات وقال لي هذا الذي وجدت لك فكان ذلك فراسة منه رحمه الله قال لاني بقيت في القضاء أزيد عن خمسين عاما قال : وسمعت من والدي رحمه الله حين سألته عن فقهاء افريقية فعدد لي اناسا في حياة الشيخ ابن عرفة ولم يذكر الامام ابن عرفة فقلت ياسيدي واين الشيخ ؟ فقال لي يا ولدي انت سألتني عن فقهاء افريقية او عالم الدنيا؟ لو سألتني عن عالم الدنيا لقلت لك الشيخ ابن عرفة قال ثم لازمت شيخنا الشيخ الفقيه القاضي قاضي الجماعة ابامهدي عيسى قال: كان يحبني قال : وكنت ارى مجلسه مجلس هيبة لايستطيع احد الكلام فيه الا بأدب ووقار والشيخ له قوة في العلوم قال : وكنت اتعجب من صاحبنا الفقيه ابي •

= الخطابة والفتيا بجامع الزيتونة يوم السبت 27 رجب سنة 858 والتدريس بالمدرسة الشماعية توفي رحمه الله يوم الاحد عند الغروب ثامن شعبان سنة 863 هـ 1459 م وصلي عليه من الغد بالزيتونة بعد الظهر ودفن بالجلاز وحضر دفنه السلطان ابو عمرو - درة الحجال ج 1 ص 38 - شجرة النور الزكية ج 1 ص 258 - الحلل السندسية خط قلم .

(1) بمعنى فرح .

القاسم (1) ابن ناجي وكان يحضر مجلسه واذا قرأت المدونة عليه يقول : يا سيدي حفظكم الله قيدها بعض من لقيناه ينون العظمة بحضرة الشيخ فعلمت مقداره عنده وهو كذلك فاني ما رأيت احفظ من الشيخ ابن ناجي وهذا الشيخ الفقيه ابو القاسم ابن ناجي رأيته وجلست معه وكان يأتي من بلده ويحضر بالمدرسة الشماعية وياتى بتواليفه وربما جلس مع الطلبة النجباء وصححها وله اطلاع في الفقه وحفظ كبير وكان شيخنا سيدى ابو القاسم يعظمه رحم الله الجميع قال شيخنا المذكور : حضرت عند الشيخ رحمه الله التفسير وكتاب مسلم والمدونة ورواية البخارى وقراءة الموطا واجازني في ذلك كله كما اجازه شيخه وكان يحضر عنده جماعة من خيار العلماء احدهم الشيخ الفقيه ابو محمد عبد الله الباجي وكان زاهدا عابدا وكان الشيخ يعظمه قال : وكنت ذات ليلة نظرت مسألة في المقدمات لابن رشد في الايمان وحفظتها فلما كان بالغداة سأل رجل عن نازلة فوجدتها هي التي رأيت فتردد الشيخ فيها ولم يذكر نصا ونظر الى الطلبة فما اجابوا بشيء فقلت له : حفظكم الله تعالى البارحة حفظت

---

(1) ابو الفضل وابو القاسم قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني اخذ بالقيروان عن الشبيبي وبتونس عن ابن عرفة والغبريني والبرزلي والابي ويوسف الزعبي وقاسم القسنطيني والوانوغي وعمر المسراطي وابن قليل الهم وابي الفضل السلاوي وابي علي الشنواني وابن بندار المرادي ومحمد بن ابي بكر الفاسي، اشتهر بالفقه واستحضار المدونة وفروع المذهب ولي القضاء بمدن عدة كباجة وجربة والقيروان والاربس وتبسة وقابس وسوسة والمنستير وعرف بالعدل في قضائه ونبغ في معرفة الاحكام والنوازل والتأليف كان من الحفاظ النظار وتخرج عليه حلولو وغيره ومن تآليفه شرحان على المدونة عليهما المعول في المذهب وشرح على الرسالة وشرح على الجلاب اختصر معالم الايمان ووفاته كانت بالقيروان سنة 838 اه البستان 149 - شجرة النور الزكية ج 1 ص 244 .

(2) كذا في نخ (ع) وهي التي يستقيم معها السياق في قوله فقام الفقيه عبد الله المذكور وفي نخ (ن) ابو عبد الله محمد الباجي كان مدرسا بمدرسة المعرض بتونس .

نازلة من ابن رشد اذ كرها لكم لعل النازلة يكون الحكم فيها ما ذكره فذكرت النص فقام الفقيه عبد الله المذكور ونهرني وقال لي : ليس الامر كذلك وما هي النازلة فاسكته الشيخ وقال لي : اعد الكلام فاعدته فتأمله وقال : هي النازلة فقام الفقيه المذكور ورد على الشيخ فرأيت من الشيخ فرحا شديدا وسرورا فقال له : لاتخطىء الناس و لخطأ معك تجهلهم جهلك الله واجاب بما ذكرته رحمه الله .

وذكر الشيخ رحمه الله انه اجتمع بمشائخ كثيرة واجازني فيما حضرت وفيما رواه من شيخه واذن لي في النقل عنه في تواليفه التى الفها وكان رحمه الله أخر عن قضاء الجماعة ولازمته بعد ذلك وقال لي مرارا . ما يجيء من هذه الطلبة شيء البركة فيك ورايته في المنام مرارا واخبرني بامور خرجت كيف ذكر وانشدنا ابياتا في اجازته رحمه الله وعمره رحمه الله زاد على التسعين عاما وكان كثيرا ما يدعو بقوله : اللهم احفظنا من الخطأ والزلل في الاعتقاد والقول والعمل .

ومن المشائخ الذين نفتخر بحضور مجالسهم وكانت البركة بسببهم الشيخ الامام شيخ الاسلام والعلامة المحقق البركة وحيد عصره وفريد دهره سيدنا وشيخنا الفقيه القاضى العالم العلم قاضى الجماعة ابو حفص عمر القلشانى رحمه الله نجل الشيخ الامام ابي عبد الله محمد وقد حضرت والده وسمعته يفسر لما مرض رحمه الله تعالى وجلس للتفسير شيخنا المذكور شيخ التحقيق و بيان الطريق وما رأيت مجلسا أعظم من مجلسه ولا أشد حرمة من هيبته ولا منظرا احسن من مشيخته ولا ترتيبا احسن من ترتيبه، له يد في العلوم العربية والبيان والمنطق واصول الفقه واللغة وجميع ما يحتاج اليه العلماء في علم التفسير وغيره وله ابحاث وترجيحات وذكر بعض كبراء تلامذته قال : وكان والده رحمه الله يجلس للتفسير ويجلس عن يمينه ولده شيخنا ابو العباس احمد وعن يساره شيخنا ابو حفص عمر وكان يقع بينهم بحث كبير ويتهلل وجه الشيخ والدهما قال : فقلت للشيخ : يا سيدي والله مانخاف الا من اعين الحساد فقال . الحفظ بالله تعالى ثم قال ولا شك ان اعين الحساد مؤثرة وانشد

كل المصائب قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضي أيامها ... وشماتة الاعداء بالمرصاد

وحضرت على شيخنا رضي الله عنه كثيرا بمجلس العشية في قراءة المعقول والمنقول وحضرت كتاب الارشاد بشرحه للمقترح وكتاب ابن الحاجب الاصلي اكثره بقراءة ولده عليه الشيخ الفقيه العالم القاضي المفتي المدرس الخطيب الاعدل ابي عبد الله محمد (1) وكان يحبه وكانت له مشاركة تامة في المعقول وغيره وقد أجلسه في حياته للاعادة وحضرت اكابر الطلبة وحضرنا عنده (2) وله فهم وذكاء وفطنة وكان اصحاب والده تعظمه وكبارهم ويعظمون شيخهم تعظيما عظيما وحق لهم، منهم الشيخ الاجل العالم ابو العباس (3) الصايغ وكذلك الشيخ الامام العالم الحافظ ابو الفضل (4) المعلقي وكذلك الشيخ الفقيه العالم القاضي ابو عبد الله محمد الجباس وكذلك الشيخ الفقيه العالم العلم الصالح

---

(1) اخذ عن والده وعمه والبرزلي ولي قضاء الجماعة بتونس بعد صرف عمه احمد عنه سنة 859 واقام به سبعة عشر عاما توجه لمصر وولي الخطابة بجامع الموحدين وله فتاوى نقلها صاحبا المعيار والمازونية واعتمداه فيها توفي في جمادي الثانية سنة 890 وقد نعته صاحب شجرة النور بالامام الفقيه العالم المحقق العمدة الماجد المؤلف المدقق اه شجرة النور الزكية ج 1 ص 259 - نيل الابتهاج 323

(2) في نخ (ع) (معه وظهر منه حسن تفسيروفهم وقد ظهرت عليه اثار والده وعمت عليه البركة في حياته وبعد مماته وبلغ في الخطط الى منزلته وقد عاشرنا وحضرنا معه كثيرا وحضرنا عنده وله ذكاء وفهم وفطنة وكانت اصحاب والده الخ)

(3) في نخ (ع) السائغ

(4) محمد بن محمد التميمي اخذ من امام المغرب محمد بن مرزوق قال ابن سلامة في حقه : شيخنا الامام العالم العلامة الحافظ المحقق اراد رحمه الله ركوب البحر من تونس في مركب فاخذ الفال في المصحف فوقع له ((واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون)) فترك الركوب في ذلك الوقت فغرق ذلك المركب ثم انه اتى مركب اخر فاراد الركوب فاخذ المصحف ونظر فوقع له قوله تعالى ((وقال اركبوا فيها ،، الاية)) فركب ولقي السلامة - نيل الابتهاج 312 -

ابو اسحاق ابراهيم الاخضري وكذلك الشيخ الفقيه العالم الصالح المدرس ابو عبد الله محمد الواصلي وكذلك الفقيه العالم القاضي ابو العباس احمد النخلي وكذلك الفقيه النحوي ابو عبد الله محمد الصور وغير هؤلاء من اعيان طلبة المغاربة وغيرهم ممن يرد على مدرسته بقصده لان الناس قد ضربوا له اكباد الابل في زمنه من جميع البلاد لانفراده بالسداد في عصره اذا تكلم في علم من العلوم اسكت الحاضرين بعلمه وفصاحته وحسن تفسيره وسمعته يقول ذات يوم وهو يفسر قوله تعالى، عشرة كاملة فبعد ان ذكر دررا وحقق غررا قال: قيدوا(1) يابها ليل لاغناكم (2) تندموا، جمعت هذا المجلس من سبعة عشر تأليفا بتحقيق فكان الشيخ الامام سيدي ابو عبد الله محمد الواصلي رحمه الله يقول: ما ندمت على شيء الا على قلة تقييدي عن الشيخ وكنت اظن ان عمره يطول فيأتيني خير كثير وما علمنا قدره الا بعد موته وابتلينا بالتفسير والاقراءواذا اشكل علينا امر لانجد من يحله لنا وكذلك كان يقول الشيخ سيدي ابراهيم رحمه الله بعد ان قدم للتدريس وكان اصحابه هم بدور فقهاء الحضرة ونجومها إذا قدم عليها سابق يصير من اهل اللواحق وقد قدم اليه ورحل له الفقيه الاجل اخونا المحقق ابو عبد الله محمد (3) المشذالي وكان من اهل النظر السابقين في الفهم والسبق

---

(1) جمع بهلول وهو في الاصل السيد الجامع لكل خير ولكن المراد هنا من كلام الشيخ المعنى العرفي وهو المغفل

(2) كذا في الاصل ولعل الصواب لعلكم .

(3) ابن ابي القاسم المشذالي البجائي راس علماء بجاية ومفخرة فقهائها والمرجع في الفتوى كان محققا نظارا ولي الخطابة بجامعها والافتاء بهـا اخذ عن ابيه وعرف بالصلاح والفضل وتخرج عليه ابو القاسم محمد وابو الفضل محمد وابن الشاط والكفيف ابن مرزوق وابو الربيع المناوي وله بـاع في التحقيق وبراعة في الفتوى والتحرير نقلت فتاويه في المعيار والمازونية ومن تآليفه اكمال حاشية ابي المهدي الوانوغي على المدونة في اربعة اجزاء واختصر البيان والتحصيل لابن رشد رتبه على مسائل ابن الحاجب وشرحه في اربعة اجزاء ابدع فيها الابداع كله واختصر ابحاث ابن عرفة المذكورة بمختصره المتعلقة بكلام ابن شاس وابن الحاجب وشرحه توفي ببجاية سنة 866 وقد مات ابنائه قبله ـ الضوء اللامع

بالقدم في العلوم فوجد بدورا ملي قلبه بهم سرورا فطابت نفسه في رحلته وحسنت سريرته في نقلته فقال : لو لم يكن لي في رحلتي الا رؤية هذا الشيخ الاعظم وهذه الجماعة التي هي بالمقام الاكرم ، وكان قوي المشاركة صحيح المذاكرة مهما مارس شخصها ورأى غيره وناظره وجدهم حلقة مفرغة لا يدري اين طرفاها في كمال العلم والشرف وقد بات معهم الليالي ذوات العدد وينقطع الليل في ابحاث واسئلة دقيقة واجوبة رشيقة وكنا نجتمع معه كثيرا في المذاكرة وكذلك الشيخ الفقيه المفتي المشارك المحقق اخونا ابو يعقوب يوسف الاندلسي وكان يحبه وله مباحثات كثيرة وقعت معه ومذاكرات جيدة وقعت له وقد سمعنا كثيرا من البخارى برواية ولد شيخنا المذكور على شيخنا المذكور وحضرنا لختمه وكان والدي يحبه ويكرمه ودخلت عليه ذات يوم فوجدته جالسا عند رأس ولده وهو مريض فسلمت عليه فقال لي : السانية التي عند بئر الفسحة ملك لكم تعرفها ؟ فقلت : نعم قال : جزت عليها هذه الايام قال : فرأيت فيها عودا من التين التمري فدخلت واكلت منه لاني اعلم ان والدك صديق فاخبره فقلت : يا سيدي الوالد يفرح لهذا كما تعلم قال : نعلم ذلك وانا نحبه لمحبة شيخنا فيه الشيخ ابي عبد الله محمد بن مرزوق وحال شيخنا رحمه الله عجيب وعلم غريب ويقال : انه ما احيا مختصر الشيخ ابن عرفة رحمه الله الا هو وله فيه ختمات وأبحاث وتحقيقات واذا أشكل فيه شيء على الطلبة ويسألونه يستنير وجهه ويظهر عليه السرور ويشرحه كما يجب ثم يذكر ما فيه من البحث وذكر الشيخ ولده عنه رحمه الله انه كان يقول بعض الليالي : وددت اني كنت بين يدي الشيخ ابن عرفة مع تلامذته وسمعنا منه اشياخا يعددهم وعددهم في اجازاته واعظم المشيخة عنده مشيخة الشيخ الامام العالم العلم ابو عبد الله محمد بن مرزوق وقد اشرنا الى ذلك قبل هذا والشيخ المذكور هو الذي اشهر ذكره بالمغرب كله لانه كان شيخ الوقت في زمنه وكان الشيخ شيخنا ابو العباس احمد اخوه رحمه الله يقول : كان رجل من اهل القيروان من اهل الصلاح يقول لي : يا سيدي أخوك هو محمد ابن

سحنون (1) في زمنه فاستغربت ذلك ثم انه توفي رحمه الله في سن محمد بن سحنون ولما كان قريب زمان امتحنت بالقضاء رأيته في المنام عند مسجد الشعابين في حانوت بازاء المسجد فناداني فأتيت اليه فقال لي : يا ولدي الله الله في محمد ولدي أخيك فرقت نفسي في النوم لاجل ذلك ثم افقت وخرجت الرؤيا

---

1) ولد سنة 202 وقيل سنة 200 تخرج على ابيه وسمع من ابن ابي حسان وموسى ابن معاوية وعبد العزيز ابن يحي وحج سنة 235 وسمع بالمدينة ابا مصعب الزهري وابن كاسب وسلمة بن شعيب كان اماما في الفقه وتفرد بالذب عن مذهب اهل المدينة مع علم الآثار لم يكن في عصره احذق منه بفنون العلم وغلب عليه الفقه والمناظرة وكان يحسن الحجة وله معرفة باختلاف النـاس والرد على المبتدعة وفتح له باب الاجادة في التأليف مع الكثرة فقد بلغت تاليفه مائتي كتاب وعند ما تأمل محمد بن عبد الله بن الحكم كتابه وكتاب ابن عبدوس قال له في حق الثاني : هذا كتاب رجل اتى بمذهب مالك على وجهه وفي كتاب ابن سحنون هذا كتاب رجل سبح في العلم سبحا وقد اجتمعت فيه خلال قل ان اجتمعت في غيره مع كرم في المعاشرة والنفع للناس مطاعا جوادا بماله وجاهه وجيها عند الملوك والعامة جيد النظر في الملمات وقد ناظر اباه وقال سحنون : ما اشبهه الا باشهب وقال ما غبنت في ابني محمد الا اني اخاف ان يكون عمره قصيرا وكان يقول لمؤدبه : لا تؤدبه الا بالكلام الطيب والمدح فليس هو ممن يؤدب بالتعنيف والضرب واتركه على بختي فاني ارجو ان يكون نسيج وحده وفريد اهل زمانه .

تاليفه : كتابه الكبير الجامع لفنون من العلم والفقه نحو الستين كتابا ويشتمل على مائة جزء عشرون في السير، خمسة وعشرون في الامثال، عشرة في الادب، خمسة في القضاة، اربعة في الفرائض، اربعة في الاقرار، اربعة في التاريخ، وفي الطبقات والباقي في فنون العلم، وكتاب المسند في الحديث وكتاب السير عشرون جزءا وآداب المعلمين، ورسالة في السنة، وكتابه في تحريم المسكر ورسالة فيمن سب النبيء صلى الله عليه وسلم ورسالة في اداب المتناظرين في جزاين وشرح الموطا في اجزاء اربعة، والحجة على القدرية والحجة على النصارى وكتاب الامامة، والرد على البكرية وكتاب الورع وكتاب الايمان، والرد على اهل الشرك، وكتاب الرد على اهل البدع في اجزاء ثلاثة، والرد على الشافعي وعلى اهل العراق في خمسة اجزاء وكتاب التاريخ في ستة اجزاء، واحكام القرآن .

وكانت وفاته بالساحل سنة 256 وجيء به الى القيروان ودفن بها، اه - رحلة العياشي - شجرة النور الزكية 70 ج 1 الديباج المذهب 234 .

بما وقع فرحم الله الجميع وغفر للجميع بمنه ومن علم ان الدنيا دار فناء وبلاء وانقضاء اعطاها حقها وطلقها اهله ان يسلم من مشقتها وفقني الله والناظر في هذا لصالح العمل وصيرني واياه ممن قدم الزاد وعليه ارتحل.

ومن الاشياخ الذين حضرت مجلسهم وسمعت تفسيرهم وكتب خطه الشيخ العالم المحدث الحافظ الراوية ابو القاسم العبدوسي وحال هذا الشيخ وما رأيناه له من المسائل كثيرة يحتاج الى تأليف وكذلك حضرت مجلس الشيخ الفقيه العالم القاضي قاضي الجماعة ابي القاسم القسنطيني لتفسيره وروايته ولقراءة البيان والطب عليه وغير ذلك وقد رأينا مشائخ وقرأنا عليهم اصغر سنا من هؤلاء ولهم علم ورواية وفهم وتخلق وشاركناهم في اشياخ واهم منزلة وديانة، منهم الشيخ الفقيه ابو الفضل المعلقي وكان أحفظ اهل زمانه لا يجارى في حفظه في فقهه واصله، حضرت مجلسه وكان كثير الحفظ في الارشاد وشرحه وابن الحاجب وشرحيه الاصلي والفرعي ومختصر ابن عرفة وسمعت من الوالد رحمه الله قال : سمعت من الشيخ سيدي عمر انه قال : سابق المجاس عندي وقديمه ابو الفضل والفقيه احمد الصايغ والفقيه الجباس وكذلك الشيخ الصالح المتخلق العارف سيدي ابراهيم الاخضري كان من اكبر العلماء في رفع الهمة وحسن السيرة وطيب السريرة (1) وقد حضرت عنده مدة وحصل لي منه من كثرة التكرار والمجالسة والمذاكرة من علمه كثير خير لانه أقدم من عرفته وعرفه والدي رحمه الله من عام ثمانية وعشرين حيث قدم الحضرة العلية وكذلك الشيخ الفقيه العالم العلم المحقق المتخلق المحصل المدقق سيدي ابو عبد الله محمد الواصلي.

كان من سادات العلماء وقد قرأت عليه الرهوني (2) في شرح المقدمة قراءة

---

1) سليم القلب صافي النية.

2) يحي بن موسى الرهوني فقيه حافظ يقظ متفنن امام في اصول الفقه اديب بليغ مجيد اخذ الفقه عن احمد البجائي والاصول على الآبلي رحل الى القاهرة وتوطنها واسندت اليه خطة التدريس بالمنصورية والخانقاه الشيخونية وكان صدرا في العلم ذا دين متفنن انفرد بتحقيق مختصر ابن الحاجب الاصلي وله عليه

تحقيق وبيان للطريق وكذلك مسائل مشكلة في علم المنطق كنت اوردها من محالها وفكها رحمه الله وحلها وكان خيرا متواضعا صالحا اه في جنابي محبة واعتقاد وما زال على ذلك وما زلت على ذلك معه الى ان توفي رحمه الله وكان ربما يحشمني (1) من شدة تعظيمه وكذلك الشيخ ابو العباس احمد الصباغ وقد حضرت ابن الحاجب الفرعي بقراءة غيري لاكثره وقرأت بلفظي المختصر الديني للشيخ ابن عرفة قريبا من نصفه ولازمته رحمه الله وكان شيخه يشهد له وقدمه لقراءة ولده عليه في صغره.

هذا بعض ما استحضره فيما طلبه مني اصحابنا الفقهاء باختصار ففيه كفاية نرجوا به من الله الهداية.

وممن ادركنا من مشائخ الحقيقة التابعين للطريقة، الشيخ الصالح الولي ابو العباس احمد الماكري نزل بالحضرة العلية قاصدا للحج وكان قد اقام بها مدة ونزل بمدرسة ابن الحكيم وطلب من شيخنا ابي حفص عمر قراءة الارشاد فقرأه عليه وختمه في مدة قريبة وكان الوالد رحمه الله (2) ضيفه وتبرك به وادخله الى داره ودخل معه اناس من اهل العلم والخير فرغبوا من الشيخ أن يطعمهم لقمة لقمة بيده فاجابهم وأطعم الناس كلهم فاذا بالوالد قال: يا سيدي بقي ولدي فناداني واطعمني لقمة وانا آخر من أكل بيده فكان الامر انه ما بقي احد ممن اكل بيده الا انا وكان اذا دخل المسجد الجامع ترى الرجال والاولاد يأتون اليه ويقبلون يديه اظهر الله عليه المحبة والقى له القبول في الارض وذكر لي بعض المغاربة انه لما حج في العام الذي توفي فيه الملك الهمام سلطان الاسلام مولاي ابو فارس

=شرح حسن مفيد وتميز في المنطق وكان فيه اماما كما برع في علم الكلام وله تقييد على التهذيب يذكر فيه المذاهب الاربعة ويرجح مذهب مالك توفي سنة 774 او 775 - اه من القسم الثاني من درة الحجال ص 190 وقال في الديباج كان وقورا مهيبا متواضعا جوادا ذا سعة في الدنيا مؤثرا بها جامعا لخلال الفضل وحج مرتين اه ص 255

1) اي يستحي منه

2) انزله ضيفا عليه واكرمه

رحمه الله وغفر له قال للحاضرين في الموسم في يوم النحر : يا مغاربة الله يحسن عزاءكم في سلطان المغرب فأرخوا ذلك اليوم الذي توفي فيه رحمه الله في يوم عيد الاضحى وقريبا من هذا سمعت من بعض الفقهاء قال : صليت يوم العيد بجامع الزيتونة واذا بالشيخ الصالح ابي عبد الله (1) محمد جوجو قال للناس : أحسن الله عزاءكم يا اهل تونس وما عرف احد ذلك ثم خرج الى زاوية الشيخ الصالح ابي العباس احمد «ابو الصرائر» (2) وبكى وقال : يا سيدي من

---

1) بفتح الجيم الاولى والثانية وسكون الواوين كما ضبطت في نخ (ع)

2) هو احمد ابن عبد الله ابن محمد بن ابي بكر بن عروس الهواري من عرب تميم ولد بالجزيرة القبلية المعروفة بالمزاتين بوادي الرمل ابغض الناس اليه ارباب الدنيا واحبهم اليه الفقراء ذووا الخمول يجمع لهم الطعام ويخدمهم وكان شديد الاهتمام بارواء عطاش الحيوان فيملا لها من البئر الدلو ويقدمه اليها وكان صحيح البنية سويها وقبل بلوغه فر عن اهله وقدم الحاضرة ونزل بزاوية الشيخ محمد المحجوب عند جامع الهواء وعكف على قراءة القرآن بالالواح واشتغل بخدمة الزاوية ثم انتقل الى زاوية السواري وشيخها عبد الرحمان البنا رجود القرآن على محمد الكبيب بسويقة عساكر بتونس قرأ ختمة كاملة لورش وكان يحضر في درس الشيخ عبد الله الباجي بمدرسة المعرض ولازم خدمة مقام سيدي محرز ثم خدم نجارا للخشب بدار العود كما خدم نجارا بالزبوجين خارج باب السويقة ونجارا للمحاريث بقرية الانصاريين بجبل شعيب وخدم وقادا بفرن الكمال قريبا من زاوية المهدوي وبفرن زاوية عبد العزيز الطبلبي بطبلبة وعمل في البناء وبفرن القصيبة بينزرت وقد كان اقرباؤه يرون انه كفتهم بعمله ذلك معرة وامتهان وكان لا يقبل من الاجر الا ما يقيم أوده ثم انتقل الى باجة واظهر غاية التقشف والزهد ثم انتقل الى ميلة وادب بها الصبيان ومنها انصرف الى المغرب واقام بزاوية ابي مدين وربما دخل فاسا ووصل الى مراكش وسبتة واقام مدة طويلة بالمغرب ثم رجع الى تونس .

وكان رحمه الله حسن الهيئة نظيف الحال يلبس جبة من الصوف بيضاء ايضا ويلبس القبقاب شتاءا وصيفا ويصنع زمامه من الكلفاء ويشهد صلواته بجامع الزيتونة ثم تغير حاله الى التلويث ثم اتخذ الصرائر - جمع صرة فصر أولا صرة صغيرة في طرف كسائه ثم زاد فيها فعادت قدر الصاع ثم زاد فعادت قدر الويبة ثم زاد الى ان عظمت وصارت جملة صرائر فاخذ لنقلها خشبة علقها بطرفها وجعل يحملها

للارامل ؟ ومن للايتام ؟ من لطرقات المسلمين ؟ فاخرج رأسه من الطاقة (1) وخاطبه بما جرت به عادته : (لا تكن فضولي راجلها بها ما يضيع بها ولا شعرة) فرحم الله الاولياء (2) والاصفياء (3) أوتاد الارض (4) الذين ينزل الله بهم الامطار ويجري بهم الانهار .

ومن الاشياخ الذين شاهدناهم من أهل التصوف بالحضرة العلية الشيخ الصالح سيدى ابي عثمان سعيد السفريولي (5) من اهل الكشف (6) والولاية والصلاح والمعرفة حج سبعة عشر حجة أو اربعة عشرة حجة ولا يعلم بذلك الا القليل وكان من اهل الخشية حضرنا مجلسه وكلمته ورغبت دعاءه وسمعت تفسيره على طريق القوم (7) والفت تلامذته في مناقبه (8) ومناقبه كثيرة وكان يجلس ويسكن بالزاوية المعروفة بزاوية الشيخ ابي عبد الله محمد المغربي شيخ شيوخ المغاربة ومن زاويته ظهرت الخيرات وحلت البركات وكنت ذات يوم دخلت الجامع (9) الذي يقابل المدرسة المنتصرية يفتح للشرق بابه فوجدت الشيخ جالسا

= تارة على الكتف الايمن واخرى على الايسر ويمشي في سائر أزقة المدينة ولذلك اشتهر بلقب ابي الصرائر.

وليس لهذا لقبوه وانما	لما سوف يبدي من خفي السرائر
فابهم ايهام التماثل امره	ليخفي بين السرصاد الصرائر

وزاويته كانت قبل فندقا وكانت مجمعا للخناء والفسوق وذكر ان ولادته في حدود احدى وثمانين وسبعمائة ووالدته كانت من كريمات النساء واحسبهن اسمها سالمة من مسراتة وكان له اخوان عبد المغيث وابو بكر وكان هو أصغرهم وكان يعطف على المساكين فيقدم اليهم الطعام ويتولى شؤونهم بنفسه ويتلقى المسافرين لسقائهم بالماء في الصيف وكان اهل قريته منذ صغره ينادونه يا مرابط ثم يقول: ثم تغير عن تلك الحال وصار يباسط النساء ويخاطب البنات بما يئول اليه امرهن ، وكان ازهر اللون ضخم العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر ربعة الى الطول كث اللحية اشهل العينين عريض الوجه مستديره مع الجمال البارع في البنية الكاملة السوية والصورة القويمة وقد نعى نفسه قبل وفاته وكانت صبيحة يوم السبت ثامن صفر سنة 868 وهو صحيح البدن معا في وقد برز الدم من انفه وصلى عليه ابو العباس المسراطي ولم يتخلف عن جنازته الا من منعه عذر قاهر وحضرها ابناء الخليفة وتخلف هو لمرضه

به عشية وهو يبكي فسلمت عليه وسألني من أنت ؟ فذكرت له اسمي ونسبتي فعرفه ثم أخذ يده فوضعها على صدري وقال : يا ولدي الغريب لاينسى حظه من الغربة انا وانت غرباء والمستعان بالله وكان لما مرض الشيخ شيخنا ابو عبد الله محمد بن عقاب خرج مسافرا وقال : هذا الشيخ يموت ولا تسكن تونس بعده وذهب الى بجاية فاقام بها مدة وله مشائخ جلة ادرك الشيخ ابن عباد واصحابه وادرك مشائخ بالمشرق واخذ عن الشيخ ابن ابي الوفاء وعن الشيخ شمس الدين وعن الشيخ عز الدين المقدسي وذكر لي في النوم انه شيخه قبل محنتي بالولاية فاني رأيته بالمسجد الجامع الاعظم بعد مماته فقمت اليه فأمرني بالجلوس وقال لي ما نصه : اتيت لاسليك يا ولدي في الشيخ عز الدين فقلت له : شيخك قال :

= [1]) عامية ويراد منها النافذة

[2]) جمع ولي فعيل بمعنى فاعل من الولي بسكون اللام وفتحها بمعنى القرب عند المتصوفة ومعناه العارف بالله وبصفاته المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي والمعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وعلامة صحة طريق الولي متابعة النبي، في الظاهر. 1523 من كشاف مصطلحات الفنون

[3]) جمع صفي وهو المخاص في الود والحب لله

[4]) جمع وتد بفتح الواو والتاء يصح سكونها وكسرها وفتحها وهو في الاصل مارز في الارض للاعتماد عليه وفي اصطلاح الصوفية احد اربعة رجال تعتمد على منازلهم الجهات الاربع من العالم، المشرق والمغرب والجنوب والشمال، بهم يحفظ الله تلك الجهات لكونهم محال نظره تعالى . 1454 كشاف مصطلحات الفنون ويطلقون الغوث على القطب الذي الجأ الوقت اليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا والقطب عندهم اكمل اهل زمانه وهو موضع نظر الله من العالم

[5]) كذا في (ن) وفي (ع) السفريوي

[6]) الكشف بيان ما ينسترعن الفهم فيكتشف للعبد كأنه رآه عيانا

[7]) مر اسم الله وحدوده

[8]) جمع منقبة اي كرامة وهي الامر الخارق للعادة الواقع من شخص غير مدع للنبوة

[9]) هو الذي به قبر المؤلف بصحنه الخارجي كما تشاهده في الصور الذي اخذتها منه

شيخي كان يجمع بين النساء والرجال فانكر العلماء ذلك فاجابهم بان المفسدة اذا كانت معها مصلحة تربأ عليها فمفسدتهـا كلا مفسدة وانت يـا ولدي الاوليـاء أرادوا ان يتبعوك ساعة ترتاح عليها ساعات والسلام، ثم قـام ورأيت بعد ذلك وأنا بالمحلة المظفرة فكأني ما صدقت بالرؤيـا وقلت: كيف هـذه المصلحة مع هذا التعب والمشقة فغلبني النوم فدخل علي ونهرني وأراد ان يضربني وقال لي: ما تصدق بما قيل لك والله لولا الله تعالى لأزلت عند احرامي (1) رحمه الله وانتقل رحمه الله الى بجاية وتكلم في مسجدها باذن من الله تعالى ثم خـرج منهـا واخبر انه لا يدفن بها وانما يدفن بكدية (2) كذا قريبـا من بلدة قسنطينة (3) وقد رأينا له كرامات وءآيات رحمه الله.

ومن الاشياخ رضي الله عنهم الشيخ الزاهد العابد المتخلق الناسك الذي ادرك التـابعين في زهده وورعه ابو الحسن علي الجبالي رحمه الله ونفع به ما رأيت أخوف لله ولا أتقي منه ولا أعرف بطريق القوم منه له كرامـات كثيرة وحكايات غريبة وله صيام وقيام وزهد وقلة طمـع وشدة ورع وله أمر

---

(1) الاحرام: الحرام، لبس الشيوخ في الدولة الحفصية وهو نسيج غير مخيط ويقال له الدنفاسة

(2) الارض الصلبة الغليظة، او الصفاة العظيمة وتطلق على ما جمـع من تراب ونحوه جمع كدى

(3) يذكرها ابو الفداء باسم قسنطينة بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثنـاة من تحت ونون وهـاء وعن بعض المتـأخرين ان بعد السين وقبل الطـاء نونا وحينئذ تضم السين وتسكـن النون وهذا هو المتداول الآن وهي على نهر يصب في خندقها العظيم ويسمع بذلك دوي هائل ويرى النهر في قعر الخندق مثل ذئابة النجم لشدة ارتفاع قسنطينة عن خندقها قال الادريسي: وهي عامرة وبهـا أسواق وتجارات والحنطة تقيم في مطاميرها مائة سنة لا تفسـد وهي على قطعة جبل منقطع مرتفع فيه بعض الاستدارة لا يتوصل اليه الا من جهة بابه من غربيها ليس بكبير السعة ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها وتعرف بقسنطينة الهواء لافراط علوها وشدة منعتها ـ تقويم البلدان 138 ـ 139 ـ طبع باريس

عجوز يقوم بها وتحققت أنه يأخذ ربعا من الشعير (1) وويبتين من الخرنوب (2) في العام كله وحاله من أشد الامور في شدة الطاعة والخوف من الله وكان شيخه الشيخ الصالح سيدي ابو حفص عمر الركراكي وهو من جملة الاشياخ الذين حضرنا عندهم في الطريق وسمعت تفسيره بكلام القوم بزاوية السقاطين (3) يقرأ عليه الرسالة والتحبير وكان يقري الفرائض وله تواليف في التصوف وسمعت منه تعداد اشياخه من المغاربة وغيرهم واخذ عن الشيخ الصالح الولي المختصر للاحياء الفلالي رحمه الله وكان يحبه ويعظمه قال : واخبرني بأمور كاشفني بها واخبرني بانه يكون لي ظهور ثم خفاء وأنه يموت على الإسلام ختم الله للجميع بالاسلام بمنه وفضله

---

1) يريد ربع الصاع والصاع اربع امداد بمده صلى الله عليه وسلم وقدر الصاع بالوزن عند الحجازيين خمسة ارطال وثلث وثمانية عند العراقيين. قال الونشريسي : ان المد النبوي الذي تؤدى به الصدقات ليس اكبر من رطل ونصف ولا اقل من رطل و ربع وقال بعضهم: رطل وثلث وليس هذا اختلافا ولكنه على حسب وزانة المكيل من تمر او بر او شعير والرطل المذكور اثنى عشر اوقية ، فاذا زيد عليه ثلثه وهو اربع أواقي صار المجموع ستة عشر اوقية وذلك رطل

والمد النبوي ازيد من المد القروي بشيء يسير قدره بعض الناس ان العشرة امداد نبوية قدر اثني عشر مدا او اقل قرويا

2) الويبة بكسر الواو ، قدرها اثنى عشر مدا قرويا

ملحوظة

وزن الوقية واحد وعشرون درهما ووزن الدرهم ستة دوانق والدانق قراطان والقراط طوسجان والطوسج حبتان والحبة شعيرتان والشعيرة ست خرادل ، او مساحة ست شعرات من شعر بغل عرضا

3) الزاوية في الاصل صومعة الراهب المسيحي ثم اطلقت على المسجد الصغير بالشرق وتطلق عندنا على بناء ديني به محراب في الغالب وضريح لاحد المرابطين تعلوه قبة يتلى فيه القرآن ويحفظ به وفيه بيوت للوافدين عليها من زوار وحجيج وطلبة وهي أشبه ما تكون بالدير وكثيرا ما كان يقصدها في العهد السابق المتطلبون للكمال الروحي

ومن الاشياخ الشيخ الولي الصالح المربي سيدي ابو المواهب «1» فتح الله اذا رأيته ذكرت الله تعالى جلسنا عنده واكلنا طعامه وشهدنا بركته وأصحابه وله أصحاب أدركناهم لهم مكنة «2» في علم القوم منهم الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد المهدي والشيخ الصالح العارف ابو عبد الله محمد الطنقي والشيخ الصالح ابو عبد الله الفاسي والشيخ الصالح الخرساني وغيرهم من كبار اصحابه وقد كان شيخنا رحمه الله يعظمه ويجلس بين يديه فلما توفي صلى عليه وبكى بكاء شديدا ولا شك ان الشيخ المذكور صاحب سر وفتح وقد ظهر الفتح على لسان اصحابه في علم الحقيقة (3) جالسناهم وتذاكرنا معهم في علوم كثيرة وقد كان للشيخ المذكور من علماء الظاهر من ينكر عليه أمورا من جهة الشرع ومنهم من يسلم له ويعتقده مثل الشيخ العالم الامام القاضي ابي العباس الشماع وقد كان تلمذ له وخدم عنده قبل ولايته ويعتقده وكذلك (4) شيخنا الامام ابو عبد الله محمد بن عقاب رحمه الله كان يمشي لروايته ويأكل الطعام وقد دخل على الشيخ ذات يوم وسلم عليه فلما رآه الشيخ قال له : يا فقيه ما هذا الشعر على الشارب ؟ هلا استعملت الفطرة ؟ فقال له الشيخ: عادتي اقص بعد اربعين فقال له : كثير هذا. من الناس من لايحمل هذا الحد ثم دعى بحلاق وقص له شاربه رحمه الله وحضر دفنه وصلى على قبره وكان الشيخ الامام العالم ابو عبد الله محمد بن مرزوق ربما ينكر عليه أمورا من جهة الشرع وقد تتبع بعض الفقهاء ما وقع الانكار عليه فوجد له مستندا في السنة في الاستئذان

---

1) ابو المواهب فتح الله العجمي الخوارزمي من رجال التصوف والمعرفة كان عصريا للشيخ احمد بن عروس ص 22 ج 3 من الحلل السندسية

2) اي رست اقدامهم فيه

3) الحقيقة يراد به الوجود الحق الكائن ومن ثم لقب المتصوفة باهل الحقيقة لوصولهم لمعرفة ذات الله الحقيقية ويقابلهم في الاطلاق اهل الشريعة وهم علماء الظاهر

4) كذا في نخ (ن) اما في نخ (ع) فقد حذف منها قوله (وكذلك شيخنا الامام ابو عبد الله محمد بن عقاب رحمه الله كان يمشي لروايته)

وغيره وكان شافعي المذهب حسن الهيئة بين الآداب كثير الكرم حسن التربية وقراؤه لا يفترون عن ذكر الله تعالى في جميع حركاتهم

هذا بعض ما رأيناه «1» من المشائخ رضي الله تعالى عنهم ومنهم الشيخ الصالح العارف سيدي ابو الحسن علي العلوي وكان بالمدرسة التافراجينية «2» ويحضر مجلس الامام الشيخ ابي القاسم البرزلي وكان عارفا بالمسائل الفقهية كثير العبادة والوقوف عند الحد من اهل الكرامة وكان كثير السياحة وكان يصاحبه ويلازمه الشيخ الفقيه الصالح العالم ابو العباس «3» احمد بن سعيد وكان كثيرا ما يبيت معه عند الشيخ ولي الله تعالى سيدي ابي سعيد «4» الباجي وفتح الله من هنالك وما زال الشيخ الفقيه المذكور يترقى حتى وصل الى ان كان يقري العلم بمسجد النبيء صلى الله عليه وسلم ويقول: قال صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وما رأيت من تنجب (5) في قراءته من اصحابه وأندادة ووصل الى الله بطاعته الا هو رحمة الله عليه.

ومن الاشياخ الشيخ الصالح العارف ابو عبد الله محمد القلعي «6» وكان من اصحاب الشيخ الصالح ابي الحسن المذكور وكان ساكنا بدار ابينا عبد الله «7» وكان كثير الزهد والمعرفة والادب أخذ عن أشياخ كثيرة وادرك علماء وقيد عن الشيوخ كثيرا بخطه وتوفي رحمه الله في سنة ثمانية واربعين في الفناء الذي بها وكذلك الشيخ الصالح صاحبه وسمعت منه أعني سيدي علي العلوي انه قال: رأيت رؤيا ان هذه البلدة يكون بها راكب كبير «8» وآخر من يموت بها أنا فكان كذلك ومات قبله الشيخ المذكور وكذلك مات الشيخ الولي الجبالي والشيخ الولي فتح الله وغيرهم من الاولياء.

ومن الشيوخ الشيخ الصالح الولي ابو عبد الله محمد الزنجاري (9) وكان من الكبار والزهاد يسكن بدار بمفرق الطرق ويجتمع عنده اولياء وكان مذهبه جواز السماع «10» بشروطه وكانوا يسلمون للشيخ العالم الصالح سيدي احمد بن عروس على ما كان عليه من جذب ويذكرون انه سلفت له عبادات وسياحات وان الجذب إنما وقع له في آخر عمله وانه تمكن منه الحب حتى غلب عليه حاله وقد شاهدناه رحمه الله وجالسناه ورأينا منه

= 1) كذا في نخ (ن) وفي نخ (ع) ما رويناه

2) نسبة الى الوزير البربري احمد بن تافراجين توجد بقاياها قريبا من ضريح الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي وبها قبره مسنم صغير الحجم غريب الصنع كما حكى ذلك من وقف عليه وقد فقد بعد ذلك وبيت بني تافراجين احد بيوت الموحدين منذ بداية الدولة الموحدية ذكر اخبارهم ابن خلدون في تاريخه ج 6 ص 318 ـ 350 ـ 352 ـ 353 والمقري في نفح الطيب ج 4 ص 95.

3) قال في درة الحجال بالقسم الاول ص 91 احمد بن سعد التونسي محتسب درعة له نظم وهو من اهل العصر حتى الآن سنة 990

4) ابو سعيد بن خلف بن يحي التميمي الباجي ولد بباجة سنة 551 وبها قرأ القرآن ثم العلم وكانت تظهر عليه مخائل التوفيق والهداية وانتقل الى مدينة تونس واشتهر أمره بها وكان من أرباب الاحوال له كلام كثير في التوحيد والمعاملات ومراتب المكاشفة وحقائق المواهب وفي سنة 603 توجه الى الحج ومعه زوجه. وجاور بمكة ثلاث سنين وانتقل الى الشام ورجع الى تونس سنة 606 ونقل الهواري في مناقبه انه لما فارق بلده في طريقه الى الحج لحق به بعض أهله واعلمه بوفاة عمه وان ميراثه منه ثلاثمائة دينار ذهبا وطلب منه الرجوع لاخذها للاستعانة بها في رحلته فأبى واجابه بان المعين الله واني متوجه اليه فلا يمكنني الرجوع وبعد رجوعه من الحج وجد ميراثه فأخذه

وقد كان كثير الاجتهاد في العبادة طويل القنوت واذا وقف الى الصلاة لا يمل من طول القيام واذا ما صلى بالناس يعلو بكاؤه في القراءة في صلاة الصبح ويطيل الركوع والسجود والرفع منه وكان ذلك منه حتى آخر عمره في عشرة الثمانين وكان اذا اضحى قرأ باثني عشرة حزبا قراءة بطيئة وهو على حالة لا يتحرك كانه عمود

وقد اقرأ كتب ابي الفرج ابن الجوزي ورسالة القشيري واخذ عنه كثيرون كابي يوسف المحمدي ومحمد الاوذني وابي يعقوب بن الشيخ وابي محمد المهداوي وابي علي الهنتاتي وابي موسى الطنجي وابي عبد الله الصقلي وعلي بن عبد الرفيع وسلامة المطرز وابي حفص الجاسوس وابي عبد الله السقطي وابي فارس عبد العزيز بن الفتوح وعلي بن نبهان وابي الفرج الصقلي وعلى القصري وابي عفيف الباطي ومحمد بن يوسف النحوي وعبد الجبار الصوفي وقد زاره مرة الشيخ عبد العزيز المهدوي وكان ممن اخذ عن ابي سعيد الباجي ابو الحسن الشاذلي فقد انتفع به وأخذ عنه

وقد ذكر له الهواري بعض فقرات من كلامه وشعره وكان يميل الى السماع وضرب الالة ويحبه ولا ينكره ولكنه قلما يحضره لرقته وغلبته عليه فقد كانت تدركه =

= حال عظيمة من الوجد والبكاء يصرخ لها ويغشى عليه وكان أصحابه إذا أرادوا السماع يستأذنونه فيقول: ها أنا احضر معكم فيجدون طيبه وبركته ويقول قائلهم:

اذا نحن ادلجنا وانت إمامنا | فما لمطايانا لوجهك غاديا
وان نحن اضللنا الطريق ولم نجد | دليلا وجدنا نور وجهك هاديا
ديارك انستني ديار عشيرتي | لا عن سواك فؤاديا (1)

ولما قربت وفاته قسم ثيابه وكتبه بين اصحابه وكانت ليلة الاثنين لست خلون من شعبان سنة 628 عند آذ ان المغرب وصلى عليه الشيخ عبد السلام البرجيني القرشي ودفن بمنارة قرطاجنة

وكانت له بنت اسمها سيدة الكل وكانت من الصالحات

5) من تجنب : صار نجيبا أي حمد في نظره أو قوله أو فعله فهو نجيب

6) وصفه صاحب البستان ص 271 بالفقيه العالم الصالح وذكر أنه من أكابر تلامذة الامام محمد بن يوسف السنوسي قال : وكان فقيها سنيا موحدا متصوفا كثير التمسك بالسلف الصالح صاحب كرامات مواظبا على تحصيل السنة ومجانبة البدعة ... له اسئلة تزيد على الخمسين مسألة تسمى بالقلعية انتفع بها الناس كثيرا بعث بها الى فاس فأجاب عنها احمد بن يحي الونشريسي

7) ابونا عبد الله مخلوف بن علي الهواري النابلي دفين مرسى جراح وسماه بالاب سيدي عبد العزيز المهدوي

8) كذا في (ن) وفي نخ (ع) ركب

9) العارف بالله الولي الصالح ابو عبد الله محمد الزنجاري الجريدي معاصر لابن عروس من العارفين الزاهدين وقد قال فيه ابن عروس : من أهل الاذن مع الله ممن يقول: قلت لربي وقال لي ربي وهو سيد الناس كلهم من هنا الى المشرق ومن هنا الى المغرب

10) حبا في الافادة وتحقيقا للقول الفصل في هذا الموضوع ننقل هنا ما ذكره الشيخ محمد قويسم في سمط اللال ج 1 ص 254 - وهو ناقل له عن الشيخ محمد بن محمد الساحلي الاندلسي المالكي في الفصل الرابع من الباب السادس من كتابه بغية السالك في اشرف المسالك وقد لاحظ الشيخ قويسم ان هذا الكتاب فرد في بابه وقد اطرى صاحبه قال :
الفصل الرابع في احكام السماع وما يتعلق به

---

(1) ما وجدناه بالاصل نقلناه هنا

= اعلم ان الحامل على الاتيان بهذا الفصل هو ما تواطأ عليه بعض أهل هذا الزمان من الاسترسال في السماع الجاري الآن في هذه الاوطان بشدة الميل اليه والحرص بالكلية عليه حتى اتخذوه بالمندوب وصيروه من العمل المطلوب وربما جعلوه ضربا من ضروب العبادة واصلا يبنون عليه اسرار الارادة وها انا اكشف عن وجه احكام ذلك بما يقف السالك عنده فيحفظ عمله في ذلك وقصده فاقول وبالله الاعتصام وهو المعول عليه في الالهام :

اعلم ان الله عز وجل خلق عالم الانسان وطوقه وظائف العبادة ثم مدح من قام بشروط العبودية ذاكرا لربه وذم من غلبت الغفلة عليه حتى استولت على قلبه وجعل العبادة واسبابها في حيز وجعل الغفلة ووسائلها في جانب الخسران ثم على قدر قوة الجاذب الى العبادة تكون قوة الطلب وبحسب قوة الداعي الى الغفلة تكون شدة الهرب وما اشكل على السالك من ذلك عرضه على نفسه فما نشطت له وفرحت به وحرصت عليه في الاغلب فهو من قبيل المحمود وذلك سر قول النبي صلى الله عليه وسلم : (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)

اذا تقرر هذا فلا يغرنك ما يورده بعضهم في جواز مطلق السماع من اغاليط الاستدلال حين يلبس الممنوع منه بالجائز بنوع من الاحتيال مع ما يستند اليه في ذلك من الطبيعة التي يجدها بانبعاث الطبائع حتى يجعل ذلك فضيلة من فضائل السماع وهيهات هيهات لا يقابل الله بالترهات وبارادة التقسيم على انواعه يظهر لك جائزة من ممنوعه وذلك ان السماع باعتبار انواعه ثلاثة اقسام :

قسم ممنوع باتفاق . وقسم جائز باتفاق . وقسم فيه خلاف
فاما الممنوع باتفاق فما أضيفت اليه الملاهي كالمزامير ونحوها ويظهر لك منعه من وجوه منها ان الله عز وجل خلق الانسان وركب فيه طباعا مختلفة من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وجعل في كل نوع منها انفعالا لضده ولما ركبت المزامير والاوتار والاغاني على انواع نغمات مختلفة في الحدة واللين صارت طباع الانسان تتأثر بما يضادها من ذلك وربما غلب عليها هذا التأثير بشيء انضاف اليه من افراط النغمات بنوع من الاحكام او زيادة مزمار او نقر ونحو ذلك حتى امال الطبع عن الادراك ومال بها الى الذهول استغراق في التذاذها ولذلك يعالج الاطباء بعض العلل السوداوية بالاصوات الطيبة والآلات المطربة لينال بذلك استغراقا في الطلب وذهولا على الافكار الرديئة فتنخفض له قوى الدماغ ولا شك ان هذا يجري مجراه مناف لمعنى العبودية ومناف لحضور الفكر مع الله

= بتدبر آياته وتذكر وعده ووعيده والقيام بوظائف توحيده ولا شك ان ما يلهي عن ذلك ويشغل عنه ممنوع

ثم المنع يكون بحسب الالهاء والاشتغال ولما كان المطلوب من العباد القيام بأمر العبودية وامور العبودية لا تقوم الا باعتدال العقل وميله الى الاتيان بوظائف العبودية على سبيل العدل والاعتدال كان المعارض في ذلك ممنوعا، ثم انحراف الطباع له اسباب منها اكتسابية ومنها غريزية أما الغريزية فالعبد مطلوب برياضة نفسه ومجاهدتها فيما يخرجها من الافراط والتفريط الى الاعتدال كاخراج الطباع من التهور والجبن الى الشجاعة ومن البخل والسفه الى السخاء وامثال هذا كثير

واما الاكتسابية فما يدخله الانسان على نفسه من الامور التي تحرف الطباع فينحرف العقل فيختل نظام العبودية كشرب الخمور والاسترسال في اللهو والاستغراق في الغفلة ونحو ذلك فالعبد مطلوب باجتناب ما يذهله عن الله ويصده عن سبيل رضاه وبحسب قوة الميل عن الحق تكون قوة المنع وهذا كله لايجهله من اطلع على ما يقتضيه الكتاب والسنة من الدعوة الى الله والاهتبال بطاعته ولما افرط ميل الطباع لشرب الخمر حتى بلغ الغاية اغلظ في منعه للتحريم كذلك ما يجري مجراه

وقد اشار الضحاك الى هذا المعنى بقوله : اياكم والغنا فانه يزيد في الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا المعنى صحيح فان الغنا وان لم يقوى قوة الخمر فلا يخلو عن شائبة من اوصافه وإلّا فالينظر من يحضر الغنا الى نفسه اذا تحركت الآلة المطربة بمزمار ونقر ونحو ذلك كيف يجد طباعه تنبعث وتتحرك ثم تنحرف بالكلية الى الاصغاء لذلك وان لم يفه القوال بشيء ثم بحسب ما يزيد في ذلك من النغمات بتقطع الاصوات والاوزان يكون الاستغراق اكثر حتى ان الانسان لا يحدث او يتحدث بحضرته فلا يسمع وان سمع بكلفة لاستغراقه في الطلب حتى ان بعض الناس يغلب عليه الانفعال لذلك فيظهر عليه من الاهتزاز والشطح وغير ذلك ما ينافي الوقار ويذهب بالمروءة وان الشيطان ليلبس عليه في ذلك حتى انه لا يظن ان الذي اصابه من الانفعال انما هو لمعنى الشعر المقول وليس آلات الطرب وان كان لمعنى الشعر فبجزء يسير تافه وان أراد الوقوف على صحة هذا فالينظر كيف انفعاله لسماع زواجر القرآن ومواعظه وتشويقه من انفعال طباعه لسماع الآلات المطربة ولقد بلغني ان انسانا كان يشطح والمشبب يشبب والمغنون لا يزيدون على النقرة والتصفيق بالاكف شيئا والشاطح قد خرج عن الاعتدال وهو يقول : **وان من شيء الا يسبح بحمده**

= ومنها ما جاء في الكتاب والسنة من الاشارة الى منع الغنا الملهي قال الله تعالى : (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قال مجاهد : هو الغنا والمزامير وقال تعالى : ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال عبد الله بن مسعود : هو الغناء والاستماع اليه وقال ابن عباس في قوله تعالى : وانتهم سامدون : أي مغنون وبه قال عكرمه وقال السدي: لغة اهل حمير واهل اليمن الغنا وروي ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال: كان ابليس أول من ناح وأول من غنى وروي عبد الرحمن بن عوف ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (نهيت عن صوتين - صوت عند مصيبة وصوت عند نغمة) وروي ان عبد الله بن عمر قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امشي خلفه اذ سمع شبابة راعي فسد النبيء صلى الله عليه وسلم أذنيه ثم جعل يقول لي: اتسمع شيئا ؟ وانا اقول: نعم حتى قلت له : لا اسمع شيئا فاطلق اصبعيه من اذنيه وقد رخص قوم بما تاولوه على عبد الله بن عمر من ان النبيء صلى الله عليه وسلم سامحه في سماع تلك الشبابة وقالوا له : لو كانت حراما لامره النبيء صلى الله عليه وسلم ان يسد اذنيه عند سماع تلك الشبابة كما فعل النبيء صلى الله عليه وسلم قالوا ولعل ذلك من خواص النبيء صلى الله عليه وسلم وهذا تأويل واه ضعيف لما يتعلق به من الاحتمالات وقبيح ان يظن لعبد الله بن عمر تقصير في الاقتداء بالنبيء صلى الله عليه وسلم ومثل عبد الله بن عمر وقد ثبت من شدة امره في متابعة النبيء صلى الله عليه وسلم انه ريىء يوما يدير ناقة في موضع فسئل عن ذلك فقال لا ادري غير اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدير ناقته هنا وانا اريد موافقته وكان يتحرى المواضع التي رأى النبيء صلى الله عليه وسلم يصلي فيها بين مكة والمدينة فيصلي فيها الى غير ذلك فهو جدير ان ينزه عن مسامحة النبيء صلى الله عليه وسلم نفسه في شيء من متابعة النبيء صلى الله عليه وسلم والاقتداء به

نعم يحتمل ان يكون عبد الله بن عمر لما رأى النبيء صلى الله عليه وسلم قد سد اذنيه عن سماع تلك الشبابة سد هو اذنيه اقتداءا بالنبيء صلى الله عليه وسلم لكنه عند قول النبيء صلى الله عليه وسلم له: اتسمع شيئا ؟ فهم عبد الله بن عمر من النبيء صلى الله عليه وسلم انه يخاطبه فوجب عليه الاصغاء لخطاب النبيء صلى الله عليه وسلم واطلق اصبعيه من اذنيه لذلك فسمع الشبابة بحكم الانجرار فاخبره بانه سمعها وقد روي ان عبد الله بن عمر فعل مع مولاه نافع ما فعل مع النبيء صلى الله عليه وسلم عند سماع الشبابة ويحتمل ان يكون عبد الله بن عمر حينئذ غلاما لم يبلغ الحلم والاول اظهر واقرب وهذا وان كان الامر في سماع الشبابة ونحوها لا ينتهي لتغليظ التحريم فلا ينحط عن الكراهة الشديدة والمكروهات ذرائع المحرمات ولكل سالك يترخص في شيء من متابعة النبيء

= صلى الله عليه وسلم هذا مائل الى المقت والحرمان وذلك اكبر الحجب عن الله عز وجل.

ومنها ان الفقهاء مجمعون على كسر آلات اللهو وفسادها ولا تباح ايضاعة المال الا لقوة وجوب المعارض ومنها ان جميع الآلات المطربة كالشبابة والطنجارات وتصفيق الاكف والشيذان ونحو ذلك لو فرضنا ان قوما اجتمعوا على ذلك ولم يزيدوا عليه غناء ولا خلطوه بقول أكان هذا محسوبا من قبيل الجد او من قبل الهزل او من قبيل اللعب او من قبيل التدين او من قبيل اللهو او من قبيل العبادة او من قبيل الحق او من قبيل الباطل؟ لا شك انه هزل غير جد ولعب غير تدين ولهو غير عبادة و باطل غير حق ثم ان الاشعار التي تقتضي التوحيد وتتضمن اسماء الله وصفاته والترغيب والترهيب والتشويق وامتداح النبيء صلى الله عليه وسلم بما كان عليه من الصفات وما ظهر عليه من المعجزات وغير ذلك من الامور المحسوبة حقا غير باطل وتدين غير لعب وعبادة غير لهو أيجمل او يحسن او يجوز خلط هذا بذلك؟ كيف ومن دخلت بشاشة الايمان قلبه يعلم ان تعظيم الله عزوجل وتوقير نبيه والتزام الادب مع الله ومع رسوله صلىالله عليه وسلم يأبى ان يخلط ذكر الله وذكر الرسول مع ما هو لهو وهزل ولعب وباطل ويمزج به ان هذا شيء نكرا

واما القسم المختلف فيه من الغناء فهو ما عري عن الآلات الملهية غير التصفيق بالاكف ونحوها مبنيا على التأنق في النغمات بالوقت والترنت ونحو ذلك ولا شك ان فى بعض الغنمات المضافة الى تقطيع الاوزان ما ينوب عن المزامير والاوتار فمن اجرى ذلك مجرى المزامير والآلات المطربة الملهية حمله على محمل القسم الممنوع ومن رأى ذلك منحطا عن درجة ذلك اذ المشبه لا يقوى قوة المشبه به تردد فيه فقيل بالجواز وقيل على كراهة فيه وقيل بالاباحة

والملاحظ ان الشافعي وما لكا وابا حنيفة يحرمون الغناء وما روي من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الشعر فلا يدل على اباحة الغناء لان الشعر كلام موزن حسنه حسن وقبيحه قبيح والغنـاء بالالحان وتقطيـع الاوزان بالنغمـات هذا مذهب جمهور السلف

وذهب القليل الى جوازه بشرط ان لا يكون الغنا عادة وديدنا حتى يغلب على صاحبه ثم لم يخلوه عن كراهة لمنعهم ان يستعمل ذلك في المساجد والبقاع الشريفة

ولم يجعل الغنا احد من العلماء فضيلة الا من عري عن العلم واتبع هواه ولو كان كذلك لم يهمله الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا اصحابه ولا دأبوا عليه كدأ بهم على الفضائل

عجائب وغرائب واخبار ابغيوب وكلاما دقيقا اذا افاق من كسره وقد كان من العلماء من ينكر عليه واكثرهم يسلم له حاله ويذكر مشائخنا ان حاله حال الشيخ الصالح سيدي عثمان وكذلك سمعت من شيخنا البحيرى رحمه الله انه كان رجل كذلك بالاندلس يسمى الشيخ الرصاص (1) وان الناس اختلفوا في حاله وكذلك كان الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد جوجو وقد رأينا له عجائب وكذلك الشيخ الصالح ابو العباس احمد عسيلة (2) وغيرهم والصواب التسليم لهم في حالهم وان احتيج الى قيام الشرع عليهم اقيم بظاهره في الطريقة وذلك لا ينافي علم الحقيقة والله سبحانه وتعالى يحفظنا من الخطا والزلل في الا عتقاد والقول والعمل ويحببنا في اوليائه ويصيرنا من اصفيائه ويختم لنا بخاتمة الصالحين ويحشرنا مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ويعمر قلوبنا بمحبة سيد المرسلين ويكره لنا الكفرو والفسوق والعصيان ويصيرنا من الراشدين،

ولنختم هذا التقييد المبارك بحديث يعدونه اول المسلسلات ويعدونه اولها لانه مصدر باول حديث سمعته ويسمى حديث الرحمة ويسمى حديث الملاقاة لانه اول ملاقاة المحدث يصدر به من يسال عنه او يحدث عنه وهذا الحديث الكريم قرىء بحضرة الشيخ الا مام شيخنا ابي عبد الله محمد بن عقاب رحمه الله تعالى وبسنده عن الشيخ البطرني واجاز فيه شيخ المشائخ عموما وخصوصا الشيخ العالم ابو القاسم البرزلي ويرويه رضي الله عنه عن الشيخين الجليلين : الشيخ الصالح ابي عبد الله محمد البطرني والشيخ الخطيب ابي

= واما القسم المتفق على جوازه فهو ما كان من ايراد الاشعار ذوات المعاني الشرعية من غير آلة مطربة لا بكف ولا بغيره ولا تأنق نغمات كالخبب والحداء والادلة الموردة في جواز الغناء والسماع انما وردت في مثل هذا لا في غيره على التحقيق

1) كذا في (ن) وفي (ع) الرصاص والرصاص من الاولياء المتصوفين المشهورين بالاندلس ذكره في تذكرة المحبين

2) حلاه في الحلل السندسية ج 3 ص 22 بالولي العارف ولاحظ انه توفي في حياة الشيخ سيدي ابن عروس كان رحمه الله يحلق لحيته ولما سئل عن سبب ذلك قال: لا لحية مع ابن عروس وقد صارت كلمته مثلا

احمد البرشكي قال سماعا من الاول في عام ثلاثة وسبعين وسبعماية ومن الثاني في شعبان عام سبعة وسبعين وسبعماية كل منهما قال: اخبرنا الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الشريف الحسني وهو اول حديث سمعه كل واحد منها قال: انا الشيخ الحافظ جمال الادباء ابو بكر محمد بن الحسن بن (3) حبيش اللخمى وهو أول حديث سمعته منه قال ثنا الامام ابو القاسم احمد بن يوسف بن عبد العزيز بن رشد (4) القيسي وهو اول حديث سمعته منه قال ثنا (5) الامام الحافظ ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي وهو اول حديث سمعته

---

(3) ابو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن يونس بن حبيش اللخمي التونسي الشاعر المحسن ولد سنة 615 هـ 1218 م كان متقنا في العلوم متقدما في النظم والنثر والحفظ واكثر عنه النقل ابو عبد الله ابن رشيد في رحلته توفي بعد سنة 679 هـ 1280م وهو من ظرفاء الشعراء وله قصيدة فريدة في وصف البازي ذكرها الغرناطي في شرح مقصورة حازم جزء اول ص 112 وقد اعتنى بالشقراطسية اعتناء تاما وتصرف فيها على اوجه كثيرة من تخميس وغيره وكرر تخميسها ثلاث مرات وسماها القرب الثلاث كما قاله البلوي في رحلته ومن شعره ما كتبه لمن يهواه

متى ما ترم شرحا لحالي وتبيينا   فصحف على قلبي علومك تحبينا

(اراد اني بحبك مولع) وقال وقد زاره بعض اودائه في يوم عيد الفطر

اكل ذا الاجمال في ذا الجمال   لله استحفظ ذاك الكمال
يا مالكا بالبر رقي اما   يكفيك ان تملكني بالوصال
سرت الى ربعي زورا كما   سرا الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى   حقا لانني قد رايت الهلال
صومي مقبول وبرهانه   اني ادخلت جنان الوصال

وقال

اذا ما شئت ان تحيا هنيا   رفيع القدر ذا نفس كريمة
فلا تشفع الى رجل كبير   ولا تشهد ولا تحضر وليمة

وله

لا عملن الى لقياكم قدمي   ولو تجشمت بين الطين والماء
لان يبل ثيابي الغيث اهون بي   من ان تفرق نار الشوق احشائي

اه نفح الطيب ج 2 ص 257 - 352 - 414 - 517 - 517 - بغية الوعاة 119 - رحلة البلوي خط تاج العروس ج 4 ص 293

(4) كذا في نخ (ن) وفي نخ (ع) رشيد

(5) كذا في نخ (ن) وفي نخ (ع) انا

منه قال : ثنا (1) الا مام ابو عبد الله محمد بن بصير الحميدي وهو اول حديث سمعته منه قال ثنا ابو القاسم منصور بن النجار بن منصور وهو اول حديث سمعته منه قال ثنا ابو بكر عبد الله بن سعيد بن حاتم الحافظ وهو اول حديث سمعته منه (2) قال ثنا ابو يعلى حمزة بن عبد العزيز بن محمد المهلبي وهو اول حديث سمعه منه فال ثنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحي ابن بلال وهو أول حديث سمعته منه قال ثنا عبد الرحمن بن بشير بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه قال ثنا سفيان بن عيينة (3) وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار وهو اول حديث سمعته منه عن ابي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا اهل الارض يرحمكم من في السماء)

---

1) كذا في نخ (ن) وفي نخ (ع) انا الحافظ ابو علي حسين بن محمد الصادقي وهو اول حديث سمعته منه قال: انا الامام ابو عبد الله محمد بن بصير. كذا بالاصلين والصواب نصر وهو محمد بن ابي نصر بن عبد الله بن حميد الحميدي الاندلسي نسبة الى جده حميد، نعته المراكشي بالشيخ الفقيه المحدث الضابط المتقن، وكان شاعرا مؤرخا حافظا راوية ولد سنة 420 توفي سنة 488 تخرج عن ابن عبد البر وابي الوليد الباجي والغدري وسمع من ابي حزم كما سمع من ابي بكر الخطيب البغدادي فروى عنه كما روى عنه ابو بكر ورحل الى افريقية ومصر ومكة والشام والعراق واستوطن بغداد والف كتاب الجمع بين الصحيحين وله تاريخ علماء الاندلس المعروف بجذوة المقتبس والاماني الصادقة وعلى كتبه اعتمد المراكشي في كثير من اخباره اه شجرة النور الزكية 1 ص 222 اللباب ج 1 ص 321 مرآة الجنان ج 4 ص 149 النجوم الزاهرة شذرات الذهب ج 3 ص 202 بغية الملتمس 113 التكملة لابن الابار

2) الحديث عن ابي حاتم في نخ (ع) غير مذكور

3) ابو محمد سفيان بن عيينة بن ابي عمران الهلالي مولى امرأة من بني هلال بن عامر وقيل مولى الضحاك ابن مزاحم وقيل مولى مسعر بن كدام، اصله من الكوفة وبها كانت ولادته في منتصف شعبان سنة 107 ونقله ابوه الى مكة وهو من الطبقة الخامسة من اهل مكة كان ثبتا زاهدا ورعا من ايمة العلماء المجمع على صحة حديثه وروايته حج سبعين حجة روى عن الزهري وابي اسحاق السبوعي وابن دينار ومحمد بن المنكدر وابي الزناد وروى عنه الشافعي وشعبة بن الحجاج وابن ابن اسحاق وابن جريج والزبيري بن بكار والصنعاني ويحي بن اكثم، وطرقه يوما طارق ليسمع منه وهو ضجر فقال اليس من الشقاء ان اكون

وقد روى الشيخ رضي الله عنه هذا الحديث من طريق آخر أعلا من هذا باربع درجات رواه من طريق شيخه الامام الرحال الجد ابو عبد الله محمد بن مرزوق ورواه ايضا من طريق برهان الدين بالديار المصرية عام حجه وهذا الحديث المبارك خرجه البخاري في أحد مصنفاته ورواه ابو داوود ورواه الترمذي في جامعه جميع ذلك يتصل الي سفيان المذكور وقد حضرنا في مجالس وعظية على كثير من مشائخنا ويروى عليهم تبركا به وبسنده ولاشك انه حديث مبارك تنزل به الرحمة على راويه ومفسره وكان يمر لنا في قوله صلى الله عليه وسلم يرحمهم الرحمن يحتمل الخبر ويحتمل الدعاء وعلى كل فالمتخلق بالرحمه والشفقه على عباد الله في الدنيا والا خرة لان الخبر مقطوع بصدقه والدعاء من سيد الا برار ومعدن الا سرار مقبول عند الله يرضى به الله على عبده الداعي له نبيه فيرحمه الله قال ابو حامد الغزالي (4) رضي الله عليه وسلم (رحم الله امرءا صلى ركعتين قبل العصر) قال رحمه الله ينبغي التأكيد الى هذه الصلاة لينال العبد الرحمة من الله والرحمة من الله فيها غفران الذنوب وستر العيوب وذلك محقق ممن صلى الصلاة المذكورة لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم

جالست ضمرة بن سعد وجالس هو الزهري وجالس هو انس بن مالك حتى عد جماعته ثم انا اجالسكم فقال له فتى حدث (هو يحي بن اكثم) في المجلس انتصف يا ابا محمد قال ان شاء الله تعالى فقال الفتى والله لشقاء اصحاب رسول الله عليه وسلم بك اشد من شقائك بنا فاطرق وانشد قول ابي نواس

خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام
مت فداء الصمت خير لك من داء الكلام
انما السالم من الـ جم فاه بلجام

فتفرق القوم وهم يتحدثون برجاحة الفتى فقال سفيان هذا الغلام يصلح بصحبة هؤلاء يعني السلاطين ومات سفيان في مكة يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة وقيل اول يوم من رجب سنة 198 ودفن بالحجون اه تهذيب التذهيب ج 4 ص 117 ـ 122 ـ المعارف 221 ـ وفيات الاعيان طبع بولاق ج 1 ص 204

4) محمد بن محمد بن محمد ولد سنة 450 تفقه على ابي المعالي الجويني وبرع في النظر في مدة قريبة وقاوم الاقران وتوحد وصنف في الاصول والفروع وقد انفرد بحسن وضع تآليفه وترتيبها وتحقيق الكلام فيها ولما صنف كتابه المنخول ونظره شيخه الجويني قال له : دفنتني وانا حي هلا صبرت حتى اموت؟

= ووقع للامام الغزالي القبول من نظام الملك فرسم له التدريس في مدرسة بغداد التي دخلها سنة 84 وقد اعجب به من حضر دروسه من اساطين العلماء ونقلوا عنه كلامه في مؤلفاتهم وبعد مدة ترك التدريس والرياسة ولبس الخام الغليظ ولازم الصوم ولا يأكل الا من اجرة النسخ وحج وعاد ودخل بيت المقدس وطاف بمشاهدها وفيها بدأ بتاليف الاحياء واتمه بدمشق وقد اخذ عليه ابن الجوزي عدة اغلاط سمعها في كتاب سماه اعلام الاحياء باغلاط الاحياء وقد ذكر في احيائه شيئا من الاحاديث الموضوعة وما لا يصح لقلة معرفته بالنقل قال ابن الجوزي فليس هو عرضها على من يعرفها وانما نقل نقل حاطب ليل ورجع الغزالي الى بلاده وعكف على العبادة ولما آلت الوزارة الى فخر الملك احضر وسمع كلامه والزمه بالخروج الى نيسابور فدرس بها ثم رجع الى بلاده واتخذ جواره مدرسة ورباطا للمتصوفة وبنى دارا وتشاغل بحفظ القرآن وسماع الصحاح

قيل: انه لما دخل الى بغداد قومت ملابسه ومركوبه بخمسمائة دينار ولما تزهد قومت ملابسه بخمسة عشر قيراطا وحكى ان انوشروان وزير الخليفة زار الغزالي فقال له الغزالي زمانك محسوب عليك وانت كالمستاجر فتوفرك على ذلك اولى من زيارتي فخرج انوشروان وهو يقول لا اله الا الله هذا الذي كان في اول عمره يستزيدني فضل لقب في القابه كان يلبس الذهب والحرير فآل امره الى هذه الحال توفي الغزالي يوم الاثنين 14 جمادى الثانية سنة 505 بمدينة طوس ودفن بها وساله بعض اصحابه قبيل الموت ان يوصيه فقال عليك بالاخلاص ولم يزل يكررها الى ان فاضت روحه

والغزالي بفتح الغين المعجمة والزاي المشددة وبعد الالف لام قال ابن الاثير: واظن ان هذه النسبة الى الغزال على عادة اهل جرجان وخوارزم كالعصار الى العصار واشتهر بها الامام ابو حامد قال وسمعت من يقول انه بالتخفيف نسبة الى غزالة قرية من طوس وهو خلاف المشهور وللامام تاليف مشهورة منها الوسط والوسيط والوجيز والخلاصة في الفقه واحياء علوم الدين والمستصفى في اصول الفقه ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين والاقتصاد في الاعتقاد وبداية النهاية اهـ دائرة المعارف الاسلامية ج 2 ص 154 - 158 وفيات الاعيان ج 1 ص 586 طبع بولاق

(3) كذا في نخ ن (ع) التأكد في هذه

إما دعاء وإما خبر وكل ذلك متكفل بنزول الرحمة من الله والرحمة على عباد الله والشفقة على خلقه أصل من أصول الدين وذلك شعار المتقين واخذوا ذلك وتخلقوا به من صفة سيد المرسلين.

كان بعض الشيوخ من الصالحين كثيرا ما يكتب لاهل عصره إذا أراد تغييرا أو تذكيرا يقول فيه :

ارحم اخي عباد الله كلهم　　　وانظر اليهم بعين الجود والشفقه
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم　　　وراع في كل خلق حق من خلقه

رحم الله ضعفنا وغفر ذنوبنا وسهل امرنا اللهم ارحمنا في اقامتنا بدار الغرور وارحمنا إذا نسينا الغافلون من اهل الثغور (1) وارحمنا في طول الرقدة في القبور وارحمنا يوم العرض والنشور واحشرنا مع اهل العز والصدور واغفر لوالدينا ولاصحابنا ولاحبابنا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين ونستغفر الله سبحانه من جميع ذنوبنا كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، آمين يارب العالمين وأبتدأت الكتابة بهذا التأليف في اول ربيع الاول والفراغ منه في وسطه وذلك عام ستة وثمانين وثمانمائة كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه

---

(1) في طرة نخ (ع) الدثور

الحمد لله الذى جعل قلوب العلماء مشرقا لشموس المعارف، وأدر(1) على روضهم البديع من التوفيق واللطائف وابله (2) الواكف، (3) فترددوا في نعمه اطوارا، ونجموا ازهارا. وطلعوا على الدنيا اقمارا. فعلمهم الهاما، ونور لهم أفهاما، نحمده سبحانه على ما الهم اليه من هجرة الاهل والوطن، واستبد الهما بافضل صحبة واكرم سكن، (4) ونشكره سبحانه على ما من به من منه الاسلام، ولقاء السادة الاعلام، شهادة من تجلى له الله بدلائل الاختراع والانشاء، وتعرف بانواع القرب والاصطفاء؛ ونصلي على سيدنا ومولانا محمد الشريف المناقب، المجتبى من ذروة لؤي بن غالب، صلاة تؤمه وتعم آله وصحبه الذين حملوا رايات الاسلام بعده وجدوا جهدهم حتى اسسوه على التقوى ورفعوا مجده وبثوا سنته في أمته فتحملوها اصاغر عن كابر، حتى بلغت وهلم(5) جرا الى غابر.

1) بمعنى اكثر (2) المطر الشديد (3) المطر المنهل (4) بسكون الكاف: اهل الدار والبيت وبالفتح كل ما يستأنس به (5) كلمة تدل على الدعاء الى الشيء. بمعنى تعال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كقوله (هلم شهداءكم) اي احضروهم وهي في اسماء الافعال يستوي فيها الواحد والجمع والتذكير والتانيث ويصرفونها بان يجعلوها فعلا ويلحقونها الضمائر فيقولون فى المثنى هلما وفى المؤنث هلمي وفي الجمع للذكور هلموا وللنساء هلممن وعليه اكثر العرب والاول افصح وقد توصل باللام فيقال هلم لك وقد تلحقها نون التوكيد الثقيلة فيقال: هلمن يا رجل وهلمن يا امرأة وهلمان يا رجال ويا امرأتان وهلمن يا رجال وهلمنان يانسوة.

وبعد لما كان العلم اسنى المفاخر؛ واجل ما تنفق فيه الذخائر وتستحث نحوه الركائب (1) ويمتطي لتحصيله ظهور النجائب (2) واولى ما شمر له عن ساعد الجد والاجتهاد، ويهجر لاقتنائه لذيذ المطاعم وراحة الرقاد، ويجاب (3) لنيله الفيافي (4) والقفار؛ ويواصل اليه الليل والنهار، بعث مني صدق الهمة على تحصيل هذه الفضائل الجمة، وكثيرا ما كنت اوامر (5) نفسي، واشاور الاولياء من ابناء جنسي، واجمع صادق المقدمات وانظر في البراهين دون الشبهات، وادخل السبر والتقسيم في الاخبار، واقبل النص الصريح من مأثور الاخبار، وافكر فيما يرتفع فاعلا ليحصل لي وطرا، ويتقدم مبتدءا اكون له خبرا، ومن يقتضي الحال والمقام ان يكون مسندا اليه، واحضى بالوصال بعد الوصل لديه، واغترف من بحره الوافر الكامل، واستنشق من ريا (6) ادبه عطر الشمائل فرتبت المقدمات على اولى الاشكال انتاجا، واقدمها منهاجا فكانت نتيجة هذه الانظار علامة هذه الاقطار، سيد علماء عصره على الاطلاق، وخلف السلف بالعموم والاستغراق الحبر الهمام ركن الاسلام الصدر الشهير الخطيب الاثير (7) العالم العلامة الراوية المجيد المفيد صدر الصدور سيدنا اباعبد الله محمد بن الشيخ الاجل الافضل الاحسب الارفع الانسب المقدس المرحوم سيدى ابي الفضل قاسم الرصاع ولما مازجته علمت انه محط رحلي ومطمع املي اذ بدا لي منه علق (8) خطير (9) وروض نظير (10) وبحر زاخر ومسك عاطر له ذهن يكشف الغامض وان خفا ويحي رسم (11) المشكل (12) وان عفا (13) أبصر الخفيات بفهمه وقصر (14) فكها على خاطر وهمه لاتمر مشكلة بين يديه الاكشف قناعها (15) ولا تمتع شاردة (16) الا ادركها وقصر (17) باعها وان امتطي متن جموحة (18) ريضها حتي تنقاد في الاعنة وابرز العقائل الممنعة من الخدور (19)

---

(1) جمع ركاب : الابل (2) جمع نجيبة الكريمة الاصل من الابل أو الخيل (3) من جاب يجوب قطع (4) جمع فيفاء وفيفاة المفازة لاماء فيها وتطلق على المكان المستوي (5) بمعنى اشاور (6) الريح الطيبة

(7) المكرم (8) النفيس من كل شيء (9) الرفيع القدر الشريف (10) من النظارة الجمال والحسن (11) ما كان لاصقا بالارض من اثار الدار (12) الملتبس والامر الصعب (13) بمعنى اندرس ولم يبق له اثر (14) قصر الشيء على كذا ، لم يتجاوز به غيره (15) ماتغطي به المراة راسها واراد به هنا ما يستر دقائق المسائل من الغموض (16) مؤنث شارد نافر خارج عن الطاعة (17) بالتضعيف ضد اطال (18) الجموحة الفرس المتغلبة على راكبها المستعصية عليه (19) جمع خدر بكسر أوله : ما يفرد للجارية من

والاكنة (1) امام ان خاض فى بحر الاصول وقعت عند ساحله الجهابذة (2) الفحول او تكلم بين ارشاده (3) بمقترحات ذهنه الصائب وتقلد في توضيح معالم الدين بالسيف القاضب افرغ الاحكام في قالب الاحكام فجاء على وفق منتهى السؤل والامل منقحة تفتخر بمعالم الطراز الاول وان تمنطق كشف الاسرار واتي بالجمل التي تحار دونها الافكار وان تحدث لم يشك في حديثه مسلم ولم يحتج بيانه الى معلم وان خاض بحار المعاني والبيان فتح المقفلات واختص بايضاح المشكلات لاتروى اللغة الا عن جوهري كلامه : ولاتطمع نفس صاحب العين الا لعالي رفعته ومقامه وإن أعرب أغرب فلا توجد صعة مشبهة لنباهة قدره ولا يفتح باب الكلام الا بامره . لايلحق له فى عروضه باع ، ولايكشف له عن رائق الادب قناع وإن تكلم فى الفقه فمحاسنه الواضحة أصبحت فيه مدونه و فضائله المجموعة التي وجد الطالب بها المعونة هينة فا كرم به من موطأ الاكناف (4) منتقى الاوصاف وبالجملة محاسنه لا يفي بذكرها القلم واللسان ولا يحصرها جنان (5) فهو الواحد الذي لا يجارى فى ميدان السباق والعلم الذي ارتفع لدرجات الكمال عند النداء بالاستحقاق .

وبعد فلما من الله علي بلقائه ومشاهدة أنواره لازمت درسه العلي السامي نحوا من عشرة اعوام فكان مما قرأت عليه حفظه الله بلفظي (البردة) و (الشقراطسية و « المنفرجة » وجملة صالحة من مختصر الشيخ خليل وجملة صالحة من التهذيب

---

(1) جمع كن وقاء كل شي ويطلق على البيت ويجمع على اكنان ايضا المسكن (2) جمع جهبذ بفتح الجيم وكسرها: الناقد العارف بتمييز الجيد من الردي فارسية الاصل معربة عن كهبذ (3) هذه الفقرات فيها تلميح لاسماء كتب وهي .

الارشاد والمقترح والتوضيح والاحكام ومنتهى السول والامل ومعالم الطراز وكشف الاسرار والجمل وصحيح مسلم والمعلم وبحار المعاني والايضاح ومراده بالجوهري صاحب الصحاح في اللغة وصاحب العين هو الخليل بن احمد والواضحة في الفقه وكذلك المدونة والمجموعة والمعونة والموطا .

(4) الموطا اسم مفعول من وطأ الشيء : سهله وهياه والاكناف جمع كنف بفتح الكاف والنون : الجانب والحضن والعضدان والصدر والمراد من موطأ الاكناف : سهل الاخلاق كريم مضياف

(5) الجنان بفتح الجيم القلب .

للبرادعي وعمدة الاحكام وتاليفه حفظه الله (تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين) و (تحفة الاخيار في الصلاة على النبي المختار) و « الخمساية صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » و « شرحه كان الله له على وصية الشيخ الولي ابي عبدالله محمد الظريف» نفع الله به وبامثاله ولازمت درسه العلي شتاء في المدة المذكورة لتفسير كلام رب العزة جل وعلا وحديث مسلم والموطا والرسالة والجلاب وابن الحاجب والتهذيب وتأليفه ابقي الله بركته على حدود الشيخ الامام عالم الاعلام ابي عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله ونفع به ورواية صحيح البخاري في رمضانات المدة المذكورة ولازمت درسه اعلى الله قدره صيفا لقراءة المدونة وغيرها في المدة المذكورة وحضرت رواية كتاب الشفاء والشمائل وحضرت ايضا قراءة شيء من المختصر الفقهي للشيخ الامام ابن عرفة رحمه الله الى غير ذلك مما لم أذكره الآن ثم لما من الله على العبد بذلك ورتعت في تلك البساتين واقتطفت من ازهارها وانغمست في نهرها وجنيت من ثمارها والتقطت من نتائج تلك الافكار ماراقني من خلاصة ذلك النضار (1) وبردت غليل الصدر بعذب زلاله وطفت بكعبة جلاله وعندما تأنست بتلك العرصات ووقفت بعرفات مد العبد يد الضراعة للسيد المولى والعالق الاعلى رجاء أن يزوده باجازة تامة مطلقة عامة على شرطها المعتبر عند اهل الرأي و النظر في جميع ما أفدتموه وقررتموه وأوضحتموه لا يشذ عنها شيء من الفصول فيما قرأناه بحضرته وسمعناه وأريد من كمال فضله أن يلحق ما لم اسمع بما سمعت ومالم أقرأ بما قرأت وأن يأذن لي في إقراء ذلك لمن يسأله مني وروايته عنه وأن يلحق بذلك ما سمعناه منه من الفوائد التي لا توجد في تصنيف وغير ذلك مماظهر له اثناء المباحثة والمراجعة في غير الكتب المذكورة والفنون المسطورة كالعربية والبيان وغير ذلك وحقيق لمن في هواكم انتشب «2» والى علاكم انتسب أن تسعف طلبته وتجاب رغبته ويبذل له العطف «3» ولايثني العطف «4» اذالعبد

---

(1) الذهب الخالص

(2) بمعنى تعلق

(3) الحنو والرحمة

(4) بالكسر الجانب كناية عن الاعراض والجفاء

التجأ الى كهف فضلكم ورغب في الاستظلال بظلكم و الله اسأل أن يبقيكم للعلوم تشيدون بناءها وتعلون منارها وتنشرون عبيرها وتبينون جليلها وخطيرها لازالت كعبة علاكم ملاذا للطالب وملجأ للراغب بمنه وفضله قاله عبيد الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن زكرياء بن محمد المريني لطف الله به لطفا جميلا خفيا وكان الله له وبه حفيا والسلام الزكي عرفه «1» الطيب نشره «2» يخص علاكم ويعم من انتسب لذراكم «3» كلما هب النسيم بالاسحار واستحثت الاشواق الى الاوطان والديار ورحمته وبركاته «4» وكذلك أرغب من سيدنا الشيخ الاجازة في الفهرسة التي وضعها سيدنا الشيخ باستدعاء من صاحبنا سيدي عبد العزيز بن غانم الصحراوي في جميع ما تضمنته من الاسانيد عن اشياخه الجلة في الكتب المرسومة فيها المقرؤة والمروية والمجازة والله تعالى يبقيكم ومن كل سوء يقيكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(1) العرف بفتح العين مصدر، يراد به مطلق الرائحة واكثر استعماله في الطيبة

(2) الريح

(3) يصح ان يكون بفتح الذال والراء بمعنى الملجا والكنف ويصح ان تكون جمعا لذروة بضمها وكسرها بمعنى العلو والمكان المرتفع او أعلى شيء

(4) كذا بالاصل ولعله ورحمة الله وبركاته

وقد اجابه بما نصه :

الحمد لله حمدا يورثنا الفهم عن الله والتفهيم، ويسقينا به شراب المعرفة اللادنية بكؤوس الرضى عنا والتعظيم، ويحملنا على كاهل متن الشريعة المحمدية حملا يحفظنا من عذاب القطيعة الاليم، ، يحصل لنا الامان والامن والقلب السليم ويجيرنا من الغفلة عن الله التي تنافي النظرة بالنعيم، وتوجب المضرة والمعرة للعبد اللئيم ونشكره سبحانه شكرا يزيد نابه النظر الذات الكريم ويجيزنا على الصراط المستقيم والصلاة الطيبة الزكية على سيدنا ومولانا محمد صاحب الخلق العظيم الذي دلنا على الدين القويم واهدى إلينا القرآن العظيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصحوا وافصحوا وبلغوا وبين «1» واثنى على خلقهم وتحققهم الرب الرحيم وسلم تسليما سلاما تنال به من الله الفوز بجنة النعيم.

أما بعد فان الفقيه الاجل المتعبد المتخلق الخير المجتهد الناسك المشارك ابازيد عبد الرحمن المذكور المستجيز المشهور بارك الله له ووفقني واياه الى مافيه رضاه قد نسج في استدعائه نسجا بليغا مانعا ورصعه ترصيعا متمما جامعا - لاحت عليه فيه يد البلاغة واهدت اليه اساليبها وجمت له قبول الحال والمقال «2» ووصلها وفصلها فعلا استدعاؤه وبارك الله له في ذروة «3» البلاغة التي ما ملكها انسان وتلى وكان ان يضاهي سحبان بيد «4» ان الفقيه تغالى «5» في صفات المستجاز وأغرب وكثر القيل والقال في جنابه وما اعرب والحامل له اعتقاده ووداده فنظر من مرءاته ولم ير من مرءاتي عيوبي وصفاتي فنرغب من مولاي سبحانه أن يغفر لي وله وان يسامحني ويسامحه لانه الساتر للقبيح بجميله والعفو عن العاصي بحلمه وما ذكره الفقيه الاسعد من حضوره وقراءته وملازمته لما ذكره وبينه وسطره صحيح كله وقد رأيت منه حسن الحفظ وعلو الهمة والبحث عن الحقائق والسؤال عن الدقائق وكثرة المراجعة في مسائل قل من يسأل عنها من صنفه لحسن نيته وطيب سريرته وأمانة نفسه حاملا للاذى صابرا على المراجعة والاغلاظ في الكلمة مع

---

(1) مضعف العين بمعنى اوضح واظهر (2) في نخ (ع) المقام (3) في نخ (ع) ذروة عز البلاغة

(4) اسم ملازم للاضافة الى ان ومعموليها وهو بمعنى غير

(5) بالغ

حسن اعتقاد «1» وعلو مراد فأجزته بارك الله له إجازة عامة مطلقة بشرطها عند أهلها وفي جميع ما ذكره من الكتب وغيرها وأذنت له في نقل ذلك وإقرائه لجميع ما حصله وفهمه وتفهمه وأجزته في الفهرسة المذكورة وفي النقل عنها وما صح عنده منها موصى في ذلك بتقوى الله العظيم راغبا في فضله العميم فان تقوى الله بها تتقوى القلوب ويزداد العلم في القلب ويقرب صاحبه من علام الغيب ومن حصل له تقوى الله اغناه الله عن الاجازات وانخرقت له في نفسه العادات لان من اتقى لله وقاه ومن استكفاه سبحانه كفاه وكان كثير من الشيوخ إذا طلب في الاجازة يقول العلم خير من الاجازة اذ الحقيقة خير من المجازات فعليك يا اخي بتقوى الله فانها تمنع من البلوى وقد اجزناك كما اجازنا شيوخنا رحمهم الله تعالى في جميع ما طلبته وأذنالك في الذي قصدته وخاطبناك بما خاطب به بعض شيوخنا في إجازته بشعره بقوله رحمه الله تعالى :

قد أجزناك يا فقيها نبيها ناظما ناثرا «2» بديع النظام
في الذى صح عندكم من سماعي من شيوخي الايمة الاعلام
في البخاري ومسلم والموطا والشفا ثم عمدة الاحكام
ختم الله للجميع بخير واحل الجميع دار السلام

ورأيت لبعض مشائخنا بخطه يخاطب به في ادخال السرور باجازته

ابشر فقد نلت ما ترجو وتنتظر وقد جرى بالذي تختاره القدر
وساعدتك على الايام اربعة العز والنصر والاقبال والظفر

صيرني الله واياكم من سعداء الدنيا والآخرة ومنّ علينا بتمام اياديه الزاهرة وختم لنا بالسعادة يوم تكون الوجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يؤمننا من الفاقرة «3» قال ذلك وكتبه مستغفرا من ذنبه عبيد الله وابن عبده محمد بن قاسم الرصاع وفقه الله تعالى

(1) كذا في نخ (ن) وفي نخ زع) اعتقاده وعلو مراده
(2) في الاصلين ناشرا
(3) الداهية الشديدة فكانها تكسر فقر الظهر وهي خرازات الظهر وتجمع على فواقر

فهارس الكتاب

فهرس المواضيع الواردة اصلا وتعليقا

فهرس الاعلام

ن

فهرس البلدان والاماكن والقصور والفرق والقبائل

ح

خ

غ

ف

ق

فهرس القوافي

فهرس القوافي

المصادر

ديوان العبر لابن خلدون
المواهب اللادينة
الروض الانف
حزانة الادب للبغدادي
تهذيب الاسماء واللغات
سمط اللئال لمحمد قويسم خط
تقويم البلدان لابي الفداء
البيان في تخطيط البلدان
معجم البلدان
شرح القاموس
لسان العرب
كشاف مصطلحات الفنون
المعجم الوسيط
اساس البلاغة
درة الحجال في اسماء الرجال
شجرة النور الزكية
الحلل السنـوسية للسراج المـطبوع والمخطوط
نزهة المشتاق للادريسي خط
رحلة البلوي خط
رحلة التيجاني
رحلة الورتلاني
المعيار للونشريسي
صلة السمط
الديباج المذهب لابن فرحون
نيل الابتهاج لاحمد بابا
تاريـخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي
ذخيرة الاعلام للغمري
مواسم الادب
خطط للمقريزي
النجوم الزاهرة
الوافي لامين ابراهيم شميل
تخريج الدلالات السمعية للخزاعي
تفسير الطبري
دائرة المعارف الاسلامية
خلاصة الادلة البينة على صدق اصـول الديانة المسيحية خط
اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي
دائرة معارف لاروس
المسالة اليهوديه لعبد الله حسين
مجلة الهلال
مجلة المقتطف
المدخل لابن الحاج
الخطط التوفيقية
قصص الانبياء للثعلبي
صبح الاعشى
قصص الانبياء للنجار
معجم الادباء لياقوت
التذكرة التيمورية
المعجب للمراكشي
اقرب الموارد
خلاصة الاثر
تاريخ الاداب العربية لبروكلمان
نفح الطيب
سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب
الخلاصة النقية في امراء افريقية
آداب المعلمين لابن سحنون
اتحاف اهل الزمان لابن ابي الضياف
معالم الايمان للدباغ وابن ناجي
العرب والعربية لمحمد عزة دروزة
الدرر الكامنة
شذرات الذهب
فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني
حقائق الاخبار عن دول البحار
كشف الظنون
هدية العارفين
ايضاح المكنون

دليل مؤرخ المغرب
الاحاطة
الشفاء لعياض
البستان
اللباب ابن الاثير
كتاب البلدان لليعقوبي
الاعلاق النفيسة
المشرع الملكي لمحمد الصغير الباخي خط
اثار الادهار
الضوء اللامع
نخب تاريخيه
وفيات الاعيان
فوات الوفيات
الوافي بالوفيات
طبقات القراء ابن الجزري
فهرسة المكتبة الصادقية
مسلسلات الظريف
سلوة الانفاس
فهرسة المكتبة الازهرية
اخبار الحكماء للقفطي
فهرس المخطوطات المصورة
معجم المطبوعات
معجم المؤلفين
ابتسام الغروس
تاريخ ابن كثير
الخريدة خط
كتاب الروضتين
النكت العصرية
حسن المحاضرة
قاموس الجغرافية القديمة احمد زكي باشا
عنوان الدراية
الاستقصا

معالم التوحيد لمحمد بن الخوجة
المختصر في اختبار البشر ابن العبد
جامع الاصول في الاولياء واصطلاحاتهم
للسنماويه
حسن البيان لمحمد النيصر
بساط العقيق لحسن حسن عبد الوهاب
صفوة الاعتبار
جغرافيه البشير صفر
بغية الرواد في ملوك بني عبد الواد
تاريخ مدينة فاس طبع بلوم
الكامل ابن الاثير
معجم ما استعجم للبكري
الكليات لابي البقاء
السياسة في علم الفراسة خ
بغية الوعاة
عيون الانباء في طبقات الاطباء
تاريخ الفكر الاندلسي
المغرب لابن سعيد
القدح المعلى
ميزان الاعتدال
السعادة الابديه
قضاة قرطبة للخشني
المرقبة العليا للنباهي
انباه الرواة في طبقات اللغويين والنحاة
الحلل السندسيه لشكيب ارسلان
نكت الهميان في نكت العميان
تعريف الخلف برجال السلف
ازهار الرياض في اخبار عياض
خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا
عدة كنانيش خطية

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
ز	12	نما	انما
ح	9	الباحثة	الباحث
ك	11	القرآن	بالقرآن
54	23	الانقاص	الانتقاص
54	24	قرالت	فزالت
54	25	جيشها	جيوشها
55	20	مر ينة	مدينة
56	5	وجل	رجال
64	28	قطة	قطانة
65	12	المعقلى	المعلقي
65	32	العرب	العرف
66	10	خلدرن	خلدون
66	13	ثـا	دـا
72	4	ثيـرة	كثيرة
«	8	الزميت	الوسيط
»	13	اصله باللغة	1 اصلة باللغة
73	16	المحدث3 برهان	المحدث3 برهان
«	18	سيدى 4	سيدى 3
80	4	وحرز	وحرر
84	18	ابن حفال	ابن الحبال
88	7	آموحدة	ثم موحدة
100	8	يتهم	يقسم
101	6	غرى	غبرى
102	6	قال اليحي	قالوا اليحي
103	33	ضارب	ضاربي
105	6	عبدالحق فرواه	عبد الحق2 فرواه
105	9	ابو القاسم 2	ابو القاسم 3
«	9	ابو محمد 3	ابو محمد 4
«	12	جامع الاقمر4	جامع الاقمر5
«	12	ثم سند 5	ثم سند 6
«	14	وهذا ما 6	وهذا ما 7
105	21	محمد الابي 7	محمد الابي 8
«	22	ابو العباس احمد 8	ابو العباس احمد 9

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
«	25	الزعبي 9	الزعبي 10
115	11	سروا	سبروا
119	11	ابن مالك	ابن مالك (3
123	14	3محمد بن احمد	4 محمد بن احمد
«	31	4 في نخ	5 في نخ
«	32	5 ابو حفص	6 ابو حفص
155	15	بالمامون	بالمامونى
«	18	النظير	النصير
137	13	ابن رشد بلفظه	ابن رشد بلفظه
142	21	كذاب بنسخة	كذا بنسخة
152	24	طوالهم	طوالعهم
156	22	كبركته	لبركته
«	23	يمسه	يمس
161	1	وعن اشياخنا	وعن اشياخ
160	14	في قيت	فلقيت
168	12	علوسه	علومه
168	24	حبسه	حسده
168	23	التعبد	التقييد
172	26	عندي مديح	ماعندي عندي الامديح
173	5	واجتهد	والاجتهاد
«	31	كما	كنا
174	7	قرأ القرآن	قال : القرآن
«	16	صدوهم	صدورهم
177	10	حضرناه	حضرنا
178	7	مشائخة	مشائخه
200	7	ابن سعد	ابن سعيد
206	1	كسره	سكره
«	9	يصرينا	يصيرها
«	17	عيه	عنه
207	3	منها	منهما
208	3	ابربكر	ابوبكر
210	2	84	184
212	5	منه	منه
215	15	العق	العلق

من تراثنا الاسلامي

هي مجموعة علمية تاريخية ادبية يشترك في ابرازها علماء افريقيون وشرقيون بعثا لهذا التراث الاسلامي الخالد المقدم الى القراء الكرام بعد التحقيق ومراجعة النصوص ومقابلتها عن الاصول وقد برز منها الكتب الاتية :

ـ 1 ـ قلائد العقيان في محاسن الاعيان للفتح بن خاقان

ـ 2 ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي

ـ 3 ـ المؤنس في اخبار افريقية وتونس لابن ابي دينار

ـ 4 ـ فهرست ابي عبد الله محمد الانصاري المعروف بالرصاع